

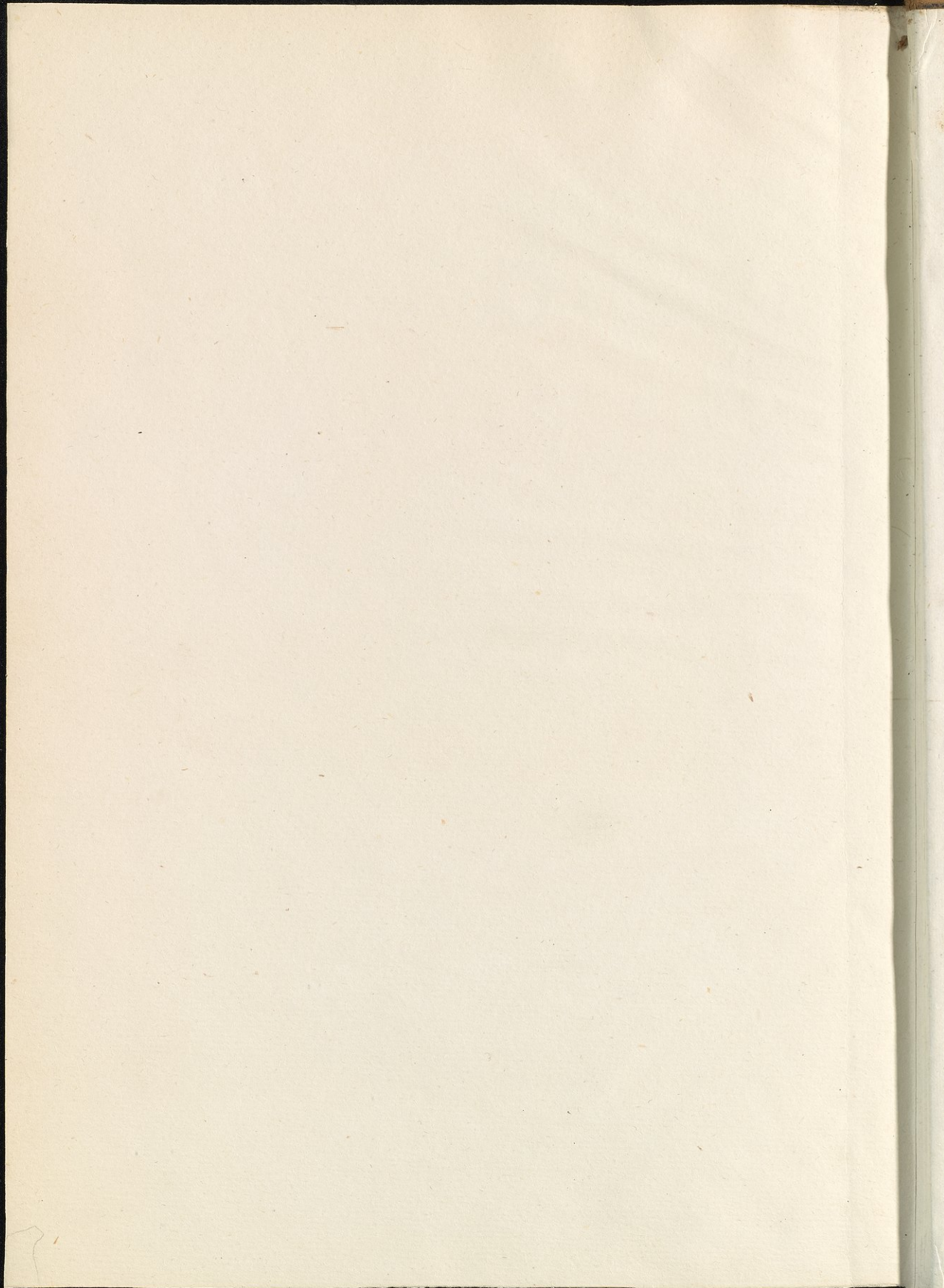


3 1142 02809 3154



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

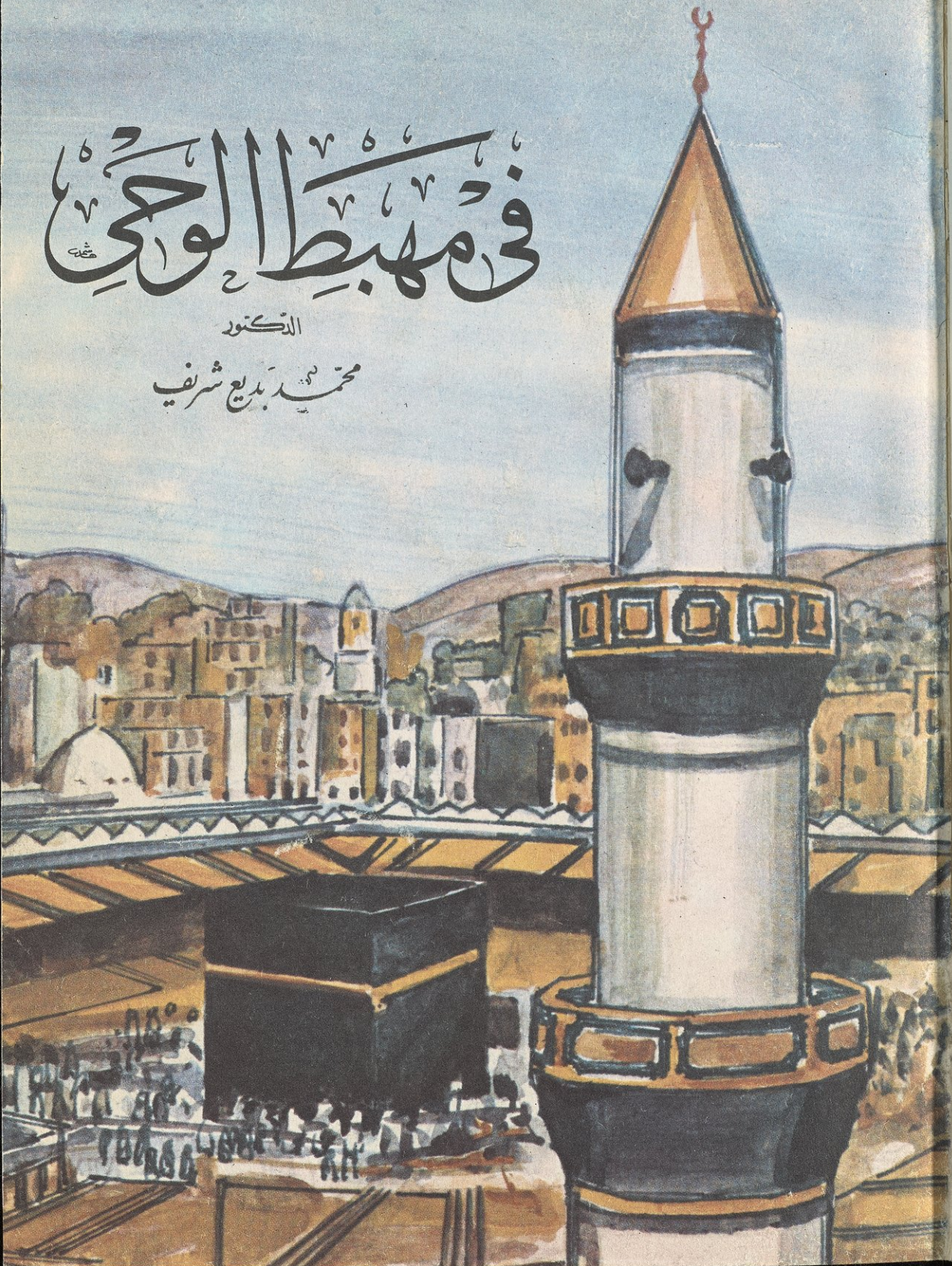


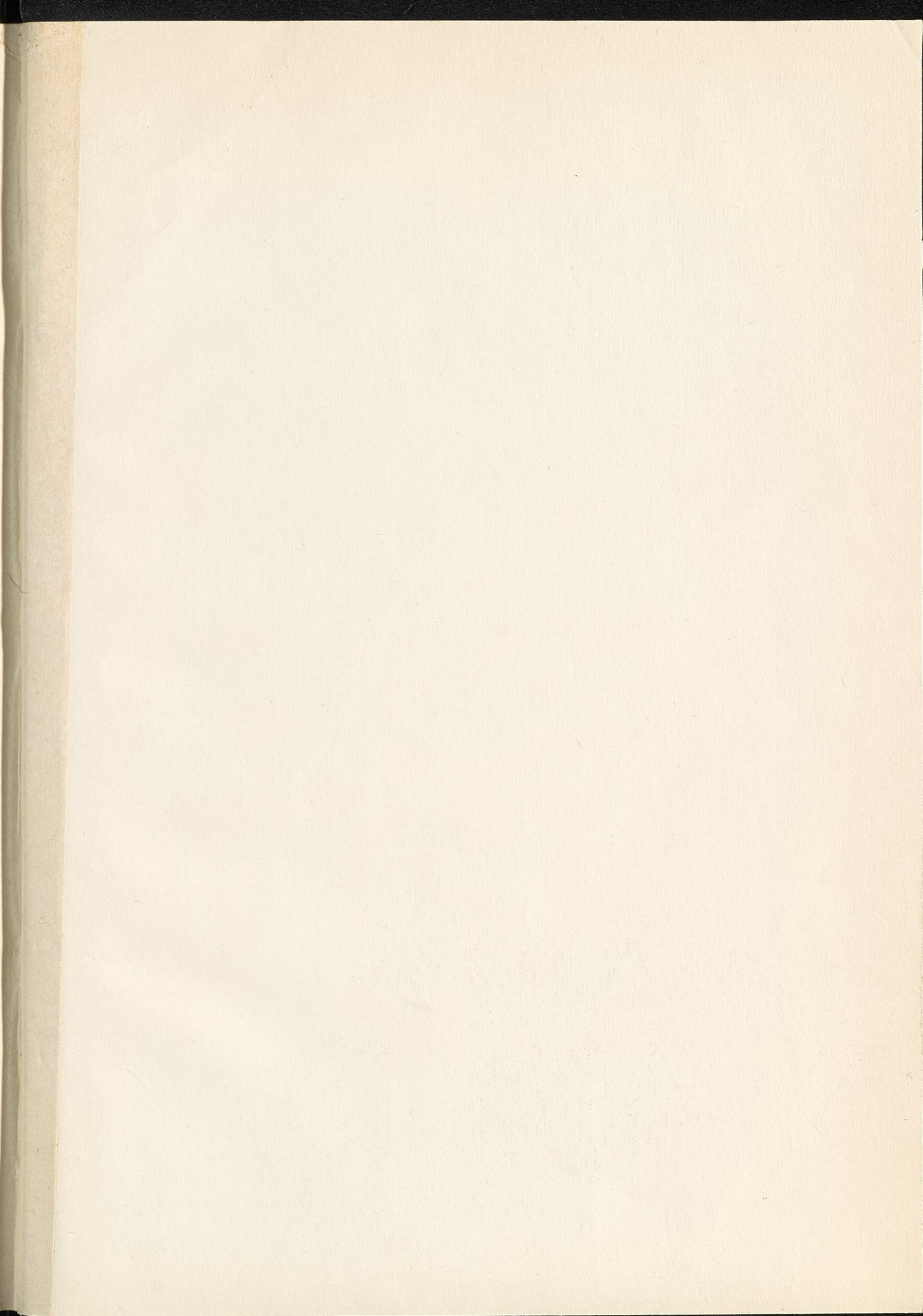
UAR-8442. Badi,

فِي مَهْبِطِ الْوَحْيِ

اللكهنود

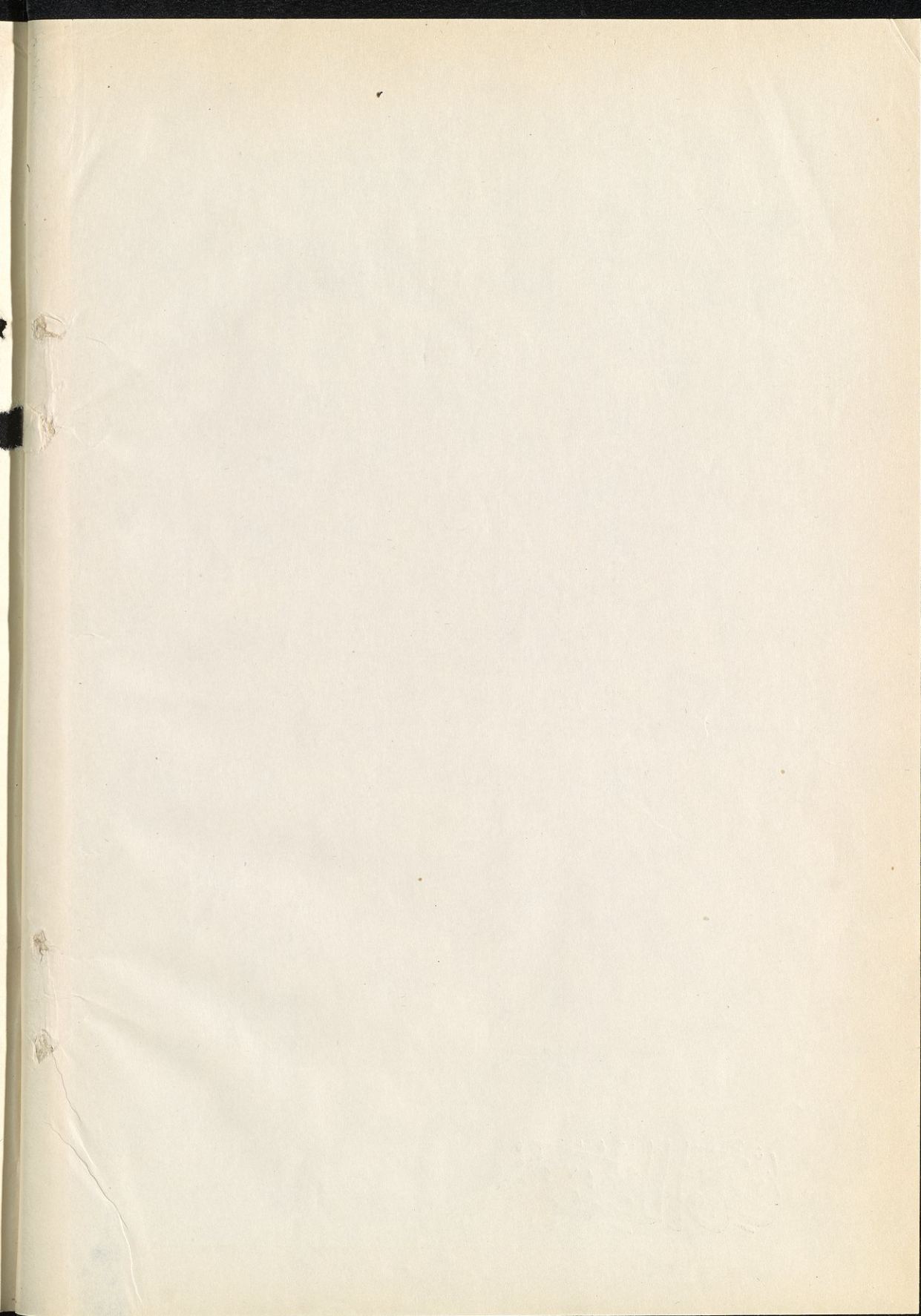
محمد بن عبد بديع شريف





Handwritten signature or initials in the top left corner.

في مهبط الوحي



Badi' Sharif, Mohammed

الذكتور

محمد بدیع شریف

/Fi mahbit al-wahy/

فِي مَهَبَةِ الْوَحْيِ

Near East

BP

187

.3

B27

c.1

2274

.87566

.334

الطبعة الاولى

١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

طبع من هذا الكتاب ستة آلاف نسخة في

مطبعة العاني

بغداد - العراق

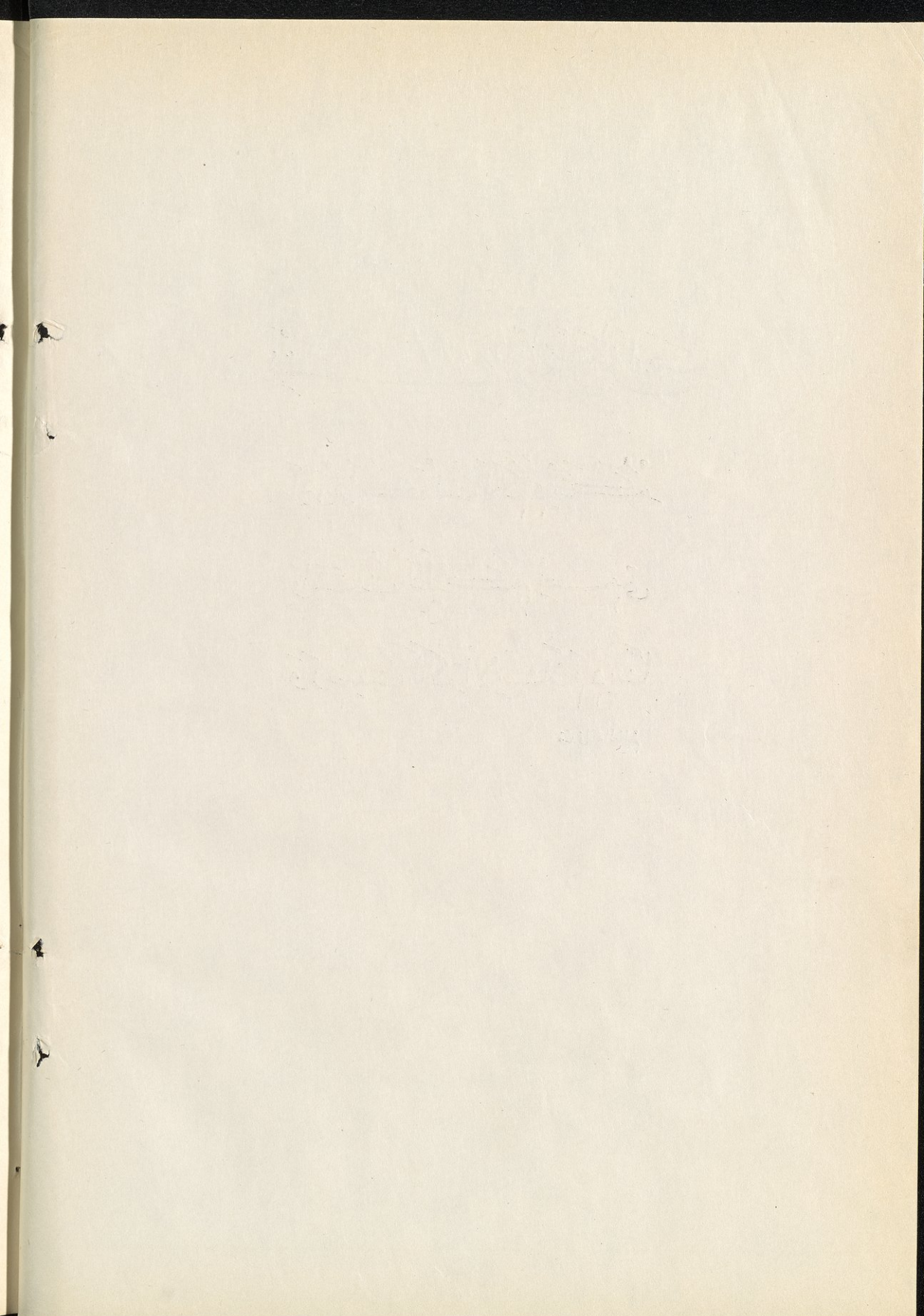
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ

وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ



مُقَدِّمَةٌ الْمُؤَلِّفِ

كلما قرأت آية من آيات القرآن الكريم أو سمعت
تلاوة سورة من سوره أو مرّ بي قبس اقتبسه منه
كاتب بليغ فنظمه في ثنايا عباراته أزدت اعجاباً وتعلقاً
بهذه المعجزة الكبرى في البيان العربي وجنح بي
الخيال الى ذلك الوادي غير ذي الزرع الذي ترعرعت
في جنباته الرسالة المحمدية وتمت حتى اكتملت
وظهرت للوجود تقدم للانسانية مكارم الاخلاق وتعلن
للملأ كرامة الانسان . وكلما رددت تلاوة آيات الله
العزیز الحمید في قرآنه المجید : « هو الَّذِي أَرْسَلَ
رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ
الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا . مُحَمَّدٌ
رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ
أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ
بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

كلما رددت تلاوة هذه الآيات الكريمة وامثالها
تكشفت لي بوضوح اهداف الرسالة المحمدية وكبر في
عيني وجود الانسان وتمثلت لي هذه العقيدة الصافية
التي يمشى نور الهداية بين يديها تحمل على جناحها
الرحمة والاعمال الصالحة والمودة والاخاء والتعاون
وهي ما يبتغيه بنو آدم على وجه هذه الارض .

وكلما أمسكت القرآن بيدي ارتفع بي الخيال الى
مشرق الدعوة وعهد النبوة وتمثل لي المجتمع الاسلامي
كأنه في مدرسة جامعة تنشئ الرجال والقادة . لقد
كانت مدرسة محمد (ص) مصنع الرجال وكانت
العناية الالهية تمده بالقوة والحنكة ، وهكذا تخرج في
مدرسة النبوة خلفاء يديرون سياسة الامة وأئمة
مشرعون يعرفون كيف يمسكون بميزان العدل وقادة
فاتحون رمي بهم الاسلام وجه الدهر فقصروا آماده
وانشأوا امة مكتملة مرشدة في مدة لا تزيد على ربع
قرن .

ثلاث وعشرون سنة مر بها عهد النبوة في تشريع
وتهذيب وتكوين حتى اذا اكتمل هذا المجتمع الممتاز

خرج ابناء الوادى غير ذى الزرع الى الهلال الخصيب
سيماء الهداية في وجوههم والرحمة مطوية عليها
جوانحهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا ، خرجوا
ليعلموا الناس كيف يسود العدل وكيف تكون الاخوة
والمحبة والمساواة ، خرجوا وهم على مثال الانسانية
المكتملة لينشئوا للناس حضارة زاهرة زاهية في ظلال
الطمأنينة .

ما رأت البشرية عهداً في عهود النبوات ولا كتب
التأريخ صفحة من صفحات المصلحين مثل هذه الفترة
التي مر بها عهد النبوة من مشرق الدعوة الى اكتمال
العقيدة الاسلامية . لقد اختفى في هذه الفترة سلطان
الارض عن رقابة الرعية ومشيت احوال المجتمع رخاءً
يعرف كل امرئ حقه دون درجات المحاكم ودوائر
الأمن ومراكز الشرطة ومعامل السجون ، وكانت
السماء هي الرقبة على هذه الامة عقاب المسيء نار
موصدة في عمد ممددة وثواب المحسن جنات تجرى من
تحتها الانهار . أما عقاب الدنيا فحدود معلومة وضعها
الشارع حيث يقرؤها الانسان ، ما استعملت الا لما
وفي أمور ملحة وكانت الشريعة الاسلامية نظام
المجتمع ينزل الوحي ويبلغ الرسول ويفهم الناس
فيؤمنون بما انزل ويطيعون وفي هذه الاطاعة تربي
ضمير المسلم تربية قوية وبعبارة أوضح تربت النفس
اللوامة التي أقسم بها القرآن الكريم والتي تلوم
صاحبها عند الخطأ وتعذبه فاما أن يتوب واما أن
يركض الى مقام النبوة يطلب اقامة الحد ، ومثلما تلوم
صاحبها على الخطأ تحته على عمل الخير وتعصمه من

الزلل . وفي ظل هذه التربوية نشأ نظام الحكم في عهد النبوة وهو نظام غاية ما يطمح اليه الأنبياء والمصلحون في الأمم ذلك أن يعرف المرء حدود الله فيرتدع عن اتیان ما تحرمه الشريعة ويؤدي ما توجبه عليه وتحله .

حرم الاسلام الخمر فتمزقت الزقاق في اقل من طرفة عين وسالت بها شوارع المدينة وحرّم الزنا فازدادت حصانة المحصنات قوة على قوتها وتحصن المحصنون بالايمان والخلق الكريم ، وحرّم القتل فاطمأنت النفوس وحرّم السرقة فكفت الأيدي عن اموال الناس ، ومنع الربا فرَبَت الاموال دونه ومشيت قوافل التجارة في رحلة الشتاء والصيف غدواً ورواحا في المجتمع . ووضع الاسلام الزكاة فامتلاً بيت المال وكفكف الفقر اذياله حتى لقد كان الفقير يُعْطَى من المال ما يرفعه الى مصاف الاغنياء ، لقد قضى الاسلام على الرق بان جعل عتق الرقبة فضيلة من فضائل المؤمن ثوابها الجنة والعتق من النار . قضى على التمييز العنصري فلا يعرف اسود ولا ابيض ولا عربياً أو اعجمياً ، ولا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى وكان بلال الحبشي أول من وقف على سطح المسجد في مشرق الدعوة يؤذن : « الله اكبر » . نعم !! الله اكبر من كل ابيض أو اسود ومن كل جبار عنيد ومختال فخور الله اكبر من كل شيء . ما أروعها كلمة ! يعرف البشر بها نفسه كلما بغى وتجبر أو تكاثر وافتخر !!

أوحى السماء كيفية قسمة الارث وعينت الفروض

فرضي المؤمنون بهذا القسم وحددت الشريعة المحرمات في الزواج وبناء الأسرة لحفظ اصالة النسب وصلة الرحم بحدود لا مثيل لها في انظمة الأمم وأقرت الشريعة قسمة الغنائم مما أفاء الله على رسوله وجعلتها لله وللرسول ولذی القربى واليتامى والمساكين كى لا يكون الفیء دولة بين الاغنياء وشرع الاسلام العقود والوفاء بالعهود وفسح المجال لمواهب الفرد أن تظهر للوجود وبرزت القيادات المكتملة في جميع مجالات الحياة في الادارة والحرب في التشريع والتفقه في الدين والتجارة والزراعة . وفي هذا الطراز من التهذيب والتكوين ابدعت شخصية المسلم فكان الصحابي مثال الرجل الكامل ، نور القرآن يمشى بين يديه وسيرة الرسول ماثلة أمام عينيه وهي سيرة فيها معاني المثل العليا فالمؤمن لا يكذب والمؤمن لا يغضب بل يحل اموره بالحلم والعقل والعزم والارادة والمؤمن يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة والمؤمن اخو المؤمن وناهيك بهذه الاخوة من تضحية وايتار ومعونة .

وعندما اراد الاسلام ايقاظ ضمير الانسان وتربيته وضعه بين عقاب الجحيم ان أخطأ وثواب النعيم ان تاب أو اصاب وأكد عليه في التزام التوحيد ليكون له العروة الوثقى من الزلل ووجه نظره الى الكون الى ما وراء الطبيعة « قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد » .

ادركت الفطرة العربية الصافية في مشرق الدعوة

هدف التوحيد وتقبلته دون تردد ذلك لأن الايمان
بأله فيما وراء الغيب لا تدرك كنهه العقول ولا يقاس
بمقاييس البشر أتم واصدق واقبل للعقل من الايمان
بمعبود منحوت من الحجر ناقص تستطيع رياح الطبيعة
وامطارها ان تأكله وتضع فيه الأخاديد فلا ينطق
ولا يسمع ولا يعقل . وبذلك ارتفع المؤمن من حمأة
الشرك والتمرغ على قدم صنم منحوت من اللخاف
والصوان أو الرخام الى عبادة الديان الى عبادة رب
لا يقصد في الحوائج غيره ولا يصمد الى احد سواه ،
انه رب منزه عن الحوادث ، قوة جبارة هائلة لا يحيطها
وصف ولا تقاس بمقاييس البشر وجدير بالرب
الواحد القهار أن يعبد ولا معبود سواه .

وهكذا حرر الاسلام الفكر من عبودية الأرض
وكسر فيها قيود الذلة وسما بالنفوس الى عالم ما
وراء الطبيعة الى التفكير في الكون الواسع الى المخلوقات
العظيمة التي لم يكن الانسان فيها الا ذرة من ذراتها
بل اصغر من ذلك وأنها كلها ترجع الى خالق يجل
عن الوصف . وفي هذا التفكير السامي كفاية لسمو
النفس وترفعها .

وبهذا السمو تطمح نفس المسلم الى الاستزادة
من الكمال وكلما طمحت النفس الى الاستزادة تقدمت
الى الافضل فالافضل وبمثل هذه الروح اخذ المجتمع
الاسلامي يتطور وينمو ويغترف من معين شريعة
لا تنضب لانها تستند الى العدل . بهذا السمو أتم
محمد (ص) مكارم اخلاق هذه الامة وأخذ ينشئ

الرجال في مدرسته السماوية . وفي اقل من ربع قرن
ولدت الفضيلة ونمت وترعرعت ونبنت في ظلالها
الوارفة عبقرية الاسلام .

كلما رجعت الى السيرة النبوية أو مررت بحوادث
التاريخ في مشرق الدعوة تراءت لي تلك النفوس
الكبيرة التي هذبها الاسلام لانشاء المجتمع الفاضل
وتبينت لي وضاحة تلکم المبادئ السامية التي ابدعها
وطبقها الفكر الاسلامي واندفعت بها الجموع العربية
تنادى بالاخوة والتي لا تزال تتلألأ في امجادنا وتشهد
بها اخلاقنا .

وفي غمرة هذه النشوة بالاعتزاز بمبادئ الدين
الاسلامي الذي نُشئتُ عليه لبيت نداء السماء في
الوحي المنزل : « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ
رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ
عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا
اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ
مِنَ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا
الْبَائِسَ الْفَقِيرَ » .

ونويت الحج وتوكلت على الله لاؤدى فريضة من
اجل الفرائض واکرمها ولأرى مهبط الوحي لأرى
البيت الذى جعله الله مثابة للناس ولأشهد جبل النور
وغار حراء ولأرى بعيني مهبط الوحي لأرى دار
الأرقم حيث كان المسلمون قلة يستخفون من الناس
ويخافون أن يتخطفهم الجاهلون ثم علا صوت الحق
وصدع المؤمنون بما كانوا به يؤمرون ، لأرى المكان

الأول الذي ارتفعت فيه جملة « الله اكبر » هذه الجملة العربية المبينة التي هزت العالم وايقظت البشرية وهذبت النفوس وعلمت الانسان مكانته في الوجود ذلك الانسان المغرور الذي يدعى تارة أنه صنيدي وأخرى أنه جبار عنيد فاذا به يصغر ويصغر حتى لا يرى نفسه شيئاً اذا فكر في معنى جملة « الله اكبر » .
أجل ! الله اكبر من كل كبير لأن كل كبير في هذا الوجود الامكاني صائر الى تراب في حمأ مسنون .

رَأَتْ هذه الجملة في آذان المؤمنين وعقلتها قلوبهم فاذا بهم في أعلى عليين من المثل السامية واذا بهم يعلمون البشرية كيف يجب أن يكون الانسان .

نويت الحج لأرى هذه المشاهد بعيني ولأقف بنفسي على تلك المناسك لأرى الصفا والمروة ولأتذكر كيف خرت الأصنام المذلة وتكسرت أمام جملة « الله اكبر » لقد شهدت ووقفت وتذكرت . ووقفت في بدر وجنح بي الخيال وتراءت لي تلك القلة من الصفوة المختارة من بين المؤمنين ومثل أمام ناظري صراع الحق والباطل ، صراع الشرك والتوحيد وايقنت أن الحق هو المنتصر في احواله كلها وأن الفضيلة لا يحجبها الغبار مهما تكاثف حولها .

شهدت عرفة ووقفت حول جبل الرحمة وسمعت نداء المسلمين يلبون يستجيبون نداء الرب ويعترفون أن الله اكبر من كل كبير وتذكرت رسول الله (ص) يتلو آية الوحي المنزل « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت

لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا .

وافضت حيث افاض الناس من عرفات وذكرت الله عند المشعر الحرام ذكرت الله في مزدلفة وجمعت الحصى استعداداً لرجم الشيطان وطرد الخناس الوسواس الذي يوسوس في صدور الناس ويغويهم وعلمت أنه درس للمسلمين ليتفرغوا من الخطايا والذنوب ويجددوا نشاطهم في نشر الفضيلة شهدت منابع التشريع في الاسلام وشعرت بروح الاسلام السامية تملأ جوانحي وتنير فؤادي .

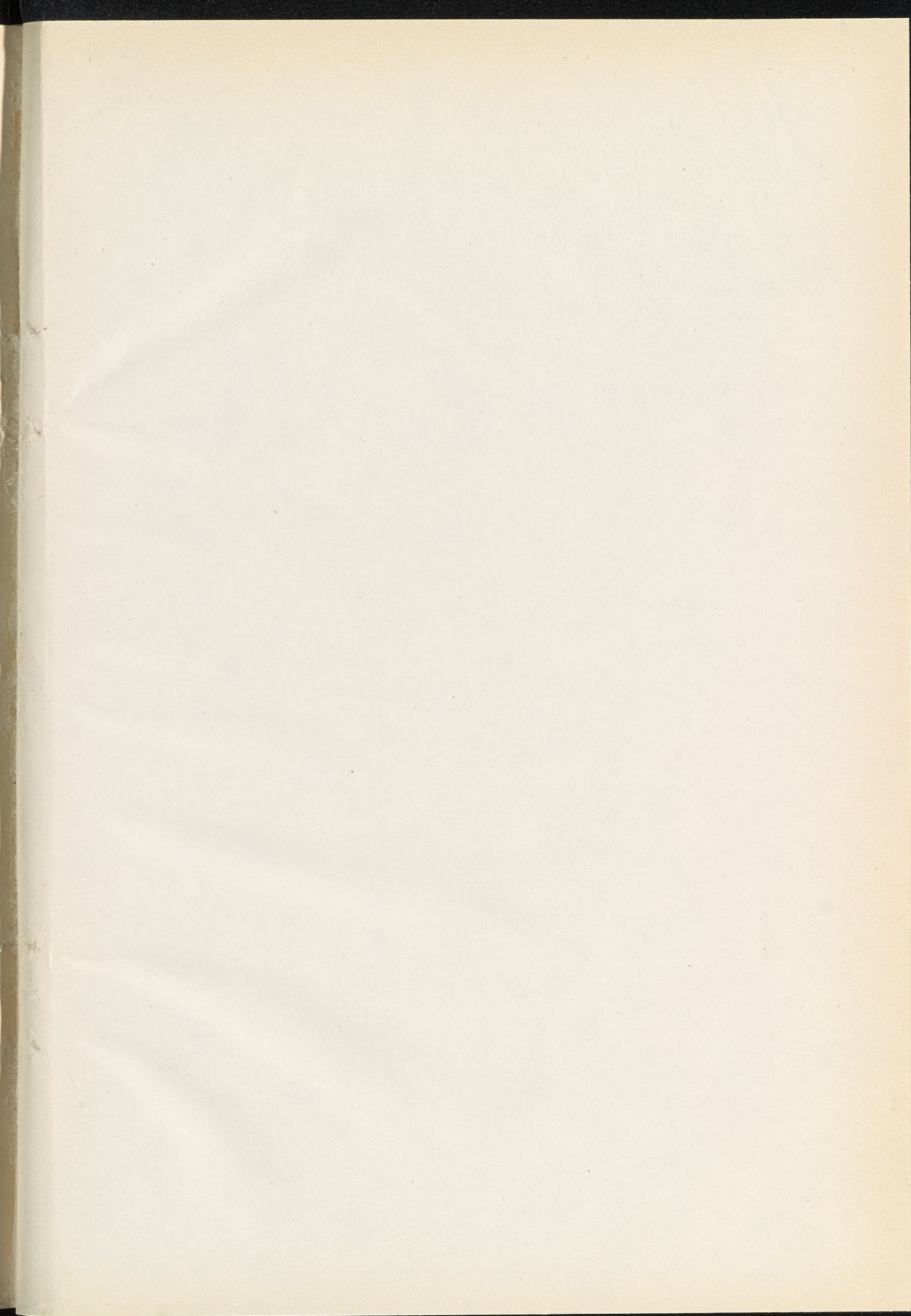
وتلقت لأرى قوة الاسلام وعظمته فلم أرها الا في هذه الجحافل المزدحمة والخيام المضروبة وتمنيت أن يتحقق في الحج هدف من اهدافه السامية ومقصد من مقاصده العليا تمنيت ان لا يصل الى الحج الا من استطاع اليه سبيلا فالمال قوة وفيه استطاعة ولكنه ليس الكل في الكل ففي الصحة استطاعة وفي الشباب استطاعة وفي العلم ثروة تعدل المال وتزيد عليه فتمنيت أن يكون جلة الحجاج من شباب المسلمين الاشداء الاقوياء وعلمائهم الفضلاء لينقلب الحج بعد اداء المناسك الى مؤتمر عام تعرض فيه امور المسلمين ومشاكلهم وتظهر فيه قوة الاسلام .

ملاً هذا الشعور جوانحي فكتبت ما استطعت أن اكتب مما شعرت به في مهبط الوحي .

كتبت عن عبقرية الاسلام وتنشئة الرجال وكتبت عن عباقرة المسلمين ووصفت المناسك ووضحتها وشرحت مقاصدها لقد وضحت نظام الحكم في عهد

النبوة وابنت المجتمع الفاضل في الفترة التي اتمت
الرسالة فيها دين الاسلام ولا ادعى الكمال فان الكمال
للّٰه وحده ولكنني فتحت نافذة لغيري ينظر منها الى
منبع غزير يغترف منه ما يشاء فان وفقت فذلك الذي
اردت وان اخطأت فان اللّٰه غفور رحيم والعصمة للّٰه
وحده .

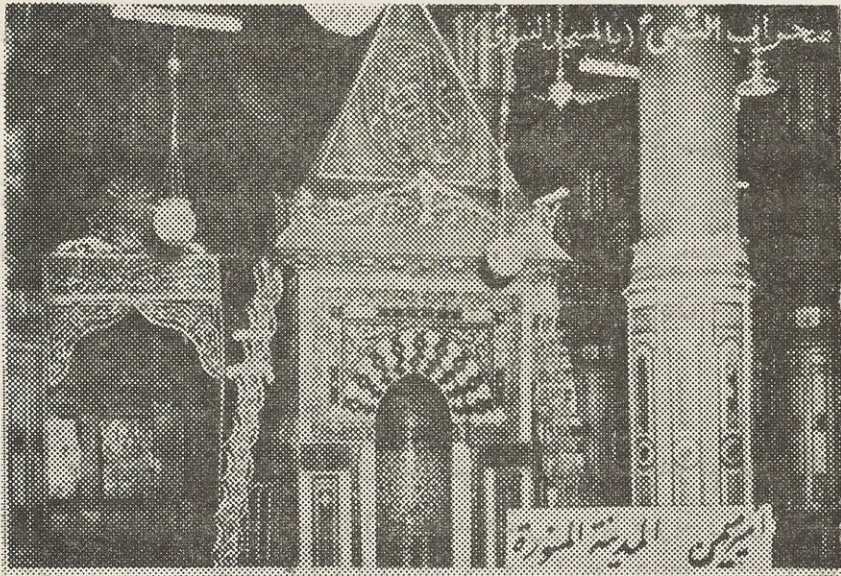
بديع شريف



من جده الى المدينة
محمد رسول الله (ص)

اندفعت بنا السيارة من جدة الى المدينة تنهب صدر الارض فوق طريق
لاحب اسود واسع لا يهدأ محركها الا اذا اراد قائدها ان يتحاشى منعظفا
او يصعد مرتفعا او يهبط منخفضا وكانت اشجار الاثل والعوسج المتناثرة
في البطاح والابل السارحة فوق هذه الارض المعزاء تظهر وكأنها تمر بنا
مر السحاب •

ولم نقف الا بريهة تحت ظلال سقيفة في حى من الاحياء المتناثرة في
هذه الصحراء على جانب لكي يتم السائق ابدال العجلة التى اصابها
العطب • ثم استمر بنا المسير حتى وصلنا الى بدر ولنا عود في الحديث عن
هذا الموقع الذي يتصدر تاريخ العرب والاسلام • وصلت السيارة مشارف
المدينة المنورة وكانت الشمس قد اخذت تجنح في سيرها منحدره الى الغروب
وتنشر خلفها على ذرى الجبال السمر والبطاح العفر غلالة ذهبية كأنها



إبتسامة في فم الصحراء •

فلما تراءت لنا منائر المدينة المتناوحة تمشت في مفاصلي رعدة الجلال والاحترام وارتفع بي الخيال الى يوم الهجرة وشخصت صورة محمد (ص) أمام ناظري فقد عرفته في التاريخ : ازهر اللون واسع الجبين ، جئل الحاجبين ، اقنى الانف ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، بادنا ، بعيد ما بين المنكين ، عبل الذراعين ، شن الكفين هيئة مكتملة في خلق عظيم وشخصية اختارتها العناية الإلهية لاداء رسالة الوجود •

وصرت كأنني اشهده واقفا بمكة بين جماعة من صحبه يحثهم على الهجرة والملا من قريش يأترون به ليقنلوه او يخرجوه ، لا لشيء الا لانه سفه احلامهم وعاب عليهم اصنامهم واراد ان يسمو بهم الى الذرى فانتفخت اوداجهم وورمت انوفهم •

لقد كانت هجرة النبي امتحانا لايمان المسلمين وايدانا بظهور الاسلام قوة مكتملة في الوجود وكانت نتيجة لصراع بين حق يريد ان يعلو وباطل لا بد من ان يهبط • لقد عقد المشركون العزم على أخراج محمد أو الفتك به واشتد الجدل بينهم واشتبكت الآراء حتى قال لهم ابو جهل :

والله ان لي فيه رأيا ما اراكم وقفتم عليه •

قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟

قال : ارى ان نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا شجاعا ثم نعطي كل فتى سيفا صارما بتارا ، فيعمدوا الى محمد فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، واذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا بالدية فيه • فرضي القوم بهذا الرأي ، وقالوا لابي جهل : الرأي رأيك يا ابا الحكم •

واما المسلمون فقد تسللوا لو اذا الى المدينة ولم يبق منهم الا نفر قليل واشتدت وطأة قريش على النبي فأذن الله له بالهجرة فأسرها الى ابن عمه علي والبسه برده الحضرمي وأمره أن ينام على فراشه ، ثم ذهب الى ابي بكر واخبره بما اوخته اليه السماء فتهلل وجه ابي بكر بالبشر وقال : الصحبة يا رسول الله ! فقال له : الصحبة •

ووضع محمد مع أبي بكر خطة الهجرة وكان غار ثور في جنوب مكة مأواهما لثلاث ليال ولا يعلم بهما أحد الا آل ابي بكر .
ترك محمد (ص) مكة مهاجرا والافق الاوسع يمتد امام بصره والثقة الصامدة في نفسه تدفعه الى السمو بالبشرية لا يخاف ولا يجزع ولا يتردد وخلف وراءه قبائل قريش في حيرة رابكة لا تعرف شيئا من أمره ولكنها ادركت ان محمدا قد أصبح في منعة وان هذا الامر لا بد ان يظهره الله . وادرك الاوس والخزرج في المدينة ان المجد بدأ يلوح لهم في الافق لان في قدوم محمد قوة وان القوة مصدر المجد والسعادة والمسرة .

نزل محمد في قباء وهي ضاحية تبعد عن المدينة مسافة فرسخين ومكث فيها اربعة أيام بنى خلالها مسجدا لا يزال يعرف باسمها . ولما علم أهل المدينة بقدومه خرجت كلها بشبابها وشيوخها يستقبلونه وهم لا يعرفونه ولم يروه ولكن كانت قلوبهم العامرة بالايمان تعرفه وتحن اليه ، تحن الى شيء جديد كان يتردد في أحلامها تحن الى الاعتصام بالذرى العالية حيث ينابيع الحياة التي لا يصعد اليها الضعيف ولا تدب اليها ديدان الحمأة .

وفي ظل نخلة التقى شيوخ المدينة بمحمد وكان اليوم يوم جمعة صلاحها محمد ببطن وادي رانونا ، ووضع يده بيد انصاره وبيد المهاجرين من اصحابه وتسابق صناديد المدينة يدعونه كل منهم يريد ان يكون محمد ضيفه وان ينزل في داره ولكنه ركب ناقته وارخى لها خطامها ثم قال :
انما انزل حيث ينزلني الله .

واحتشد القوم حول الناقة ينادون بصوت واحد : « الله اكبر جاء محمد ، الله اكبر جاء رسول الله » .

ما اروعها جملة ترتعد لها فرائض الملحد ! وتخشع لها جوارح المؤمن !

وسارت الناقة بمحمد ما شاء الله ان تسير حتى حطت وبركت فنزل محمد عنها وسأل لمن هذا المرید ؟ فتقدم اليه معاذ بن عفراء وقال له :

يا رسول الله انه لسهيل وسهل ابني عمر وهما يتيمان في حضاتي وسأرضيهما
عنه فأخذته مسجدا • فاشتري رسول الله المربد من معاذ حاضن الغلامين
وأمر ان يبني له في هذا المكان مسجده وان تبني داره •
ونزل في دار خالد بن زيد الانصاري حتى فرغ من بناء المسجد
والدار فانتقل اليهما •

هكذا مرت بي هذه الحوادث كما يمر الشريط السينمائي تتلاحق
صورها وتلتف من حولها حتى ارتد الي بصري حين اوقف الشرطي
السيارة وقال : هنا قفوا فان الازدحام لا يسمح بمرور أية سيارة فترجلنا
وتركنا امتعتنا الى حيث نزل •

كان المنزل بجوار المسجد النبوي وكانت الشوارع تموج بالحنود
لا تسمع الا نداء ولا تبين كلاما من بين الرطانات المشتبكة واللهجات المتعددة
التي لا اثر فيها من فصاحة قريش ولا مكانة بينها بللغة الاوس والخزرج •
الله اكبر هذا هو مسجد محمد وهذه الجموع كلها تؤمن برسالة
محمد وهذه الحنود في كل عام تتوالى لتجدد العهد لمحمد •

ما ابدعها رسالة حملت الشرق والغرب اليها وزحفت جموع الشيوخ
والشباب والفتيات والعجائز من اطراف الدنيا ، لا يقفها بحر ولا يعوقها
جبل ولا يقف دونها سد ، ركبت متن الهواء ، وامتطت ظهر الارض وعلت
ثبج البحر كل اولئك جاءوا ليقولوا : الله أكبر ! اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله •
فلماذا كل هذا ؟

اجل ! لقد ملأ محمد سمع الدنيا والههم فم الزمان ان البشر كلهم
لآدم وآدم من تراب ، وان الناس سواسية كأسنان المشط وان الناس احرار
في الوجود كيوم ولدتهم امهاتهم ، وان العدل قاعدة من قواعد السماء وان
الاخاء قوة ينفضى بها الغضب والحسد والحقد • فلا ابيض ولا اسود
ولا سيد ولا مسود ولا سيادة الا لشرعية السماء ولا يخضع انسان الا
لله ، فكلنا عبيد الله ، لا طبقية ولا لجنة مركزية وان الدنيا مزرعة الآخرة

فاعملوا لديناكم كأنكم تعيشون ابدا واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غدا •
وهكذا انفلت الهندي من قيوده والبوذى من نسكه وابتعد المجوسى عن
ناره والوثنى من صنمه وجاءوا ليعمروا قلوبهم بالايمان وليعبدوا الله وحده •
ما اروع منظر المصلين حول مسجد الرسول وفي اروقته ، ثياب بياض
ووجوه الوان ، ومنازل شتى : فقير وغني ، خادم وسرى أمر وجندى •
وال ورعية كلهم واقفون خشعا أبصارهم بين يدي الله في صلاة واحدة
صفوفا متراصة يقرءون سور القرآن وآياته ويسبحون بعظمه الله في الركوع
وبحمده بالسجود ويشنون عليه في القيام والقعود ويسلمون ذات اليمين وذات
الشمال احدهم يحيي الآخر • هذه هى المساواة التي اجملها القرآن في
جملة واحدة « انما المؤمنون اخوة » •

انها قوة لو علم المؤمنون سرها •

رحب واسع شامخ الاروقة متطاوّل الاعمدة في طراز عربي جميل
تزين جدرانه آيات من الذكر الحكيم واحاديث من سنة النبي الكريم •

يتسابق المصلون الى اتخاذ مكان فيه قبل ساعة او ساعتين من ميقات
الصلاة • فاذا امتلأت رحابه واروقته وصحنه طار الحمام الأمن الذي يلتقط
الحب الوفير من صحن المسجد الى اعلى الاعمدة والاروقة ينظر الى هذه
الجموع الزاخرة في هدوء لا مثيل له • فاذا اطمان بك هذا الرحب الواسع
في وسط هذا الزحام الشديد فانك لا تسمع الا تسيحا ودعاء وصلاة
وتسليما وتلاوة آيات وكلما اقتربت من حجرة النبي اشتد الزحام ورأيت
أكفا مرفوعة وجباها موضوعة وسمعت نشيجا وبكاء وابصرت اكفا
تلمس الجدران وحلقات تستمع الى ادعية المطوف وتردد ما يقول •
ضعف وقوة يبدوان للناظر اينما تلتفت في وسط هذه الجموع
المشتبكة •

يجد الضعف في هذا الكائن المذنب الذي جاء تائباً معترفاً يرجو غفران
ربه ليخلص من عذاب ضميره فيما اقترفت يدها أو جنته نفسه ويدعو الله
في جوار احب الناس اليه •

ويجد القوة في شخصية معتزة قطعت الفيافي وركبت متن السماء
لترى مواطن العظمة والجلال ، لترى مهبط الوحي ونزول الآيات ومكان
تبليغ الرسالة ومصدر التشريع ، لترى منبر محمد الشامخ ينذر ويبشر
ويقراً رسالة السماء من فم جبريل الى الناس كافة •

ويرى مدرسة محمد (ص) فيتخيله يهذب ويعلم ويصنع الرجال
الذين رمى بهم صفحة الدهر ولطم وجه الشر ونثر بهم على العالم ثمرات
الخير والامن والسلام •

أجل هذا هو المكان الذي اختاره محمد (ص) لبث دعوته وتبليغ
رسالته فاذا ارتد اليك وعيك من الخيال السابح الى الحقيقة الواقعة وجدت
نفسك بين القوة والضعف المذنب التائب وقوة المؤمن العابد الشاكر
لله أنعمه على ما هداه الى هذا الدين الواضح في قرآن عربي مبين وسنة
رسول أمين •

اقيمت الصلاة بعد ما تئاب الفجر ورفع الصبح لثامه فنهضت الجموع
من اماكنها تستجيب الى كلمة « الله اكبر » • واذا دوت هذه الكلمة في
أرجاء هذا المسجد المهيب رفّت القلوب بالايمان وخشعت الاصوات فلا
تسمع الا همسا فيه حمد وثناء وتسييح واستغفار •

وقراً الامام في صوته الرقيق الحنون وترتيله السامي في هذا الصباح
الاول من وصولي الى مدينة الرسول « سورة الطارق » حتى اذا وصل الى
قوله تعالى : « والسماء ذات الارجع والارض ذات الصدع انه لقول فصل
وما هو بالهزل » • تمشت في مفاصلي رعدة الجلال وشعرت كأنني لم اسمع
بهذه الآية الا في هذه اللحظة رغم تلاوتي للقرآن الكريم دون انقطاع من
سن الطفولة الى يومنا هذا وايقنت ان قوة الاسلام تكمن في قوة العزم
والارادة وان محمدا (ص) ربي رجاله على هذه القوة • فقد اقسام بالسماء
بافلاكها وابراجها وشموسها واقمارها واجواز فضائها التي تسبح فيها نجومها
وبالارض التي تشقق وتتصدع فتنبت الزرع وتحيي الضرع ويعيش عليها
الكائن الحي من اصغر نامة الى اكبر نسمة •

أجل أقسم محمد أن هذا القرآن قول في جد لا يعرف الهزل وان
الاسلام لا بد ان يثبت وينتصر • كأنه يقول اقسم بعظمة الكائنات انني حامل
رسالة السماء لا انطق عن الهوى انني اريد ان اخلق امة تنشر السلام
والاخاء على الارض فلا انثي ولو وضعوا الشمس في يميني والقمر في
يساري وملكوني كنوز الارض والسماء • وانه لقسم لو تعلمون عظيم •

وعندى ان هذه الآية البليغة الصادقة تمكنت من نفوس مشركي
قريش بل من العرب اجمع فردت صوابهم اليهم واكدت لهم ان الامر جد
« وانه لا بد مما ليس منه بد » فاستجابوا لها • ولا يجيب البليغ الا البلقاء
والبيان مفخرة العرب وموضع تكاثرهم وتفاجرهم ومعجزة القرآن في
فصاحته وبيانه •

فاذا قضيت الصلاة انتشر المسلمون في ارجاء المدينة هذه البلدة
الطيبة • هواؤها عليل وماؤها عذب نмир ، تأتيها الثمرات من كل مكان
وتفد اليها الوفود من ارجاء العالم يعبدون الله في جوار نبيه ويشترون
ويبيعون • شوارع رحبة نظيفة منسقة ونظام للمرور ومريح وحرية واسعة ،
طعامها رخيص • لا احتكار ولا استقلال رغم الزحام وتباين العادات
والاخلاق بين الوافدين • فلقد وحد الاسلام فيهم روح التواضع والتسامح
وزاد في ذلك الطاعة لاولي الامر وارشاد رجال الامن والشرطة وحرصهم
وسهرهم •

وتنتشر في ضواحيها حدائق فيها نخيل باسقة واشجار من العنب
والرمان في خضرة زاهية تسقيها عيون ثرة وفي ضاحية المدينة بحيرة صغيرة
كوتها مياه الامطار المنحدرة من الجبال كانت قبلا تسيل بالوديان والاباطح
وتذهب هباء وقد تنبتهت لها الحكومة فجعلت لها سدا ذا ابواب تفتح وتغلق
شأن كل باب في السدود فاستطاعت ان تقف هذه المياه في هذا المنبطح الواسع
فتكونت بحيرة جميلة عذبة يضخ منها الماء الى مرتفع عال ويصفي فاذا به
عذب سائغ شرابه يسر الشاربين •

ومثلما تنتشر في ضواحيها البساتين تكثر المساجد قديمها وحديثها ومن

أقدم هذه المساجد مسجد قباء أول مسجد أسس على التقوى بعد الأمن والاطمئنان بعد الخوف والهجرة أسس في ضاحية قباء فسمي باسمها واتخذ مكانه في التاريخ الاسلامي لسابقته الاولى في انتشار العقيدة المحمدية ولانه اول محط حطت به راحلة النبي من مكة •

صليت فيه ركعتين شكرا لله تعالى على ما انعم به علي في لحظة من لحظات الحياة ان اقف في هذا المكان الخالد في سجل التاريخ أتذكر مواقف النبي ومواقع ركوعه وسجوده واتخيل حركاته وسكناته • انه مسجد صغير ذو رواق ممتد قصير ومحراب لا نجد فيه زخرفة ولا نقشا ولا التواء واضح كوضوح الشريعة الاسلامية الغراء لا تختلف عنه المساجد السبعة الاخرى في المدينة •

رأيت الناس يدخلون فيه أفواجا ويخرجون أفواجا رأيت شيئا وشبانا والوانا من النساء والرجال كأنهم يستوحون الذكريات مثلما استوحيتها أو انهم يجدون في هذه الزيارة متعة الايمان انهم يريدون أن يروا أول مكان دخل فيه الاسلام قويا آمنا مطمئنا عزيزا ليأخذوا العبرة في المصير والمناجزة عند اشتداد المحن وليستطيعوا أن يحلوا عقد الشدائد بالعزم والارادة • ان عبر التاريخ كثيرة ودروسه هي التي تجدد الحياة وتغير معالمها والقدرات في التاريخ عند الامم من اجل الينابيع التي تخلق الاجيال وتصنع الرجال وفي القدوة بقوة ارادة محمد (ص) وتضحيته اندفاع قوى للشباب العربي المسلم الذي يريد أن يجدد نشاط الحياة العربية الاسلامية ويصونها من الانهيار •

ان في سيرة محمد (ص) والقرآن الكريم عصمة قوية تعصم العقيدة المحمدية من الفناء وانبي واثق أنها لن تفتنى وستغلب على منافذ الضعف فتسدها لانها لا ترضى بالذلة والهوان ولانها تسمو بالنفوس عن التمرغ على أقدام الاصنام والاثوان وغيرها من صنع يد الانسان الى المثل الاعلى حيث الكمال الانساني في صلته بخالق الاكوان •

وفي المدينة قصور عالية طبقات بعضها فوق بعض وفيها فنادق جميلة

يجد الزائر فيها برد الراحة ويتسابق الناس في التناول بالبنان وتنتشر في أرجائها عمارات لا تزال تنتظر تمام البناء ليقم بها حجاج العام المقبل • وتخرقها شوارع واسعة مبلطة اوجدتها جهود المسؤولين وفي اسواقها المترعة بالبضائع والحلي يزدحم البائعون والمشترون والمتزهون الذين يمشون وينظرون وكثير من الباعة اصحاب الحوانيت لا ينتمون الى قريش ولا يعرفون الاوس والخزرج وانما هم من وراء البحار والجبال من الهند من جاوا وفارس وتركستان او من العرب الذين سافر اجدادهم الفوارس البلغاء المثقفون في الدين لنشر العقيدة زمن الفتح الى الشام والبلاد الاخرى ثم عاد هؤلاء احفاد الاحفاد تجارا يبيعون ويشترون ويتفاهمون في لهجات فيها رطانة بعيدة عن الفصاحة ومن اهل البلاد الذين افسدت لغتهم اختلاطات العجمة كما حدث في سائر البلاد العربية فلم تعد لهم صلة بتلك الاندية الحافلة بفصحاء قريش وبلغاء الانصار ولم يعد المرء يسمع قولاً بليغاً مثل قول خارجة عندما قدم النبي الى المدينة « عندنا يارسول الله في العدد والعدة والمنعة » ولا يسمع قول سعد بن معاذ سيد الاوس في نخوته بين يدي رسول الله عندما عزم على مقابلة قريش في موقعة بدر بهذه البلاغة الواضحة والبيان المشرق والارادة الصادقة والتأييد المطلق •

« قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهدنا وموائقنا على السمع والطاعة • ولعلك يا رسول الله تخشى ان تكون الانصار ترى عليها الا ينصروك الا في ديارهم وهأنذا اقول عنهم واجيب فاضعن حيث شئت وصل جبل من شئت وعاد من شئت وخذ من الاموال ما شئت وما اخذت منا كان احب الينا مما تركت ، فامض يا رسول الله لما اردت فنحن معك والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر في الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك » • أجل انك لا تسمع هذه البلاغة لان العرب تركوا تراثهم ومالت بهم الحياة عن العلم منذ ان تركوا سنن الرسول وما اثر قادة العرب

الفاحين وفقهائهم المشرعين وفي الافق أمل مشرق ان تعود للمدينة نهضتها
بجامعتها التي يتناول بانيها في الافق ولعلها تشرق بالبيان العربي وتسمو
بفقه القرآن وتعود كما كانت مصدر التشريع والهداية والرجولة •

وفي ليلة مباركة صافية الاديم طيبة الهواء وفي ساعة متأخرة من الليل
حين فرغ المسجد من المصلين العابدين وحين أوى فريق من الحجاج الى
منواهم وانتشر فريق آخر حول المسجد يتوسدون امتعتهم على بسط خفيفة
ومن حولهم الباعة المتجولون قد لموا بضاعتهم وطووا عليها اغطيها فمنهم
من توسدها ومنهم من تركها ليد الامن وفي هذه الساعة المتأخرة اذن لي
ولرهب من المؤمنين اخوتي ان ندخل المسجد ونقف في رحاب العبقرية
والجلال وقد استقبلنا فيه رجل ذو شية وهيبة ومن حوله رجال أشداء
هم البقية الباقية من عمومة بلال الحبشي أول رجل ارتفع صوته بأجل كلمة
عند المسلمين كلمة « الله اكبر » وبأعظم نداء هو نداء الاذان لاقامة الصلاة
 واجتماع كلمة المسلمين وتوحيد صفهم • هؤلاء الرجال الاشداء الذين هم
على الاكثر من عشيرة بلال أو من احفاد احفاده اعتادوا ان يحرسوا ضريح
النبي ويخدموه والذين هم في مكاتهم مثل رائع في حضارة العرب والاسلام
وصوت صارخ في وجه حضارة الغرب التي تؤمن بالتميز العنصرى بل
صوت مدو يعلن ان الاسلام لا يعرف ابيض ولا اسود وان الذي يحرسه
هؤلاء ائمن ذخيرة في وجود العرب والمسلمين وان حراستهم ما هى الا
الوفاء والاعتراف بهذا الفضل الكبير لهذا العبرى العظيم الذى ساواهم مع
اخوانهم المؤمنين ووضعهم في المحل الارفع • فلما وقفنا في جانب الضريح
بان لنا ثلاث فتحات دائرية الشكل • فقال الرجل : ها هو ذا ضريح
المصطفى ، وها هو ذا ضريح صاحبه أبى بكر الصديق وها هو ذا ضريح
صاحبه عمر بن الخطاب • اجل هذه هى مدرسة العبقرية تجتمع في هذا
المحل الجليل وها هو ذا صانع الرجال محمد وها هماذان ابو بكر وعمر
تلميذان تخرجا في مدرسته وتكوينه وهامم هؤلاء الثلاثة يوحون للواقف
امامهم بالهبة والجلال ويملاون سمعه وبصره وفؤاده بالحقيقة الواضحة

تلك هي : ان الوحدة في العقيدة الصافية والايمان الصادق والتضحية والفناء في الله وانكار الذات لانقاذ العالم من الشر والفساد وايجاد مجتمع فاضل ، كل اولئك هي القواعد التي رسخ عليها بناء الاسلام الشامخ ومجد هذه الامة وما ارووع الفضيلة انها تسبخ على المرء الهية والجلال • لقد ملأ هذا الموقف جوانحي فتلوت الآية الكريمة : « تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » •

وايقنت ان روح محمد ترف حول جسده الكريم الثاوى في هذا المكان الجليل وتشرف على العالم لاتزال تهذب وتعلم وتوحي بالقوة والعزم والحفاظ على شخصية المسلم والاسلام ما أروع تعاليم محمد واجلها ، لقد حرص ان تكون للمسلم شخصية مستقلة وان لا يكون تبعا لغيره لان التبعية لا يأتي بشيء فتلا على أمته الآية الكريمة المنزلة « ولا تأمنوا الا لمن تبع دينكم » وتلا قوله تعالى : « الذين يتخذون الكافرين من دون المؤمنين ابنتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا » • وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » • وقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين » انه لا يريد بذلك الا عصمة شخصية الاسلام وشخصية المسلم من الفناء في غيرها •

ولا يريد بذلك الا التحذير والانذار لامته خوف أن تتكالب عليها الامم تكالبها على قصعة الشريد ، وقد حدث ما وقع عندما ضعفت شخصية المسلم فانفلت المستعمرون الى المسلمين من ثغور الضعف يستغلون بلادهم ويستثمرون خيراتهم • لقد اراد محمد أن يقول لامته انني اخاف عليكم ان تضعف شخصيتكم فتتهدر اليكم آراء وافدة ليست من دينكم ولا من تقاليد العرب ومبادئ في نواجزها الشر وفي انيابها العطب تتسرب اليكم خرافات الامم من قبلكم ووثنياتهم فتعبدون الاصنام من بعدى • ولا شخصية لمن يتمرغ على اقدام الاصنام ولا شخصية لمن تستولى عليه الخرافات ومن يفقد شخصيته فهو عبد ذليل • والذليل لا يبدع • ولقد جئتكم مبدعا منشئا

وعلمتكم سبل الابداع •

ما اجلك حين اوصيت القوم « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم وجوه بعض » كأنك تشير الينا بان لا تفرق احزابا سيئة يضرب بعضنا بعضا فينفذ العدو الينا من ثغور الضعف •

ان روحك السامية لا تزال تهز الشباب العربي المسلم في كل لفظة من اقوالك الصادقة وفي كل سورة من آيات كتاب الله المنزل عليك وتوحي اليهم أن عليهم واجب اداء الرسالة حق ادائها وان عليهم ان يجددوا شباب العالم ويبعثوا فيه السعادة وان في دين محمد ينبوعا غزيرا لا ينضب في تكوين الامم وتطويرها انك ثابو بين صاحبين من الصحابة الاجلاء الذين عمروا الدنيا بمبادئك وخلقك العظيم وعلموا الناس كيف تكون الصحبة وكيف يكون التهذيب وكيف تكون التضحية • ما اجلك واعظك حين اشتد عليك المرض ففرع المسلمون وخافوا عليك واضطربوا فخرجت اليهم وجلست على منبرك هذا الذي اراه أمام عيني فخطبتهم وقلت :

أيها المسلمون :

- بلغنى انكم تخافون من موت نبيكم
- ان كل الانبياء السابقين ماتوا وانا مثلهم
- أوصيتكم بالمهاجرين الاولين خيرا
- واوصى المهاجرين فيما بينهم
- واوصيتكم بالانصار خيرا
- احسنوا الى من احسن من الانصار وسامحوا من اساء
- ما اروع الوفاء وما اجل الحلم

وفاء فيه ذكرى جهاد المهاجرين الاولين معك وصحبتهم لك وفيه اعتراف بفضل الانصار وكفى بهذه الكلمة ثمنا عظيما • انهم الانصار الذين نصروك على الحق ووقفوا دونك يردون عنك العوادي وساروا معك الى حيث تشاء واعطوك من اموالهم ما تشاء ما أروع خطبتك هذه •

فيها اخاء بين المهاجرين فيها ثواب المحسن والعفو العام الشامل عن
المسيء •

تلك هي كلماتك لا تزال ترن في اذن الدهر تعلم الناس مكارم
الاخلاق ومعنى النبوة والمثل الاعلى الكامل • وحين ألح عليك المرض فلم
تستطع أن تقف على المنبر وصلت في صلاة الصبح عن يمين أبي بكر
وهو يصلي بالمؤمنين فلما انتهت الصلاة قلت للناس ايها المسلمون :

اني والله لم احل الا ما احل القرآن
ولم احرم الا ما حرم القرآن
ايها المسلمون :

من ضربت ظهره فهذا ظهري فليضربني
ومن شتمته فليشتمني

ومن اخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه •
فقام رجل من المسلمين وقال : يارسول الله : لي ثلاثة دراهم عندك •
فاعطيته ما طلب •

لقد وجهت الناس في كلامك هذا الى منبع شريعتك الى القرآن الذي
وضع حدا بين الحلال والحرام وفي هذا التحديد عنوان الحضارة والعدالة ،
ومتى ما تمت معرفة الحلال من الحرام ومتى ما حافظت الدول على
احترام هذا الحد نعمت اممهم بالسعادة والرفاه وساد فيها الاستقرار
والامن • غمضت عين محمد يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع الاول
من السنة الحادية عشرة من الهجرة وفي اليوم الثامن من حزيران من
السنة الثانية والثلاثين بعد ستمئة من ميلاد المسيح على اصح الاقوال
وتليت على وجهه الكريم آية : « انك ميت وانهم ميتون » •

ذهل المسلمون لهذا النبأ العظيم وعجبوا أن تكون هذه القوة الإلهية
تختفي من الوجود •

أجل لقد اخفى جسد محمد (ص) وخلدت روحه في الرفيق الاعلى
ولا تزال تشرق والقرآن الكريم ينطق بما تريد وبقي المسلمون على

ذهولهم لا يصدقون ولا يدرون ما يقولون حتى دخل على النبي صاحبه في
الغار وصاحبه في الهجرة وضحجه في الضريح بعزم ثابت و ارادة صامدة معتزة
بروح من عند الله فكشف عن وجهه الغطاء وقبله وقال : « افيديك يارسول
الله بابي وامي طبت حيا وطبت ميتا » •

واقبل على الناس وصعد المنبر فقال :

أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد
الله فان الله حي لا يموت •

وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم ؟ ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي
الله الشاكرين •

فلما سمعها المسلمون ادركوا ان الامر جد وعرفوا الحقيقة وثبت في
نفوسهم ان الله متم نوره وان الاسلام سيخلد وان الفناء طبيعة الكائن •

هكذا مرت بي حوادث التاريخ في هذه الوقفة المباركة ثم التفت الى
الدائرة الاخرى حيث الضجيج الاول •

الضَّبَجِيُّعُ الْأَوَّلُ

والتفت الى الضجيع الثاوى في جوار كتف محمد (ص) الى : ابى بكر
فتمثل لي بوجهه الابيض المعروق وجبهته الطالعة وعينه الغائرتين وانفه
الاقنى وقامته الطويلة النحيلة واجتمعت هذه الصفات بمخيلتي فاذا بها هى
التى اسبغت على روحه صحة العزم وقوة الارادة وهدوء الطبع ولين العريكة
وشفقة الاباء فكان الوزير الاول والرائد الثاني •

لقد أسلم ابو بكر وهو في نضج الرجولة عارفا بأحوال قريش ضليعا
بانسابها محبوبا بين بطونها وقبائلها لطيف المجلس عذب الحديث سهل
الطبع امينا يثق به قومه •

والثقة اذا توفرت في المرء كانت عنوان اكباره واجلاله فالتف حوله
قادة الرأى والعزم من شباب قريش فأسلم على يده عثمان بن عفان والزبير
بن العوام وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيدالله
فكانوا جماعة مباركة قويت بهم شوكة الاسلام دلف هذا الرهط القومى

الى محمد بن عبدالله والنفوا حوله فصلى بهم وقال : (ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما ردد فيه) • وتلكم هي صفات الشجاع والشجاعة من المثل العليا ، ومن يصطحب المثل العليا يجد النجاح يمشي في ركابه وهكذا مشى النجاح في ركاب ابي بكر فهو الوزير الصديق وهو الاخ العتيق وهو صاحب الرقيق القلب الذي دمعت عيناه حين جاء اليه النبي فقال له : (أمرنى ربي بالهجرة) فقال الصحبة ، الصحبة يا رسول الله فقال له النبي : الصحبة • فتهلل وجهه بالبشر ودمعت عيناه دموع الفرح فكان (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) •

ما أمضى قوة الارادة اذا التقت بمثلها فاجتمعتا على الحق انها تركب الهول وتعصى وساوس شياطين الانس والجن ولا تنظر الا الى العدو كيف ترهبه والى الصعب كيف تلينه والى طريق الحق كيف تركبه •

كانت دعوة الاسلام في خطر ولا بد من اتقائه ولا يمكن اتقاؤه الا بالهجرة لتكون في منعة من ايدى الاعداء • وهكذا ركب محمد (ص) طريق الحق مع صاحبه وسارا يقطعان على راحلتيهما السهول والوديان والتلال في الليل والنهار على طريق أمعز لا يشبه هذا الطريق الواسع اللاحب المنبسط ولا تستطيع الابل في ذلك الوقت أن تغذ السير مثلما تنهب السيارة صدر الارض وتطوى السهول والوديان وتمر مر السحاب •

استقر المقام بهما في هذا المكان الذي يثويان فيه ولزم كل منهما صاحبه ، كان أبو بكر صاحب محمد وكان محمد رسول السماء ومنشئ أمة ومعلم جيل وكانت دروس محمد تبني شخصية أبي بكر فيزداد سموا في اعين القوم وترتفع مكانته في مجلس النبي صعدا حتى سمي وزير محمد وهو أول لقب اعطي في صدر الاسلام وفي دروس محمد اجتمعت لابي بكر قوة الارادة ومضاء العزم ولين العريكة وصلابة العقيدة والتواضع والدمائة •

وهي صفات تؤهل الذات لقيادة أمة الى فجر مشرق جديد ومجد
• طريف

كانت القيادة لمحمد (ص) وكان محمد ينتظر الوحي وما كان
لصحابة غير المشورة والدراسة والطاعة عندما ينضح الرأي وتقول السماء
• كلمة الفصل

فلما أغمض النبي (ص) جفنيه واضطرب المسلمون برزت مواهب
أبي بكر ونظر الى وجه حبيبه في مكة وصديقه في الغار ورفيقه في الهجرة
واستاذه في العقيدة والتشريع والدفاع عن الدعوة فقال : (بأبي أنت وأمي
طبت حيا وطبت ميتا) • وخرج على القوم يدعوهم الى الصبر ويحثهم على
الثبات ويتلو عليهم آيات الكتاب : (وما محمد الا رسول قد خلت من
قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه
فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين) •
ويقول :

(أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد الله فان الله حي لا يموت) •

فكانت هذه الخطبة أول ثمرة من ثمرات مدرسة محمد فيها صلابه
العقيدة وفيها الايمان بالسماء وفيها الاعتراف بان الكائن الحي والجماد
لا تلازمهما في الوجود صفة البقاء وان الباقي الوحيد هو إله السماء الذي
لا يعبد أحد سواه وفي هذه الخطبة قوة الشخصية التي صبها محمد في
أصحابه ورمى بهم وجه الدهر • وهنا تفتحت عيون القوم على الحقيقة
الواضحة ومشى ابو بكر وزمام الامر بيده ثم وقف والتفت الى الناس
وقال : (ان أقواكم الضعيف عندي حتى آخذ له بحقه وان اضعفكم عندي
القوى حتى آخذ الحق منه • ان احسنت فاعينوني وان أنا زغت فقوموني
لا يدع أحد منكم الجهاد فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل) •

كأنّ أبا بكر كان يريد أن يقول للناس : لقد أصبحنا عرضة لامتحان
الزمن فيما أفدنا من رسالة محمد فلنثبت للتاريخ اننا نريد ان نقطع مسافاتنا

بقوة أرادتنا وصدق إيماننا وإن هذه الأمة التي أنشأها محمد وسجل عليها
أنها خير أمة أخرجت للناس لن ندعها تسقط في الامتحان وأنا سندفعها الى
مراحل الابداع •

إن إرادة الرجولة التي أوجدها محمد فينا تأتي أن تركز الى الذلة
بعد العزة وإن الفضائل التي ملأ بها جوانحنا فحلقت بنا الى الاعالي لا ترضى
أن تسف الى الارض اننا لا ندع هذه الفضائل تصل في البيداء انها روح
هذه الأمة وعقلها فاذا تخلينا عنها عدنا الى الجهالة الجهلاء والضلالة
العمياء • إن العرب شرعت تعيد جاهليتها جذعة والله لن أدعها تفعل ذلك
(والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عقالا يودونها
الى رسول الله لقاتلنهم على منعها) •

فاستيقظوا فإن مستقبل العرب والاسلام أصبح بأيديكم اجعلوه تهب
عليه النسمات ولا تدعوه عرضة للعواصف لقد اختارتكم العناية الالهية لاداء
رسالة الوجود ومنكم سيكون الشعب الذي يحطم قيود العبودية وينشر
المساواة بين الناس • انكم تحيطونني بالاجلال والكرامة فان احسنت فاعينوني
وان أنا زغت فقوموني • بهذا السمو سار الضجيع الاول سيرة الوالي الحكيم
والقائد اليقظ الواثق بنفسه فأنفذ جيش اسامة الى الشام وهو يقول :

(والله لو أني علمت أن السباع تأكلني في هذه المدينة لانفذت جيش
اسامة ولن انقض أمرا هياه الرسول ولن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) • ثم
أوصى هذا الجيش بالوصية الخالدة (لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا
تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا
ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا للمأكلة) •

ما أروع هذه المثل العليا في حروب الامم وما أرفع شأن الاسلام في
التعمير وما ابعده عن التدمير • انه مثل من أمثلة السماء صبه الله في قلوب
هؤلاء الرجال النابتين في الصحراء الساكنين بواد غير ذي زرع ليلقوا على
الناس دروس الفضيلة في كرامة الانسان وقيمة الاشياء •
حفظ أبو بكر الاسلام من الردة فركز قاعدة المجد • واعاد الزمام

الى يده وأنفذ جيش اسامة فعاد منتصرا في غزوة قضاة وظهرت قوة
الاسلام •

وبعث خالد بن الوليد الى العراق فانضم الى المنى فكان النصر حليفهما
في المواقع كلها ووجه جيوشا اربعة الى الشام فاجتمعت في اليرموك ووجد
قيادتها وتعبتها خالد بعد الاستنجاد به ومجيئه من العراق ووقعت موقعة
اليرموك فانتصرت جيوش العرب على الروم وفي انتصار اليرموك جاء نعي
أبي بكر فاهتز العالم العربي لوفاته وسمع أبوه الشيخ الكبير أبو قحافة
فقال (رزء جليل) •

نعم أنه رزء جليل لصحبة جليلة وقدر رفيع ان تكون الصحبة حيا
وميتا ونوى الضجيع الاول بجانب صاحب الرسالة العظيم •

الضَّجِيعُ الثَّانِي

والضجيج الثاني ثالث اثنين في هذه الروضة المثقلة بالمجد والسؤدد
يرقد عند حقوي الضجيج الاول مر بخيالي شخصه العظيم فتمثل لي بقامته
الفارعة ورأسه الاصلع ووجهه المشرق بالحمرة وانفه الاقنى ولحيته الكتنة
تمثل لي في رجولته وقوة بأسه وشدة عزمه في رحمته وعطفه وبره بقومه
ومر بخاطري ما حدثنا به التاريخ عند مشرق الدعوة الاسلامية كيف كان
عمر قاسيا شديدا البأس يجد في دعوة الاسلام خروجا على تقاليد قريش
وعاداتها وجحودا لدين آبائها وعبادة آلهتها وكيف توشح سيفه يريد أن
يخلص العرب من هذا الذي فرق قريشا وسب آلهتها هذا الجبار المعارض
الذي كان لا يخشى أحدا من صناديد قريش ثم تمثل لي مطرق الرأس
خاشع البصر حين سمع صوت القرآن في بيت أخته يجلجل بالتوحيد ويدعو
الجباه الذليلة المتعففة على أقدام الاصنام أن ترتفع بالعزة الى صفحة السماء
لتعبد الها واحدا لا إله غيره •

ان العقول الجبارة تقدر فيها الفكرة الصائبة عند اصطراع الرأي اسرع مما تنقدح الشرارة في الزناد الوارى وفي هذا الانقذاح تفصح عندها الحقيقة وتلمع الفضيلة ، وهكذا كان شأن عمر بان له نور الاسلام يسطع في أرجاء مكة لينير العالم وتبينت له وحدة العرب التي كان يخاف عليها قوة هائلة تحرس هذه الدعوة التي سينبعث عنها عالم جديد في هذا الوجود • فدلغ ورعدة الرهبة تسرى في جوانحه يريد محمدا واصحاب محمد حتى اذا وصل الى دار الارقم المجتمع الخفي الذي كان يجلس فيه المؤمنون بينهم حمزة وأبو بكر وعلي وبلال • فلما قرع عمر الباب جاء صوت بلال يسأل ، فأجابه : أنا ابن الخطاب فرجع الى رسول الله يقول • (ان ابن الخطاب بالباب واننا نخاف أن يفرض علينا أو أن يطغى أن فتحنا له) فقال رسول الله ادخله فان اراد خيرا بذلناه له • وقال حمزة وان اراد شرا لقي ما هو أشر منه وذهب بلال يفتح الباب لعمر • فلما وقف عمر امام رسول الله قال له : فيم جئت يا ابن الخطاب ؟ قال جئت أشهد بين يديك : ان لا اله الا الله وانك رسول الله • فما كاد عمر يعلن اسلامه حتى اهتزت جوانب الدار بصيحة واحدة : الله اكبر • الله اكبر الله اكبر •

مشهد رائع اصطرعت فيه قوتان قوة الارض وقوة السماء قوة الارض متمثلة في لامة من العقائد أو جدها عقل الانسان لم تبعد عن صنم منحوت من صخر واسطورة مفتعلة • وقوة السماء يدعو لها وحى مبين منزل وقول فصل لايجاد أمة كريمة تحمل معاني المروءة الكاملة والشخصية المتميزة في الوجود لتبدع وتنشئ • وكانت هذه الشخصية تملأ قلوب المؤمنين قوة وتزيدهم اعتزازا على قلة وهي صفات تلائم شخصية عمر وتوافق طبيعته وتكوينه فأسرع اليها بنفسه دون أن يأخذ بيده احد فلما دخل الايمان في قلبه وجد مهاده وعزه •

التفت عمر الى رسول الله فقال : يا رسول الله السنا على الحق ان متنا أو حيننا ؟ قال محمد : بلى ، والذي نفسى بيده انكم على الحق ان متم وان حينتم • قال ففيم الاختفاء يا رسول الله ؟ فقال لاننا لا نزال قلة

واعداؤنا كثيرون • قال عمر : والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم • والذي بعثك بالحق ما بقي مجلس كنت أجلس فيه بالكفر الا اظهرت فيه الاسلام • فكان هذا اليوم بدء شروق الاسلام وبدء الاعلان جهرا وفي هذا اليوم شرع عمر يدعو الى دين محمد بمثل القوة التي كان يعارض بها الاسلام وينهى عنه وفي هذا اليوم خلع محمد على عمر لقب الفاروق اذ فرق الله به بين الحق والباطل •

عجيب أمر هذا الوادى الذى لا ينبت الزرع كيف انبت هؤلاء العباقرة وكيف كان يصنع الرجال ويصوغ النفوس السامية التي تتجلى لها عظمة مبدع الكون لقد اثبت محمد ان بين رجاله وبين الله عروة لا انفصام لها لقد نشأهم على العزة والطاعة • أطاعوا الله فعزوا ووهبوا امتهم حكم العالم والخلود وهبوا التشريع والادب الرفيع وهبوا الحياة بكل معانيها اولئك هم صانعو مجد الاسلام ومهذبو تراث العرب هؤلاء هم المثل العليا وهم السر الخفى الذى يهمس في اذان فتيان العرب أن الجزيرة العربية ولود تلد العباقرة تلد القادة ففتشوا عن قادتكم بين احياكم ومجامعكم فانكم واجدوهم واياكم وتقليد من لا يمت الى العروبة والاسلام بشيء • مشى ابن الخطاب في صحبة رسول الله قوى الجانب صادق الرأى ليس له من الامر شيء الا مشورة تطلب منه عند احتدام النقاش وهو طوال حياة محمد يستمع القول ويتفهم الدرس ويترسوم افعال الرسول ويحفظ اقواله •

آمن فيخاف الله وتحول جبروته في الجاهلية الى قوة مبدعة في الاسلام فهو قوى على الباطل حتى يدمغه وهو قوى في الحق حتى يستخرجه وهو القائد الذى لا ينام حتى يرى النصر بعينه وهو الراعى الذى لا يجلس حتى يطمئن على راحة رعيته • وكان أبرز ما في خصائصه الحزم وكانت شدته تنمو كلما اشتد ابناء هذه الصحراء قوة وبأسا كان يريد ان ينشئ أمة تستقر لتبدع وتشرع وكان يقول : (انما مثل العرب مثل جمل انف اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده فأما أنا فورب الكعبة لاحملنهم على الطريق) • وهذا منتهى الثقة بالنفس ومنتهى الحزم في تكوين الامم •

لقد اجتمع لعمر اللين والرحمة مع الشدة والقسوة ، وكان العدل ميزانا بين اللين والشدة وبين الرحمة والقسوة وكانت ارادة عمر المبدعة هي التي تضع الامور في نصابها • وهي موهبة لا تكمن الا في صدور العباقرة •

بهذه المثل العليا حمل عمر أمة العرب على الطريق فسار النصر في مواكبها طوال حكمه ومشى المجد في ركابها طوال حياته • ولماذا ؟ ألم يكن عمر بشرا كأمثاله من بني البشر ؟ بلى ! انه كذلك بيد انه تخرج في مدرسة محمد صانعة الرجال وكان أبرز ما في هذه الصنعة هو التغلب على الذات ، لقد تغلب عمر على ذاته وغلبها على أمرها فانطلقت من القيود وعرفت سر وجود الامة العربية في شعار (اطلب الموت توهب لك الحياة) وهو شعار فيه انكار الذات والتضحية في الوقت وفي المسرات والملاذات والاتجاه الى الابداع في اندماج وصبر من أجل الانسانية •

ولولا ذلك ما قال عمر في خطبة له : (اني قد وليت عليكم ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم واقواكم عليكم وأشدكم استضلاعا بما ينوب من مهم أموركم ما توليت ذلك منكم) كان عمر واثقا من نفسه في السيادة لان ارادة القوة كامنة بين جوانحه وانكار الذات يحتل سويداء قلبه وفي ارادة القوة وانكار الذات يبرز السؤدد •

ساس عمر الدولة وحمل العرب على الطريق واختار العمال ليسوسوا البلاد ويكرموا العباد وكان كثير التوفيق في اختياره وايماء عامل لا يمشى على طريق عمر لا يجد له مكانا في الدولة كان يبعثهم الى الاقطار ويشيعهم ويقول لهم :- اني لم استعملكم على امة محمد -ص- على اشعارهم ولا على ابشارهم انما استعملتكم عليهم لتقيموا بهم الصلاة وتقضوا بينهم بالحق وتقسموا بينهم بالعدل • وكان يقول : (اربع من اصل الاسلام لست مضيعهن ولا تاركهن لشيء ابدا : القوة في مال الله وجمعه حتى اذا جمعناه وضعناه حيث امر الله وقعدنا آل عمر ليس في ايدينا ولا عندنا منه شيء • والمهاجرون الذين تحت ظلال السيوف ألا يجبسوا ولا يحجروا وان يوفر فيء الله عليهم وعلى عيالهم واكون انا للعيال حتى يقدموا ، والانصار

الذين اعطوا الله عز وجل نصيبا وقاتلوا الناس كافة ان يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وان يشاوروا في الامر • والاعراب الذين هم اصل العرب ومادة الاسلام ان يؤخذ من صدقتهم على وجهها ولا يؤخذ منهم دينار ولا درهم وان يرد على فقرائهم ومساكينهم •

يرى عمر ان العرب مادة الاسلام ويرى فيهم القوة التي تحفظ العقيدة من الاندثار ويجد في عزهم عز الاسلام • وهو ابو عيال المهاجرين الذين يمشون تحت ظلال السيوف ينشرون عقيدة الاسلام ويحررون الناس من العبودية ويخرجونهم من الوثنية الى العزة والايمان لا يمنعهم ولا يؤخرهم يشرف على اطفالهم وعيالاتهم ويجزل لهم العطاء فلا يجعل لهم هما غير ما يهتمون به في نشر عقيدة السماء • فرض عمر للناس العطاء من بيت المال وكتب الدواوين فبدأ بقرابة رسول الله ثم الاقرب فالاقرب ووضع آل الخطاب حيث وضعهم الله وهو يقول :- ان العرب شرفت بمحمد والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة فلا ينظر رجل الى قرابة وليعمل لما عند الله فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه وكان يحمل الديوان بيده فاذا نزل خزاعة دعا اسرها اسرة اسرة فلا يغيب عنه امرأة بكر ولا ثيب فيعطيهن في ايديهن وينزل عسفان فيفعل مثل ذلك ويقول :- والله ما من احد الا له في هذا المال حق اعطيه او منعه وما احد احق به من احد الا عبد مملوك وما انا فيه الا كأحدهم ولكننا على منازلنا من كتاب الله وقسمنا من رسول الله • والرجل وبلاؤه في الاسلام والرجل وقدمه في الاسلام والرجل وغناؤه في الاسلام والرجل وحاجته والله ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو مكانه •

وقال :- لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الاغنياء فقسمتها على فقراء المهاجرين •

وكان يقول لئن عشت ان شاء الله لاسيرن في الرعية حولا فاني اعلم ان حوائج تقطع دوني اما عمالهم فلا يرفعونها الي واما هم فلا يصلون الي فأسير الى الشام فاقيم بها شهرين ثم اسير الى الجزيرة فاقيم بها شهرين ثم

اسير الى مصر فاقيم بها شهرين ثم اسير الى البحرين فاقيم بها شهرين ثم اسير الى الكوفة فاقيم بها شهرين فالبصرة والكوفة والبحرين والجزيرة ومصر والشام موطن العروبة ومادة الاسلام وكان يطوف بالاسواق يقرأ القرآن ويقضى بين الناس حيث ادركه الخصوم .

سأل عمر احد صحابة رسول الله : (املك انا ام خليفة ؟) فقال له ان انت جيتت من ارض المسلمين درهما او اقل او اكثر ثم وضعته في غير حقه فانت ملك غير خليفة فاستعبر .

ما اروع هذا السؤال ؟ ان عمر يريد ان يقف على رأى الناس فيه ، هل استطاع ان يؤدي امانته التخرج في مدرسة محمد وهل سار على سيرته وخلفه في امته في حق الخلافة .

اجل ! لقد ادى الامانة ولكنه تواضع في سمو ، واعتزاز في رقة ورافة .

حكم عمر فتدفق ابداعه تدفق الجداول في الارض لينبت الزرع ويدر الضرع وانتشر عدله يظلل الناس كمثل الغمامة في يوم الربيع .

واتجه الى العراق فعبا له جيشا لجبا وولى قيادته سعد ابن ابى وقاص وقال له قد ولتلك حرب العراق فاحفظ وصيتي فانك تقدم على امر شديد كريبه لا يخلص منه الا الحق فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به واعلم ان لكل عادة عتادا فعتاد الخير الصبر فالصبر الصبر على ما اصابك او انايك .

وسار هذا القائد المحنك والنصر يسير في ركابه ويظلل عساكره ظل الله في الخشية والرهبه والايامن حتى اذا فتح الله عليه وقف وصلى ركعتين فوق منبسط المدائن وتلا قوله تعالى : « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين واورثناها قوما آخرين » .

فلما انبسط امامهم هذا السواد الخصب في رافديه الهادين واستحلب افواههم هذا النعيم المقيم دلفوا الى عمر يريدون تقسيم الارض بينهم لانهم

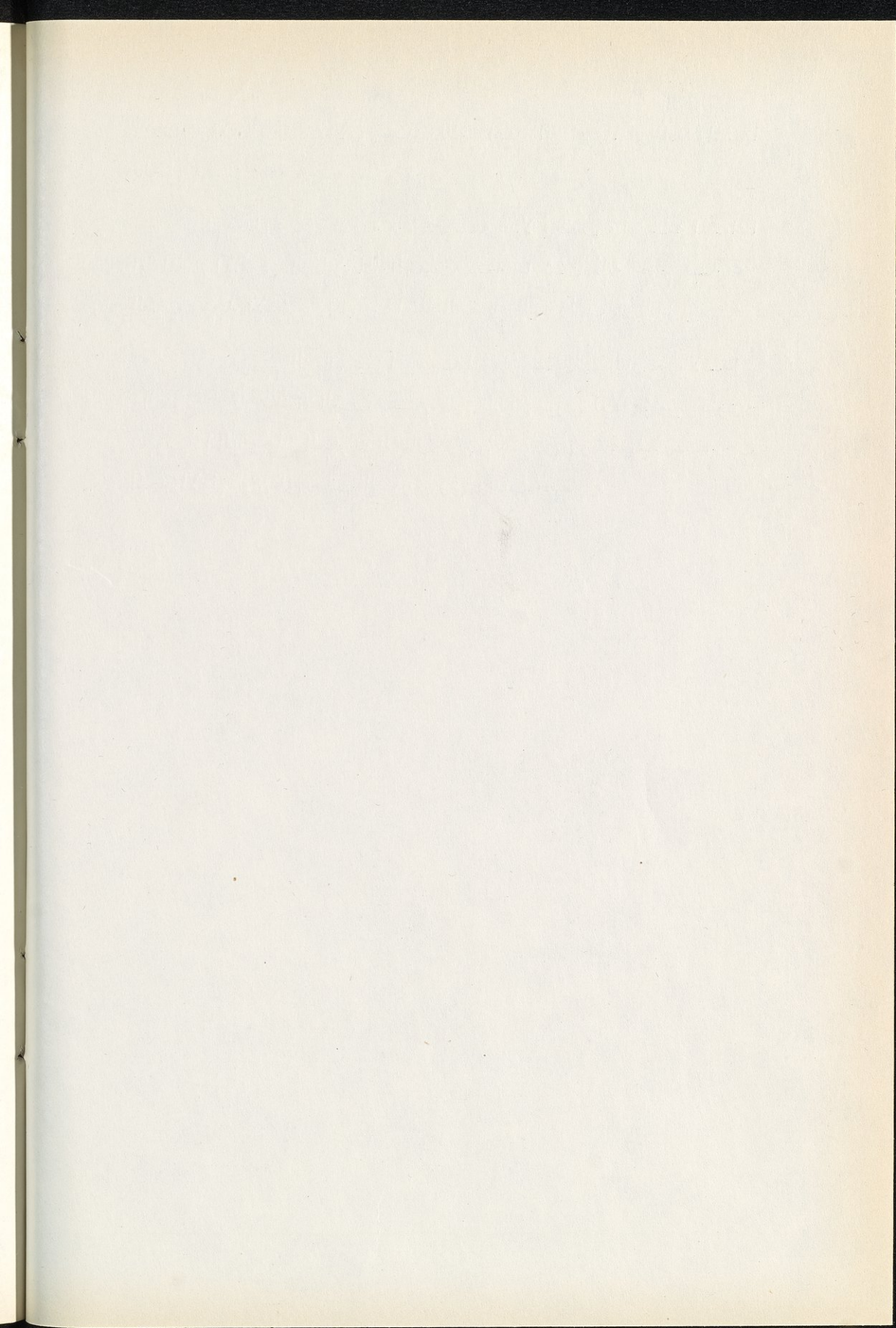
الفاتحون الغالبون فهاله الامر لاول وهلة ودعا اصحاب رسول الله للشورى فانقسم الجمع فريقين فريق مع عمر وفيهم علي ابن ابي طالب يأبى توزيع الارض ويريد أن تبقى بيد اهلها فهم الخيرون وهم المتدربون العارفون كيف يبذر البذر وتسقى الارض وينمو الزرع اما الفاتحون فهم أخبر بشؤون الحرب على ظهور الخيل وتحت ظلال السيوف ينشرون العقيدة ويحمون الثغور فتغلب هذا الرأي وبقيت الارض بيد اهلها وأمر عمر فمسحت ارض العراق فكانت اثنين وثلاثين ألف ألف جريب ووضع على كل جريب درهما وعلى كل نخلة خمسة دراهم وعلى كل كرمة خمسة عشر درهما فامتلاً بيت المال بهذه الثروة الهائلة والخراج العادل .

ما تخرج عمر في احضان الجامعات ولا بحث في نظريات الاقتصاد ولا علم فقه الرومان انما تخرج في مدرسة محمد (ص) فحكم فعدل وعبأ الجيوش وفتح الفتوح واختط المدن : اختط البصرة والكوفة وجبله وتوج والفسطاط وغيرها ووضع التأريخ وكتب ديوان الأسرة وديوان الجيش وجبى الاموال ووزع الثروة توزيعا عادلا ورفع شأن الاسرة . ما استنزل احدا ولا صادر مالا ولا أمم مشروعا ، جعل الفرد يعمل والاسرة تعمل واعز كرامة الاثنيين وجعل بيت المال للمسلمين دون أن يحدث طبقة مفتعلة ودون أن يحكم طبقة في رقاب طبقة اخرى . وضع نظام الخراج كما تعلمه من القرآن وقضى بين الخصوم بشريعة الله ورفع اسم القضاء وجعله مستقلا وقال في رسالته الى ابي موسى الاشعري . « ان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذا ادلى اليك فانه لا ينفع تكلم » بحق لا نفاذ له آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يبأس ضعيف من عدلك . اليئنة على من ادعى واليمين على من انكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا . لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف

الاشباه والامثال فقس الامور عند ذلك واعمد الى اقربها الى الله واشبهها
• بالحق

حكم فعدل : سمَّ حكمه ما شئت سمه عدلا فحسب ، أو سمه اجتماعيا
او اشتراكية في اصطلاحك الحديث سمه ما شئت فانه حكم فيه عز
العرب ومجد الاسلام ومثل من أمثلة العبقريه التي ولدت في الجزيرة •

ملأ عمر فم الزمان عزا ومجدا وملأ صحائف التاريخ بالابداع
والتكوين وكاد تاريخ العرب يمشى على طريق سوي لولا مؤامرة يهودية
مجوسية اطفأت هذه العبقريه الجبارة وثوى عمر في روضة يقيم بها صاحب
المجد الاول ثوى الى جانب الصديق وفي رحاب محمد •



البقيع

وعلى بضع مئات من الامتار من مسجد الرسول يقع البقيع هذا الموضع الذي يضم رفات جماعات ملأت أعمالهم صحائف التاريخ وشغلوا العالم فلما وافيناه الفينا عليه بابا مقفلا يزدحم الناس حوله فلما اذن لنا الحارس دخلنا وخلفنا وراءنا النساء اذ لم يسمح لهن ، فلما توسطته رأيت منبسطة فسيحا تدور حول بعض قيعانه حواجز من الاسمنت يمشى عليها الزائرون كيلا يدوسوا القبور الدوارس فوقفنا ووقفت جموع كثيرة في اماكن متعددة • ولكل جمع دليل او مطوف كما يقولون يدل الناس على من تحت الارض ويقرأ كلاما محفوظا مكرورا والناس يرددون معه ادعية فيها السلام وفيها الرجاء وفيها المغفرة يتخلل بعضها نسيج وبكاء •

ولم أشأ أن اتابع هذا الدليل في قراءته لكثرة لحنه ووقفت مع اصحابي صامتا وتركت لعيني أن تتلفت يمنة ويسرة وتركت لخيالي ان يجنح وينطلق ليستذكر حوادث الايام وصحائف التاريخ ويستعرض اسماء هذه الشخصوس

الثاوية في هذه القبور الدوارس في هذه الروضات من رياض الجنة وشرعنا
نتقل من روضة الى روضة ، فهذه روضة تضم فريقا من آل بيت النبوة
وتلك روضة تضم رفات شهداء احد وهذه تضم بعضا من شهداء بدر الذين
جرحوا في المعركة ووافاهم الاجل في المدينة وهذه روضة تضم رفات عثمان
ابن عفان الرجل المربوع الاسمر الحسن الوجه ذى الانف الاقنى واللحية
الكثة والشعر الوحف تضم صاحب الرسول وثالث الخلفاء الذي دخل الاسلام
قبل ان يدخل محمد (ص) دار الارقم والذي هاجر من مكة الى الحبشة
مرتين فرارا بدينه من اذى قريش وحفاظا على ايمانه ان يتزعزع ثم هاجر
بعد ذلك الى مكة وهو في العزة والثروة الهائلة في المكان الاول بين قومه
وهو الذى صحب محمدا يتلقى دروس الرجولة والتضحية عليه ضم رفات
هذا الرجل السخي الذى وسع مسجد الرسول ولم يجد فيه شبرا ينام
عليه وجهاز جيش العسرة بالابل والخيول والمال واشترى بئر رومة ليشرب
منها المؤمنون هذا الرجل الذى خرج على الناس حين ولي الخلافة والحزن
يملاً جوانحه فقال لهم : « ايها الناس انكم في دار قلقة وفي بقية اعمار
فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه فلقد أتيتم صبحتم او مسيتم • الا ان
الدنيا طويت على الغرور فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور •

واعتبروا بمن مضى ثم جدوا ولا تغفلوا فانه لا يغفل عنكم • اين
ابناء الدنيا واخوانها الذين اثاروها وعمروها وتمعوا بها طويلا ألم تلفظهم ؟
ارمو بالدنيا حيث رمى الله بها واطلبوا الآخرة فان الله قد ضرب لها
مثلا والذى هو خير فقال عز وجل : « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء
انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح
وكان الله على كل شىء مقتدرا • المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات
الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا » •

واقبل الناس يباعون هذا الشيخ الوسيم الكريم الزاهد القوى في
الحق الشديد على الباطل ، خطب والكآبة تمتلىء بها جوانحه والامانة
المثقلة بالواجب ينوء بها كاهله فقد اتسعت رقعة الاسلام وانبسط سلطان

العرب في ارجاء العالم وفتيان قريش الذين حجزهم عمر بن الخطاب في المدينة ومنعهم من الخروج فاصبحوا ينظرون الى الخليفة الجديد نظرة المفرج عنهم يريدون ان يضربوا في الارض ليروا مجد الاسلام ومجد العرب ويريدون ان يتمتعوا بنعمة الفتح وعز السلطان والاجناد في الثغور يدافعون تارة ويغزون اخرى والولاة في الامصار تولوا مناصبهم بغير اختياره • فماذا يفعل هذا الشيخ الذي وقف على منبر الرسول في ساعة تجراً فيها عبد مملوك على اغتيال خليفة المسلمين وكانت جرأة لها ما بعدها • فتحت ابواب الفتن على مصاربعها واطهرت للاقوام المغلوبة على امرها انها تستطيع ان تنتقم وتأخذ ثأرها بيدها من أعظم رجال العرب •

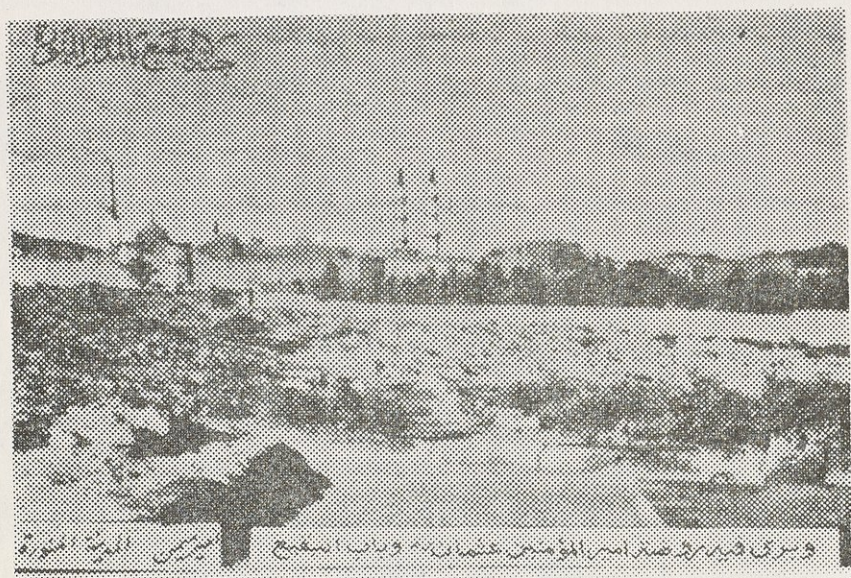
نظر عثمان الى رقعة الاسلام المنبسطة وراء الاقنوع فلم يجد بدا أن يبدأ بالولاة فيكتب لهم ان يكونوا رعاة لا جباة وان ينظروا في امور المسلمين فيعطوهم ما لهم ويأخذوا منهم ما عليهم وان يثنوا بأهل الذمة فيعطوهم الذي لهم ويأخذوهم بالذي عليهم وان ينظروا الى العدو فيستفتحوا عليهم بالوفاء وانهم بغير ذلك لا يستطيعون أن يديروا الامصار ولا يتألفوا الرعية ولا يستقيم لهم امر • كما كتب الى الاجناد في الفروج بأنهم حماة المسلمين والذادة عنهم وان يسيروا على ما رسم لهم ولا يغيروا فيغير الله ما بهم •

وكتب الى عمال الخراج (خذوا الحق واعطوا الحق به • الامانة قوموا عليها ولا تكونوا اول من يسلبها لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فان الله خصم لمن ظلمهم) •

ووجه كلمة الى العامة : (اما بعد فانكم بلغت ما بلغت بالاقضاء والانباع فلا تلفتتكم الدنيا عن أمركم وان أمر هذه الامة صائر الى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم تكامل النعم وبلوغ اولادكم من السبايا وقراءة الاعراب والاعاجم القرآن فان رسول الله (ص) قال الكفر في العجمة فاذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا •

وفي هذا الكتاب تبين بعد نظر الخليفة وشدة تفهمه للمجتمع الإسلامي الجديد الذي هو صائر لا محالة الى طريق غير طريق المؤمنين الصادقين في ايمانهم وان هذا التغيير سوف ينحدر الى المجتمع

...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...
 ...



...
 ...
 ...
 ...

...
 ...
 ...
 ...
 ...

الاسلامي من ثغور ثلاثة من سعة العيش ومن نبت ناشئة جديدة هجينة من السرايا والاماء • واخطر الثلاثة عدم تفهم الناس احكام القرآن ومن لم يفهم تكلف الشرح والتفسير فابتدع واخترع وفي هذه الظاهرة ما فيها من الخطورة وهذا هو الخطر الذي استقبله عثمان فلقد ابطرت الناس النعمة وغيرتهم العجمة وتكلفوا في التفسير والتأويل وتملمت اليهودية والمجوسية والوثنية ونشأت الغوغائية في امصار المسلمين وكان عبدالله بن سبأ اليهودي الصنعاني بن الامة السوداء رأس هذه الغوغائية شأن اخلاق اليهود الحاقدين •

اظهر اسلامه زمان عثمان واتخذ من الاسلام ستارا وشرع يتنقل في بلاد المسلمين يحاول اضلالهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة فالكوفة فالشام فلم يقدر على ما يريد عند احد من اهل الشام فاخرج حتى اتى مصر فاعتمر فيهم وشرع يبث سمومه وحرك الناس على عثمان وطعن في الولاة واخذ يتظاهر هو ومن اغراهم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واخذوا يكتبون الى الامصار يكتب يضعونها في عيوب ولائهم ويكتبهم اخوانهم بمثل ذلك ويكتب اهل كل مصر الى آخر بما يصنعون فيقرؤه اولئك في امصارهم وهؤلاء في امصارهم حتى تناولوا بذلك المدينة واوسعوا الارض اذاعة وهم يريدون غير ما يظهرون • فيقول اهل كل مصر انا لقي عافية مما ابتلى به هؤلاء الا اهل المدينة فانه جاءهم ذلك من جميع الامصار فقالوا انا لقي عافية مما فيه الناس • وجاء اهل المدينة الى عثمان فاخبروه بما وصل اليهم فقال انتم شركائي وشهود المؤمنين فاشيروا علي • قالوا نشير عليك ان تبعث رسلا الى الامصار حتى يرجعوا اليك بأخبارهم فأرسل عثمان من يثق بهم الى الامصار فرجعوا اليه فقالوا ما انكرنا شيئاً ولا انكره علماء المسلمين ولا عوامهم الا اعمار بن ياسر الذي ارسل الى مصر فأغراه عبدالله بن سبأ فمال اليه هو وجماعة آخرون •

هذا الارجاف في الفتن تقمصته اليهودية ولبسته الشعوبية فاجتمعت الفرقان معا على الضلالة وتضليل الناس وتشكيكهم في امور دينهم وظلت

تنتقل في اصلااب الزمن الى يومنا هذا يعيشون في الضلالة ويتسترون بالظلام
ويبشون الاذاعات كى تنفتت قوى الامة فيما بينها فتضعف وتبدو نواجذ
الشر ولا يزال المرجفون يعملون عندما يرون حكم العرب العادل يستقيم
ليقوضوه ويقيموا حكما شعوبيا حاقدًا منتقما •

احس عثمان بنواجذ الشر ورأى قرون الفتنة فكتب الى اهل الامصار :
أما بعد فاني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم وقد سلطت الامة منذ وليت
على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يرفع على شىء ولا على أحد
من عمالي الا اعطيته وليس لي ولعالي حق قبل الرعية الا متروك لهم وقد
رفع الي اهل المدينة ان أقواما يشتمون وآخرون يضربون فيامن ضرب سرا
وشتم سرا من ادعى شيئًا من ذلك فليواف المواسم فليأخذ بحقه حيث كان
منى أو من عمالي وتصدقوا فان الله يجزي المتصدقين •

قرىء هذا الكتاب على الناس في الامصار فأبكاهم ودعوا لعثمان وقالوا
ان الامة لتمخض بشر •

حمل عثمان الناس على مصحف واحد بعد ان استعجم القوم وجاءت
الشكوى الى عثمان بأن المسلمين في الثغور والامصار أخذوا يختلفون في
قراءة القرآن ويشتمد بينهم الخصام فيما فيه يختلفون وصار أحدهم يفضل
قراءته على الآخر وجاء حذيفة بن اليمان الى عثمان فقال له : (ادرك امة
محمد قبل ان تفرق حول القرآن) فاقدم عثمان على توحيد المصحف
فارسله الى الامصار موحدًا ثابتًا كما حفظه الصحابة من رسول الله وها هو
ذا بين ايدينا هو معجزة الاسلام ورمز لتوحيد كلمتي العرب والمسلمين بل
هو القوة القاهرة الخالدة التي تربت في رحابها شخصيتنا • وفي اقدم عثمان
على هذا العمل جرأة ما بعدها جرأة فقد روي عن امير المؤمنين علي بن
ابى طالب انه قال في خلافته (لو كنت مكان عثمان لحملت الناس في امر
القرآن على ما حملهم عليهم) •

ما كان عثمان جبانا ولا مبتدعا ولكنه تلميذ في مدرسة محمد لا يستطيع
ان يعمل الا في حدود الله وما كان يظن ان احدا يجروء عليه وهو في هذه

السن الطاعنة وهو العادل الذي لا يخاف في الحق لومة لائم • غير ان المجتمع استعجم وانهم فقه الشريعة على الناس وتنفست اليهودية الصعداء حيث وجدت لها متنفسا في الثغور والاقاليم ولقيت مكانا خصبا تترعرع فيه بذور الفتنة •

لقد اوغلت جيوش عثمان في الشرق من ثغور العراق فقضت على دولة الاكاسرة وفتحت جيوشه بلاد ارمينية وغزت اساطيله قبرص فاستولت عليها وتحطمت اساطيل الروم في واقعة الصواري أمام اساطيل العرب واخذت تمخر عباب البحر حتى وقفت على ابواب القسطنطينية ومشت جنوده في افريقيا حتى تم له فتحها وشرعت تحاول العبور الى الاندلس ولكن الله لم يمد في عمره •

كان عثمان قويا فاتحا غازيا استطاع ان يفتح من المدن والامصار ما لم يتيسر لخليفة غيره واستطاع أن يعلم الولاة ما لم يستطع ان يقوم به غيره ولم يؤخذ على عثمان الا انه لم يكن يعلم أن الرعية التي كان يرعاها من قبله تغلب على مجتمعها الرعاع وتحكمت فيها الفوغائية وصار من السهل ان يؤول القرآن والحديث وتشيع الفاحشة بين الناس •

وهكذا افتعلوا عليه في الامصار وافتعلوا عليه كتابا وجدوه مع غلامه بيخته • ظهر عثمان على رعاة الناس فافحمهم ورددهم ورجعوا الى بلادهم وكادت الفتنة أن تخمد لولا اليهودي ابن السوداء الذي دبر هذه المكيدة فعادت جذعة وتجمهر السبئيون على باب الدار واشتد الزحام وتقارعت السيوف ووقع من وقع صريعا وكادت الغلبة تكون لامير المؤمنين لولا ان تسور عليه نفر من خلف الدار فاغتالوه والقرآن الكريم بين يديه وهو اعلى درة حرص عليها وهكذا ضم البقيع هذا الرجل العظيم الذي نشر راية الاسلام في اوسع رقعة من بقاع الشرق ونشر تعاليم محمد وحفظ لنا القرآن رمز عزتنا ومجدنا • ما أجدر ان يكون عثمان مثلا من مثلنا العليا يقتدي به شبابنا •

بُدْر

ملاً هذا المكان فم التاريخ وظل ينطق به اربعة عشر قرنا وسيبقى
ينطق به قرونا اخرى •• كان هذا الوادي وما به من آبار وواحات منها
بئر بدر منتدى العرب في الجاهلية وموسما من مواسمهم تجتمع لهم فيها
سوق كل عام فيقيمون عليه ثلاثة أيام ينحرون فيها الجزور ويطعمون
الطعام ويشربون الخمر وتعزف عليهم القيان وقد انطمست معالم هذه
الذكرى فيه وخفيت من الوجود مثلما تختفى متع الحياة ومراتع الشهوات
واللذات وبقيت الذكرى الخالدة ذكراه الفاصلة بين الحق والباطل تلك
التي سجلها العرب المسلمون فبقيت تضيء جوانب التاريخ وكانت امنيته
ان ازور هذا المكان اذا وصلت ارض الحجاز منبع مجدنا في مكة والمدينة
وتوجهت من جدة الى يثرب وحسبت حسابي ان اكون في بدر وقت
الظهيرة وكان الجو لطيفا هادئا والهواء يمر بنوافذ السيارة وهي تنهب بنا
صدر الارض على طريق واسع مفروش بالاسفلت فتركت جدة في الضحوة

ووصلت بدرا والشمس في كبد السماء ومررنا في طريقنا بقرى متناثرة في هذه الصحراء المنبسطة حتى وصلنا الى منخفض منبسطة قال السائق عنه انه وادي بدر فزلنا قرب سقيفة واسعة كبيرة فيها كراسي مصفوفة يستريح عليها الحجاج الزائرون وتربض حولها سياراتهم الضخمة وهم في ذهاب وجيئة يحملون اباريق الماء رجالا ونساء محجبات او سافرات الوجوه وفي بضع خطوات من هذه السقيفة رأينا ظلة فأوينا اليها واوقفنا سيارتنا في مدخلها ووجدنا فيها ظلا ضليلا وهواء لطيفا وجاءنا صاحبها وسألنا ماذا تريدون فطلبنا اباريق اللوضوء واوصيناه على شيء بعد الغداء فتوضأنا وصلينا ركعتين ركعتين للشكر وصلينا صلات الظهر واخرجنا متاعنا وتجمع حولي بعد الغداء صبية صغار من العرب الضاربين في منطفات الوادي فناديت احدهم وسألته من اي القبائل انت ؟ فقال من حرب ! فلما سمع السائق كلمة (حرب) قال : (ان هذه العشيرة من اقوى العشائر لم تستطع الحكومات السابقة ان تلوي عنانها وتأتي بها الى الطاعة وأهملت ففتك بها الجهل فيما مضى فصارت شقية عنيفة تقطع الطرق على الحجاج فتفتك بهم وقد قلت الحكومة الحاضرة اظافهم وردتهم الى صوابهم وفتحت لهم المدارس فهم اليوم اطوع من البنان ونعم هذا الطريق بالامن والاطمئنان •

وسألت الطفل عن اسمه فقال اسمي محمد وكانت مخايل الذكاء بادية عليه ثم علمت انه في المدرسة ، واذا به يجيب عن اسئلة التاريخ وجذا لو علم هذا الطفل تاريخ هذا الموقع العظيم في هذه السن • ثم قدمت للصبية من طعامنا فأبوا جميعا مع انه لم يكن من فضلات المائدة • وسألت احدهم اتعرف دليلا يدلنا على موقعة بدر اين وقعت ؟ فقال نعم ولكن اعطني ريبالا وانا ادلك عليه فاعطيته ما اراد وزدته وركب معنا في السيارة حتى اذا علونا ربوة رملية تنتشر حولها ربوات وتزينها في منخفض الوادي واحة واسعة من النخيل هي موطن الخصب وهي غرة هذا الوادي • اقبل علينا شخص من بعيد فقال الصبي هذا هو الدليل قد اقبل • وفي دقائق معدودات تجمع

حولي صيبة صغار اكسبتهم هذه الارض الجافة المعزاء القاسية صحة ورشاقة
في الابدان ووسامة وجمالا عربيا في الوجوه قد عودهم الحجاج على الهدايا
حتى اصبحت فيهم عادة فقلت سبحان الله ان الله ابدلهم رزقا حلالا يمنحهم
ايه الزائرون في طيبة نفس واطمئنان خاطر بدلا مما كان يأخذهم آباؤهم
عنفا وعنوة •

وقف الدليل واشرف اشرافة القائد في المععة او اشراف المعلم المتمكن
من درسه في صفه وشرع يصف لنا الموقعة كأنه يراها ويقول تلك هي
العدوة الدنيا وهذه هي العدو القصى وهذا هو الوادى وفي ذلك المرتفع
على ما يزعمون عريش النبي (ص) أما قلب بدر فلم يبق له اثر وهذه
هي البطاح التي تقارعت عليها سيوف كتائب المشركين مع سبعة من شهداء
بدر الراقيين في هذا المكان • فيهم مهجع مولى عمر وعمير بن ابي وقاص
وعاقل بن البكر ورافع بن المعلى وحارثة بن سراقة وصفوان بن الحارث
وكانت لهجة الفتى بدوية ليس فيها لكنة العجمة التي اصابت المدن العربية
وليس فيها كلمة غريبة عن العربية وكان يسكن الاواخر ولا يعرب وليس
للصرف في كلامه محل •

ان مكان الواقعة واضح ومكان الالتقاء متقارب فقد كان النزال
بالسيف والسهم وكنت اتمنى ان يكون في بدر فندق ضيافة كبير وفيه قاعة
ترزينها لوحة توضح معالم الواقعة وترسم خطوطها ويلقي فيها محاضر عارف
بالتاريخ دروسا على الزائرين يبسط فيها تاريخ صناديد العرب من المشركين
الذين اشتركوا فيها وابطال المسلمين الذين قادوا المعركة واحرزوا النصر
على قلتهم وكثرة عدوهم ولتكون مثلا من امثلة النصر الذي يحزره
الايمان دوما فان العقيدة اذا تمكنت من النفوس دفعتها الى ركوب الاهوال
وتخطى الحواجز • والايمان اذا تمكن في القلب خزم انف العاطفة واطلق
للعقل العنان ان يخلق ويدع بل لتكون هذه الموقعة مثلا ونقطة انطلاق
للعرب كلما اصابتهم نائبة الامم او وقعت في صفوفهم مكائد الشعوب ولتعلمهم
ان القلة المتحدة تغلب الكثرة المتناثرة وان الصف العربي الصامد الذي خفق

على رأسه لواء النصر في بدر استطاع ان يقف على حدود الصين وعلى
جبال البرنات وان يقدم للبشرية حضارة القرآن في اقل من ثلثي قرن •
هكذا كنت افكر والفتى يشرق في حديثه ويفرب وهكذا اطلقت لخيالي
عنايه ان يتذكر هذا الوادي الذي كان مراح عرب الجاهلية وموطن لهوهم
وسرورهم وتفاجرهم وتكاثرتهم كيف حزبهام الامر واشتدت بهم المحن
فتنادبوا واستنقروا قومهم كيلا يخسروا تجارتهم ويندثر موطن لهوهم
وسرورهم ومتعتهم ويأخذ العرب في ارجاء الجزيرة يتندرون في مضاربهم
عن الذلة التي تقع عليهم •

بهذه العاطفة الجامحة اقدمت قريش بكتائبها لتنزل على بدر لتقاوم
عقيدة السماء وتطفىء نور الاسلام الذي بدأ يشع ضياؤه في ارجاء الجزيرة •

وخرج المسلمون بالروية والتفكير والافق الواسع والنظر في مستقبل
الاسلام وعزه ووقف النبي (ص) وقد احمارت وجنتاه وكانت هذه علامته
عند اشتداد المحنة فتقدم اليه المقداد وهو على تلك الحالة فقال : اشر
يا رسول الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل اذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك
ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك او يفتح الله لك ثم التفت رسول الله
الى القوم وقال اشيروا علي ايها الناس • وانما كان يريد الانصار وذلك
لانهم كانوا عدد الناس ولانهم حين التقوا به بالعقبة قالوا يا رسول
الله انا برءاء من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت
الينا فانت في ذماننا نمنعك فيما نمع منه ابناؤنا ونساءنا فكان رسول الله
يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من
عدوه وان ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك
رسول الله (ص) قال سعد بن معاذ : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله •
قال : اجل فقال : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق
واعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول
الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته

لخضناه معك ما تخلف منا رجل وما نكره ان تلقى بنا عدونا غداً انا لصبر
عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على
بركة الله فانبسطت اسارير الرسول بقول سعد ثم قال سيروا على بركة الله
وابشروا فان الله قد وعدني احدي الطائفتين • سارت سرايا المسلمين بثلاثمائة
رجل وثلاثة عشر رجلا المهاجرون منهم يوم بدر سبعة وسبعون رجلا
وصاحب راية رسول الله عليهم فتى بنى هاشم امير المؤمنين علي بن ابني
طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكانوا مائتين وستة وثلاثين
رجلا فلما وصل ركب المسلمين ادنى ماء من بدر نزل به فجاء الحباب
بن المنذر فقال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل امنزل انزلكه الله ليس لنا
ان تقدمه ولا تتأخره ام هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قال : بل هو الرأى
فقال يا رسول الله فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي ادنى ماء
من القوم فتنزله ثم تغور ما سواه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء
ثم تقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله لقد اشرت بالرأى •
فنهض الرسول ونهض من معه وساروا حتى اتوا ادنى ماء من القوم فنزلوا
عليه ثم غورت الآبار وبنوا حوضا على القلب الذى نزلوا عليه فملئ ماء
ثم قذفوا فيه بالآنية • وجاء سعد بن معاذ الى الرسول وقال : يا رسول الله
نبنى لك عريشا من جريد فتكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم تلقى عدونا فان
اعزنا الله واظهرنا على عدونا كان ذلك مما احببنا وان كانت الاخرى جلست
على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك اقوام يا نبي
الله ما نحن باشد حبا لك منهم ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك
منعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فاني رسول الله عليه خيرا
ودينما له بخير وبني لرسول الله عريش فكان فيه •

وأقبلت قريش بألف رجل فيهم صناديد العرب ومنهم عتبة بن ربيعة
وشيبة بن ربيعة وابو جهل بن هشام وامية بن خلف والنضر بن الحارث
وزمعة ابن الاسود وغيرهم • واقسم قادتهم الا يرجعوا حتى يردوا ماء بدر
وادخلوا راندهم فجال حول معسكر النبي ثم رجع فقال لهم : يا معشر

قريش : الولايا تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ الا سيوفهم والله ما أرى يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلا منكم فاذا اصابوا منكم اعدادهم فما خير العيش بعد ذلك ؟ فروا رأيكم ومشى حكيم بن حزام في الناس وكان من عقلائهم فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا ابا الوليد انك كبير قريش الليلة وسيدها المطاع فيها هل لك الا تزال تذكر منها بخير الى آخر الدهر قال وماذاك يا حكيم ؟ قال ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو ابن الحضرمي • قال قد فعلت وكادت قريش تلوي عنانها وترجع الى ديارها لولا عناد ابي جهل فقد امتلأت رئات القوم رعبا وجزعا ولكن ابوا الرجوع عنادا واستكبارا •

ولما التقى الجمعان وتراءت الفئتان وقف رسول الله وقال ايها الناس هذه مكة قد القت اليكم بافلاذ اكبادها • اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم فاحنهم الغداة وقال :

« ايها الناس اما بعد فاني احثكم على ما حثكم الله عليه وانهاكم عما نهاكم عنه فان الله عظيم شأنه يأمر بالحق ويحب الصدق ويعطي على الخير اهله على منازلهم عنده به يذكرون وبه يتفاضلون • وانكم قد اصبحتم بمنزل الحق لا يقبل الله فيه من احد الا ما ابتغى به وجهه وان الصبر في مواطن اليأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم وتدركون النجاة في الاخرة •

فيكم نبي الله يحذركم ويأمركم فاستحيوا اليوم ان يطلع الله عز وجل على شيء من امركم يمقتكم عليه فان الله يقول :

« لقت الله اكبر من مقتكم انفسكم » •

انظروا الذي امركم الله به من كتابه واراكم من آياته واعزكم به بعد ذلة فاستمسكوا به يرض به ربكم عنكم وابلوا ربكم في هذه المواطن امرا تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته ، فان وعده حق وقوله صدق وعقابه شديد وانما انا واتم بالله الحي القيوم اليه الجأنا ظهورنا وبه

اعتصمنا وعليه توكلنا واليه المصير يغفر الله لي وللمسلمين •
ونزل الجمعان الى الميدان ورسول الله لا يزال يقول اللهم انى اسألك
عهديك ووعدك اللهم ان تهلك هذه العصابة (يريد المسلمين) لا تعبد بعد
اليوم وقال سيهزم الجمع ويولون الدبر الساعة موعدهم والساعة ادهى
وامر •

وتقارعت السيوف وسقطت القتلى وانكشفت الموقعة عن هزيمة قريش
وايد الله المؤمنين بنصره فاستشهد منهم من استشهد وجرح من جرح ولحق
فريق من الجرحى بالشهداء ودفن سبعة من شهداء المسلمين في بدر •
وهكذا دخلت العقيدة في طورها الاول من الذروة في المجد وجمعت
تلك القبائل المتناثرة فوق الروابي والاكمام ولت شمل العشائر الضاربة في
السهول والوديان ونزعت ما في القلوب من غل اخوانا على سرر متقابلين
ومحت من وجود العرب طبقة السادة والصناديد وجعلت موطن التفاخر
والتكاثر في الدفاع عن دين محمد وعقيدة السماء وبدأ عصر العرب يرتفع
في سلم القوة والمجد العسكري وتمتعت قريش بالطمأنينة والاستقرار ونزلت
السورة :

« لا يلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا
البيت الذى اطعمهم من جوع آمنهم من خوف » •
وحفت بالبيت العتيق نعمة الاطمئنان وسارت ركائب العرب تضرب في
السهول والوديان في ظلال عقيدة السماء التي انزلت السكينة في قلوب
المؤمنين وامتألوا الوادي بالخيرات وجاء دور الفكر والعقل دور التشريع
والفقه ونظام الحكم واستقرت امور الدنيا لهذه الامة الفتية •
وانتهت معركة القلق والخوف وانتهت معركة رغيف الخبز وطفقت
التجارة تسير غدوا ورواحا تحف بها اجنحة التقوى والايمان •

ان الاطمئنان وضممان العيش عنصران مهمان من عناصر الحضارة
وتوطيد اركان الاجتماع وازدهار الثروة وتفتح آفاق الفكر • فان النفوس
اذا آمنت وارتاحت شرع العقل يفش عن معرفة الحقائق واسرار الطبيعة

وهكذا شرع المؤمنون يفكرون في خلق السموات والارض ويرجعون الى
انفسهم ويقولون ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك وهكذا تفتحت لهم
ابواب المعرفة لانهم عرفوا ان هذا الكون لم يخلق باطلا ولا بد من استماره
فمشوا يضربون في الارض لابرار مواهبهم الكامنة فابدعوها حضارة لا تزال
مفخرة الدنيا •

Faint, illegible handwriting at the top of the page, possibly a header or title.

امتلاً فؤادي بنور النبوة في يثرب واشرق بين جوانحي ذلك الضياء
الروحي الذي يملأ جوانح المؤمنين ورضيت نفسي لانني زرت ضريح
المصطفى قبل ان أزور موطن مولده وموطن اشراق الدعوة ، ونازعتي
نفسي للبقاء في يثرب او السفر الى بيت الله الحرام لاداء الواجب المفروض
في القرآن الكريم « وأتموا الحج والعمرة لله » وتعلقت بهذا السبب فان
اطاعة امر الله احب الى رسول الله وتوضأت ونزعت ملابسي وتخلت عن
بدلتي ورباط العنق وحذائي بل جميع كسوتي ولبست ثوبي الاحرام :
رداء وازارا غطيت بردائي ظهري وصدري والكتفين وكسوت بالازار ما
بقي من ج سمي من السرة الى الركبتين ووقفت في غرفتي مكشوف الرأس
حافي القدمين ثم اتعلت حذاء غير مخيط وتحزمت بحزام وضعت فيه نقودي
وتوشحت بحقيتي التي وضعت فيها هويتي وصغار النقود ، ثم القيت آخر
نظرة على القبة الخضراء قبة الرسول (ص) وعلى المنائر المتلاثلة بالضياء

وتحركت بنا السيارة نريد بيت الله الحرام نريد اداء العمرة فوصلنا بشر
على أوهى (ذى الحليفة) وهو مقيات اهل المدينة الذى يحرمون منه أى
يعقدون النية على اداء فريضة الحج او العمرة او كليهما معا فنزلنا وصلينا
ركعتين وقلت اللهم ربى اريد العمرة فيسرها لى وتقبلها منى : لبيك اللهم
لييك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك •
وما انتهيت من هذه الكلمات حتى شعرت برعدة الجلال والرهبة تمشى
في مفاصلي ووقفت اتأمل ما فاض به فؤادى ولفظه لساني فعلمت اننى
اصبحت متوجها بكليتي الى بارئى مسرعا اقول هأنذا يا رب لا املك لنفسى
ضرا ولا نفعا ولا حياة ولا نشورا ! • فانت مالك الملك مالك يوم الدين
وان عبادك مهما تجبروا وتعظمووا وتفاخروا وتكاثروا ضعاف تردبهم البعوضة
وتقتلهم الجرثومة التى لا تراها اعينهم • ثم صلينا صلاة الفجر ولينا وركبنا
سيارتنا حتى وصلنا بدرا عندما ذر قرن الشمس وسال ضياؤها الذهبى على
ذرى الجبال والبطاح وكان النسيم لطيفا فيه برد الصحراء الذى خلفه
الليل واريح اعشابها واشواكها المتناثرة الذى تهفو اليه افئدة المؤمنين •

ووقف ركبنا يستمع مرة ثانية الى الدليل يشرح مراحل الموقعة
ويصف عظمة الاسلام وذل الشرك وتجمع حولنا صبية صغار ففحناهم مما
قسم الله لنا ولهم وانطلقت بنا السيارة تتهادى فوق رمال روابى بدر ثم نزلت
الى الوادى فاطلقت العنان فوق طريق منبسط واسع مفروش بالاسفلت ما
داسته مناسم الابل قبلا ولا سارت به الركبان ايام غزوة بدر • وكانت
السيارة فى انطلاقتها تهزأ بالابل التى نراها بين الفينة والفينة ولو نطقت
الابل لقاتل اننى حملت أمة على ظهوري ففتحت وحكمت وابدعت الشرائع
والعمران • واستمر بنا السير ما توقفنا حتى وصلنا جدة فاسترحنا واستبردنا
ثم استأنفنا السير تارة اخرى الى مكة ارض بيت الله ومرابح قريش وأول
مكان رأى فيه محمد (ص) ضياء الوجود فلما تراءت لنا منائرنا وآطامها
كبرت وهللت وليت ، ولما اطمان بنا المكان توجهنا الى الكعبة الى اول بيت
وضع للناس واتخذنا مطوفا يطوف بنا ووقفت بريهة أتأمل هذه الجموع

الزاخرة في رداء وازار مكشوفى الرءوس فقلت سبحانك ربنا : اننا سواسية
فوق اطباق الثرى وفي بيتك في الوجود كذلك سنكون سواسية تحت اطباق
الثرى في اللحد انك تعرض علينا كل يوم عبرة الحياة فلا تعتبر • انني
اقف بين يديك ولا اعرف من هو عن يميني وعن شمالي ومن هو خلفي
وامامي • أهو امير ثرى أو حاكم قوى او صعلوك ضعيف او شجاع صنيدي
او جبان رعيدي • كلهم يمشون مقنعي رءوسهم يذكرونك ويلبونك
وينادونك ويستغفرون ذنوبهم ويطلبون رحمتك وغفرانك •

خزمت أنوف العرب عن الكبرياء والتعاضم والتكاثر والتفاخر فذلوا
لك وعنت وجوههم لك انت وحدك لا شريك لك انحنت رءوسهم بالركوع
والسجود حتى لامست الارض اعترافا بعظمتك وجبروتك فارتفعت نفوسهم
الى منابر المجد فملأوا الدنيا عزا وسؤددا • ذلوا لك فعزت نفوسهم وخافوك
فقويت افئدتهم • آمنو برسولك وبفرقانك فمنحتهم قبسا من ضيائك فاناروا
العالم وبعثوا الحياة في الوجود اطفأوا نيران المجوسية وابدلوها هدى
وضياء وحطموا اصنام الوثنية وابدلوها شمما وباء فدخلت الامم في دين
محمد افواجا • وجرني موكب مطوفنا حتى اذا وقفنا أمام الحجر الاسود
وبدأنا الشوط الاول قلنا بسم الله اكبر والله الحمد وأشرنا اليه وحاولنا
ان نخرق الحزام البشري لنصل اليه فلم نستطع • انها امواج تتدافع
وتزدحم فانية في وجود الله وفي وسط هذه الامواج رجال غلاظ شداد
يحملون على اكتافهم ضعفاء الحجاج في محامل من الخشب ذات قوائم
ومقابض يركضون بها ولا يلوون على أحد لا يهمهم ان يدفعوا عاجزا أو
يصطدموا بامرأة عليك ان تتجنبهم وليس عليهم ان يتجنبوك • ولو مشى
هؤلاء بهدوء ولو تمهلت جماعات الحجاج قليلا في سيرها لادوا اشواطهم
السبعة دون عناء ولكنهم من امم مختلفة ومن ارجاء متباعدة وعادات متباينة
وطباع فيها الباردة المطيعة وفيها الهائجة النافرة لا ينفع فيها ضبط ولا تنظيم
ولو لا الضبط الشديد عند الحجر الاسود لرضت اجساد وديس ضعيف
وفئت نفوس •

سرنا من وراء المطوف تتحاشى الموجة اثر الموجة وندفع الناس بالتي هي احسن • المطوف يقرأ والصحاب يرددون فمنا من يتبعه ومنا من يدعو لنفسه يؤلف الدعاء كيفما يشاء او يقرأ سورة من القرآن كى يبقى فؤاده رطبا بذكر الله • وكلما مررنا بالحجر الاسود اشرنا بايدينا وقلنا بسم الله الله اكبر والله الحمد • وتمت سبعة اشواط ما قبلناه ولا لمسناه ولكن اشرنا اليه تكريما وذكرى اتمام بناء البيت به ولان الله حقن به دماء القبائل على يد محمد بن عبدالله حين ارادت قريش بناء الكعبة بعد ان هدمها السيل واختلفت القبائل بينها على من يرفعه بيده الى مكانه فجاء الامين محمد فوضعه في رداء فأمسكت به القبائل كلها ورفعته حتى اذا بلغت به محله أخذه محمد بيده ووضعه بمكانه فكان هذا الحدث ارهاصا لاول لينة وضعت في بناء الاسلام • ما اقتربت من الحجر الاسود في طوافي خوف التصادم ورفقا بنفسي ان تلهو عن مشهد هذا الوجود العظيم بمواكب هذه الامم المزدهمة المهللة المكبرة وتوجهت الى الله ادعوه فهو قريب يجب دعوة الداعي اذا دعاه لا يريد وسيطا ولا يحتاج الى وسيلة تقف بينه وبين عباده وهو الذى يسمع ديبب النملة السوداء في الليلة الظلماء •

أكلنا سبعة أشواط فذهبنا الى مقام ابراهيم فصلينا فيه ركعتين ونزلنا الى بئر زمزم فارتويانا وقد صب حول هذه البئر الاسمنت المسلح وضربت حولها الانابيب والحفريات والناس بين سابح ومتوضىء وشارب ومالىء ابريقا او اناء يذهبون ويحيئون يسبحون الله ويمجدونه وبعد ما ارتويانا توجهنا الى الصفا والمروة يقودنا المطوف حتى اذا بلغنا الصفا سعدنا اليها وبدأنا بتلاوة الاية الكريمة « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » • وكبرنا وهللنا ودعونا الله وهبطنا نسعى نحو المروة ورملنا وهدأنا حتى أتممنا سبعة أشواط وقصرنا ثم عدنا الى الفندق وتحللنا •

ولما أيقنت انني اكملت اركان العمرة وقفت وقفة المتأمل وذهب بي الفكر مذاهبة واخذت أقول لنفسى : أين هي ربوة الصفا

واين هي ربوة المروة اللتان كانت هاجر تسعى ركضا بينهما وأين رمالهما
واحجارها وأين اساف الصنم الذي أقامته الجاهلية على الصفا وأين صنمها
الآخر نائل الذي أقامته على ربوة المروة واين هي الارض المعزاء التي
كانت تمتد بينهما واين هو ذلك الوادى الذى يصل الى بئر زمزم •

اما الصنمان فقد حطمهما الاسلام وجعل من الربوتين شعيرة من
شعائر الله واما الوادى الممتد المكشوف تحت الشمس المحرقة فلا أثر له
فقد اولته الدولة عنايتها وانشأت عليه بناء ضخما عاليا تفتتح من حائطيه
نوافذ واسعة صبت أرضه بالاسمنت المسلح وغطيت الربوتان بالخشب
المنحوت وشطر الوادى بين الربوتين شطرين بينهما حاجز منخفض يمنع
تصادم الساعين واشتباكهم • الهابطون من الصفا يمرون زرافات والهابطون
من المروة يمرون جماعات لا تختلط الا اصواتهم بالدعاء ولا يزعج الساعين
غير اولئك الاجيرين الغلاظ الاشداء الذين يحملون في محامل على اكتافهم
ضعفاء الحجاج او يدفعونهم بعجلات صغيرة يزحمون الناس بسرعتهم
ويقلقون الساعين بلحاحهم • ولو تمهلوا في سيرهم قليلا لكان السعي متعة
الحجاج في هذا البناء الجميل والمشهد الذى يأخذ بالنفس فيسموا بها عن
صغائر الامور ويرتفع صعدا في سلم الانسانية حتى يجد الانسان أن عليه ان
يكون في صفوف الملائكة ويشعر ان الاخوة والمساواة والعدل التي جاء بها
محمد ما هي الانتاج هذه التريبة المحمدية التي لقن بها محمد العرب
دروس العظمة والجلال عن طريق الطاعة لله والتواضع فمن تواضع لله رفعه •

مَكَّة

أنهينا طواف العمرة والسعي وقصرنا وتحللنا وعدنا الى الفندق ونزعنا
ثوبي الاحرام ولبست ثيابا بيضا خفيفة • كان الفندق مريحا هادئا لمن يريد
أن يتعبد أو يقرأ وكان الماء فيه غزيرا والجو في غرفه لطيف مبرد وهو
قريب من البيت الحرام • نسمع أذان المؤذن ومنتظر وقت الصلاة فنسعى
الى ذكر الله ونذر كل شيء لنشترك مع جموع المسلمين في خير بقعه يتجه
اليها المسلمون في كل يوم خمس مرات في مشارق الارض ومغاربها •

ولما كشف الليل لثامه عن ثغر الفجر الباسم وسمعت كلمة الله اكبر
توضأت واخذنا سمتا الى البيت العتيق ورأيت الناس تسير أفواجا تسبح
الله في هدوء وسكينة يمشون مسرعين أو الهوينا ينسربون من طرق شتى
يحمل كثير منهم على كتفه سجادة صلاته وآخرون يصلون على الارض
المفروشة بالمرمر •

فاذا أضحي الضحى ونفضت الاعين عنها ملاءة النعاس وانتشر الناس

وفتحت الاسواق اعجبك هذا المنظر الرائع في الغادين والرائحين البائعين والشارين وازدحام الحجيج على الصرافين وأيقنت ان هذا الوادي الذي لا زرع فيه ولا ضرع قد جعل الله افئدة الناس تهوي الى أهله في هذا الموسم المقدس • وأنت اذا ذهبت الى سوق لتشتري حاجة أو هدية طالعتك البضائع البراقة الناعمة في أنواع من الحرير الطبيعي والصناعي وأنواع من انسجة الصوف والقطن • والوانبي المصنوعة والسبح المعلقة (جمع سبحة) ولعب الاطفال وأماكن الساعات الثمينة والمكتبات الواسعة ورأيت الحاجات جالسات على عتبات الدكاكين أو واقفات في وسط المخازن يقبلن البضاعة وطالعتك حركة بيع وشراء لا مثل لها الا في اسواق المواسم • وزحمتك عجالات صفار عليها بضائع مختلفة • فاذا تجولت في أسواق أخرى رأيت حوانيت العطور والبخور والصبوغ واذا توغلت قليلا وجدت أكوام المأكولات الاخرى من الجبن والزيتون والمبتلات واينما تلفت رأيت صناديق زجاج المشروبات الغازية والمعلبات كل ذلك في وفرة كافية ومدد لا ينقطع واوفر من هذا وذاك الفواكه الطرية الناضجة من البرتقال والموز والتفاح والبطيخ في تحديد اسعار فلا احتكار ولا استغلال لا يشني كلام البائع الذي يبيع الفواكه • هو في الدكان مثله على العجلة رخيص ولطيف تشتري وانت مطمئن وتأكله وأنت ملند • أما في حوانيت البضائع وبين الباعة والمتجولين فان المعاملة أساس البيع ولكنه لا يطلب منك ضعفين كما هي الحالة في بعض الاقطار ويكفيه ان يربح منك ربحا بسيطا ويذكر التأريخ ان هذا هو شأن مكة من قديم الازمان • هي سوق تجارة وهي محجة دينية فيها تقام اسواق الادب فيفد اليها الشعراء ليشهدوا سوق عكاظ كما يفد اليها المتدينون ليقضوا مناسكهم وليطوفوا بالبيت العتيق وينحدر اليها التجار ليعوا بضاعتهم •

ان اهل مكة لا يتجاوزون مئة الف ويفد اليها في موسم الحج من البلاد الاسلامية البعيدة والقريبة ما يزيد على مليون نسمة فتستقبلهم بترحاب وسعة ورزق كثير وماء وفير وهدوء وأمن ولكلك لا تستطيع ان تقف عند هذا الوصف اذا علمت ان الوافدين من أمم مختلفة متفاوتة في

الثقافة والعلم متفاوتة في الثروة ولا يفوتك اختلاف الاعمار فكثير منهم
شيوخ عجزة او كهول لا يتعدون في تعبهم مناسك الحج وفي هذا الازدحام
المضغوط وفي تفاوت الاعمار وفي تفاوت الثقافات لا يخلو موسم الحج من
خطيئات لا لوم فيها على احد الا على الذين جاءوا من بعيد الذين اوصاهم
القرآن الكريم بقوله تعالى : « الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما فعلوا من خير يعلمه الله
وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الالباب » فأمرهم ان يتأدبوا
وينصرفوا الى اداء الفريضة ومعرفة الغاية منها • ولقد وجدت اكثر الذين
يحجون لم يأتوا ليتعرفوا على اخوانهم المسلمين بل لا شأن لهم بمشكلات
المسلمين في قطر من أقطارهم • وقصاره أنه اذا بدأته بالسلام رده عليه على عجل
وتركك تمشي وقليل منهم من يذكر انه عضو في الاسرة المسلمة المنتشرة
في أرجاء العالم وان فيها الضعيف الذي ينشد العون والقوى الذي يستعان
به • وبين العون والاستعانة تستكمل الاسرة قوتها •

ولقد سرنى اني عرفت رجلا من الباكستان له وظيفة كبيرة في هيئة
دولية عابني ولام العرب المسلمين وقال : « اتنا نريد ان نقرأ سيرة نبينا
والغايات السامية من ديننا مكتوبة بأقلام عربية في لغة اجنية وذكر انه
اشترى كتابا لاحد المستشرقين في سيرة (محمد) فلما بلغ في قراءته اربع
صفحات اضطر ان يقتلع من الكتاب صفحتين ويمزقهما ويترك الكتاب
مركونا في مكتبه ذلك لان الصفحتين مملوءتان طعنا بمحمد » وجدت في
هذا الاخ المؤمن روحا عالية ووجدت قوة الايمان تتدفق من ثنايا كلماته
كأنه يحاول ان يستثيرني ويبعث في نفسي الحماسة وما يدري اني كنت
كلي اذنا صاغية وما لي من حاجة الى اثارته •

ولقد اعجبني في هذه الرحلة المقدسة المتعة شباب طامح مقولوا
السواعد اصحاء الاجسام في حديثهم قوة العارضة وصدق المنطق هؤلاء
الفتيان بيدهم منشورات وجرائد يوزعونها على الحجاج يشكون ظلم
النجاشي وتعسفه في شأن اخوانهم المسلمين اعجبت بالشباب وعجبت من

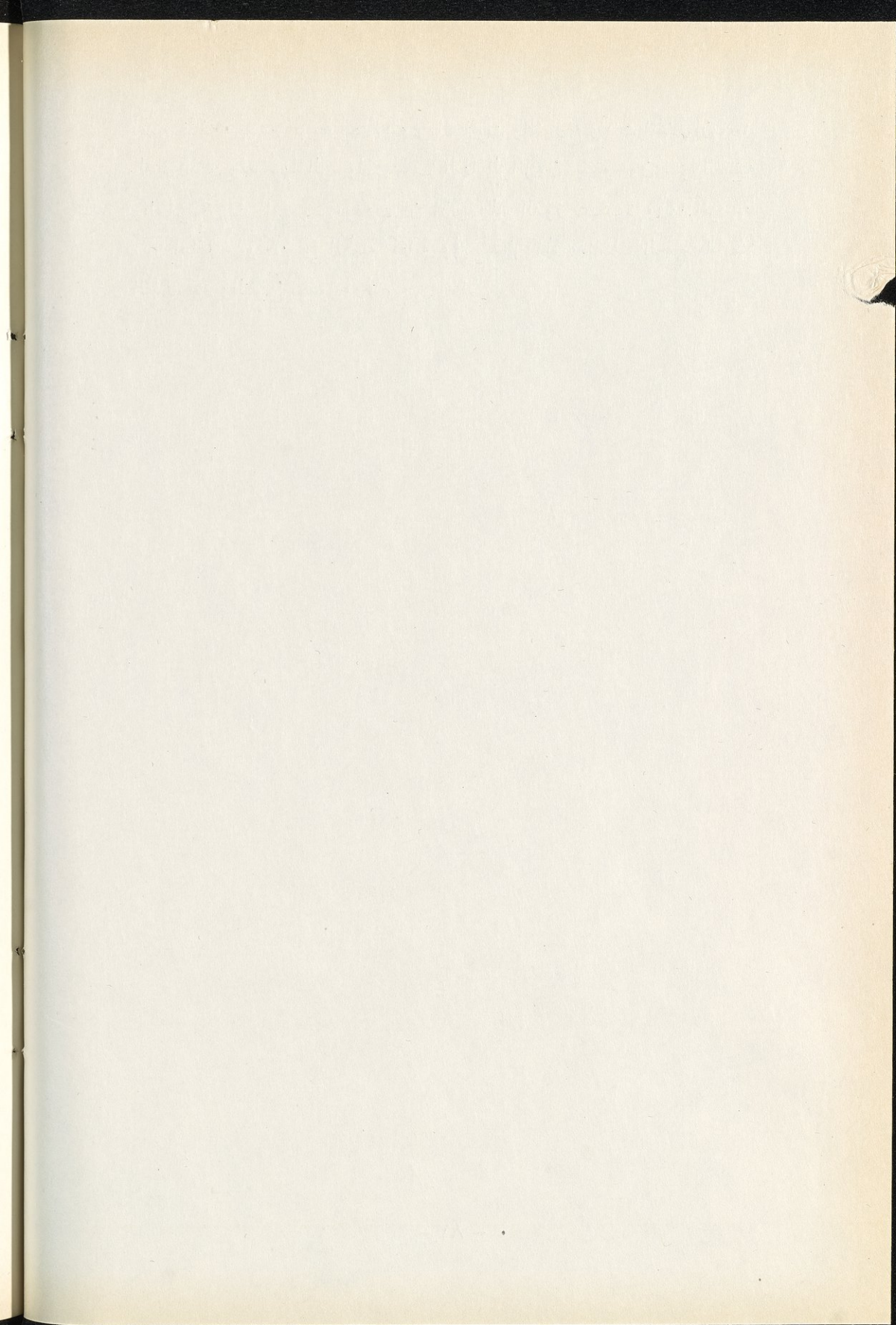
الخبر وقلت سبحانه اللهم بديل الاحوال • لقد كان النجاشي في فجر الاسلام سندا للمهاجرين ونصيرا لهم بل اذا صح ما اورده روايات التاريخ فانه كان قد قبل الدعوة واسلم لله رب العالمين • ان هؤلاء الشباب يستصرخون العالم الاسلامي ويستعدونه على الظلم القاسي وكان يكون لهذا النجاشي وأمثاله ان يعرفوا حدودهم لو كان هذا الحج مؤتمرا اسلاميا يتدارس المؤمنون فيه احوالهم ويحلون معضلاتهم فانهم لو اجتمعوا لكانوا قوة هائلة ولعلموا الخصم درسا لا ينسى ولما ترددت كلمة الاستعمار على السنتهم وانى لهم ذلك والآتون من اقطار بعيدة فقراء مساكين كثير منهم لا يحسن قراءة الفاتحة وكثير منهم عجزة ضعفاء وكثير منهم نساء محجبات لا يغشين المؤتمرات ولا يحسن الكلام وقد يحول بينهم وبين ذلك خجل طبيعي او تجنب تربوي اخذنه عن بيوت آبائهم •

ومكة هذه تقع في واد ضيق ممتد طوله ثلاثة اميال وعرضه اقل من ميل ويصل في بعض اماكنه الى اقل من نصف ميل هي على ضيقها مفرحة بهيجة شقت فيها الشوارع واقامت متزهات وشيدت عمارات ويحيط هذا الوادى جبال عالية قد يصل ارتفاع بعض ذراها الى ٢٥٠ قدما فوق سطح البحر واشهر جبالها جبل ابي قيس وهو اقرب الجبال الى الكعبة والرطوبة التي من أسفله هي رطوبة الصفا التي يبدأ السعي منها والتي كانت الجاهلية نصبت عليها صنمها - اساف - • وجبل ثور وهو جبل مرتفع يشرف على مكة من جنوبها وفيه غار ثور الذي اختفى فيه النبي مع صاحبه ابي بكر كيلا يلحق بهما المشركون عندما هاجرا الى المدينة • وفي شرقي مكة جبل أمعر أشم مرتفع تنتشر على سفوحه صخور حمراء وتجلله حتى تصل الى الذروة اسمه جبل النور وفي هذا الجبل الاشم غار حراء الذي كان يتعبد فيه الرسول • ولنا عودة اليه عند الحديث عن مشرق النبوة وتنتشر بيوت أهل مكة في هذا الوادى وبعضها يرتفع سعدا حتى يحتضن صدر الجبل او يقف على الذروة وتكاد هذه البيوت لا تكفى اهل مكة على قنهم فكيف بهم اذا نزل في احيائهم نصف مليون حاج أو يزيدون يفدون من

مشارك الارض ومغاربها ؟ انها محنة لاهل مكة وامتحان قاس لولاة الامر فان هذا الموسم على قصر ايامه لا يتسع الى تأسيس فنادق عديدة تسكن في أيام معدودات ثم تترك خالية طوال أيام السنة ولا يمكن ان تدفن ثروة هائلة في طيات حجارة واسمنت وحديد هذه المدة الطويلة ولكن كيف الخلاص من امر واقع ليس له دافع ؟ انك تشهد مظاهر هذه المحنة في الاجسام الممدة في افياء الصفا والمروة واروقة المسجد الحرام وقد لا تستطيع ان تجد محط قدم في بعض هذه الامكنة بين أجساد المضطجعين يفترشون الارض أو سجادة رقيقة أو يتوسدون حذاء أو رداء وحول الجميع نفايات أكل وأوراق • انني كلما أبصرت هذه المناظر قلت سبحانك يا ربي ان عبادك لم يفهموا ماذا هدفت اليه في شريعتك السمحاء في قدسية الحج ونبيل المقصد منه فانك يسرت على عبادك شعائر عبادتك ولكنهم آثروا ان يؤدوا مناسكهم في عناء ونصب •

اننى لا اجد فرضا محتما في اداء فريضة الحج على هؤلاء العجزة والمساكين والشيوخ الضعفاء ولا اجد فرضا محتما على هؤلاء الفقراء الاميين ، كنت اتمنى ان يقصد الى مكة شباب المسلمين المثقفون وكهولهم الناضجون وان يأتوا متأبطين مناهجهم وخططهم يبحثون في شأن أممهم ويتداولون بما يحيط بهم • ولو فعلوا ذلك لكانت رسالة الاسلام وضاعة تنير العالم • وأقسم قسما لا أحنث فيه لو ان المسلمين كانوا فعلوا ذلك منذ ان اصبحوا قوة ترهبهم الامم لكان للتاريخ الاسلامي شأن غير هذا الشأن ولكتب لهم صفحات متلاثة تفسح للحضارات طرقا مفروشة بالمجد والسؤدد ، ولما ضاقت مكة على رحبها بهذا العدد الضخم الضعيف ولحفلت بالصفوة المختارة المثقفة الناضجة من ابناء الامم الاسلامية • ولأعدت مكة ندواتها السياسية واسواقها الادبية ومظاهر حياتها الاجتماعية ولصارت مكة ام العواصم بدل ان كانت قبلا ام القرى • انك لا تسمع في مكة حديثا في ندوة ولا تجد دارا كدار الارقم يتشاور فيها القوم ولا تسمع الختايد من شعراء الجاهلية والاسلام ولا تبصر صناديد قريش بل تجد خليطا من

أمم مختلفة وتسمع عربية فيها لكنة في الحانوت والشارع وكنت اتمنى ان أجد
الدار التي ولد فيها الرسول يذهب اليها الزائرون يستوحون سر العظمة
والعبقرية ودار ابي بكر وددت ان أرى هذه الدور عامرة وفيها أثر من
آثار اهلها • ولكن في الكعبة كفاية وفي شعائر الله ومناسك الحج ما يملأ
القلب قوة والنفس سموا ورفعته •



قُرَيْشٌ وَالْكَعْبَةُ

كثرت الروايات في شأن بناية الكعبة وتعددت ولكنها مهما اختلفت
وكثر تعدادها فان الحقيقة الواقعة ان هذا البيت العتيق بني وانه أول بيت
وضع للناس بمكة وان الحجر الاسود سواء انزل من السماء أم جيء به
من الارض قد خلد في التاريخ وأخذ مكانه من شعائر المسلمين وبلغ
الاهتمام به حدا لم يبلغه حجر غيره في الارض وانه شيد في ركن من
اركان هذا البيت يتناقل الرواة اخباره ووصفه وتهتم به دول العالم وقد
اقتلعت الحروب من مكانه واعادته الحروب الى مكانه •

وعندما اقيمت قواعد البيت نبط الماء من بئر زمزم ليكمل الاسكان
والاستقرار فان الله جعل من الماء كل شيء حي ولا حياة للانسان بغير الماء
والهواء والشمس تلك العناصر الثلاثة التي تعين على البقاء واستمرار
الحياة • وضع هذا البيت رمزا للاسكان وترغيبا لاستقرار هذا الانسان
الذي كرمه الله وحمل ذريته في البر والبحر والجو ورزقهم من الطيبات

كل ذلك ليؤدي الانسان رسالة الوجود • وضع هذا البيت ليكون مثابة لتلك القبائل الضاربة في الصحراء والوديان والشعاب وعلى ذرى الجبال في المروج الخضرة والخصبة وأقيمت قواعده ليفد اليه الناس من كل فج عميق وليشهدوا منافع لهم وتمتزج الحضارات ويتعاون الفكر الانساني على البقاء والاستمرار وتداولت على شؤون هذا البيت قبائل وردت في اخبار التاريخ في روايات مختلفة فيها ما يميل المرء به الى التصديق وفيها ما يدعو الى بحث وتحقيق واقر بها ما جاء في الاخبار عن قبيلة جرهم حيث استخفت بالبيت ولم تهتم بشأنه فغلبتها عليه خزاعة وهى قبيلة قحطانية كان من بين اسادها عمرو بن لحي دل في افعاله انه رجل اجتماعي بالطبع يهتم بالمجتمع ويسير به من الحسن الى الاحسن فكان يتألف الحجاج وكان مطاعا في قومه واذا تكلم ذهب كلامه مذهب الشريعة فيتبعونها ويذكر عنه انه اول من نصب الاصنام في مكة وجاء بصنم يقال له « هبل » فاقامه في بطن الكعبة • وعبادة الاصنام في بلاد العرب تخضع في نشأتها الى ما تخضع اليه الروايات التي تتأرجح بين الشك واليقين •

ويقول التاريخ ان امر الكعبة ظل في يد خزاعة حتى وفد الى مكة قصي بن كلاب بن مرة القريشي وكان الامر يومئذ الى حليل بن حبشية فتزوج قصي ابنة حليل فآل الامر الى قصي وغضبت خزاعة واقتلت قريش وخزاعة قتالا شديدا ثم تداعوا الى الصلح وان يحكموا بينهم رجلا من العرب فيما اختلفوا فيه فحكموا يعمر بن عوف فقصى بينهم بان قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة فجمع قصي قومه من منازلهم الى مكة وتملك على أهل مكة فملكوه واخطط للعكبة ساحة واسعة واباح للناس أن يبنوا دون ذلك حولها من الجهات الاربع وامرهم ان يجعلوا بين بيوتهم مسالك يفضون بها الى ساحة الكعبة كما أمرهم الا لا يرفعوا بيوتهم عن الكعبة لتظل مشرقة عليها وكانوا يستظلون بظلالها وكان حول الكعبة اشجار هابت قريش قطعها فقطعها قصي بيده واعانوه فجمع قومه وقسم مكة اربعا فانزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي اصبحوا عليها ولذلك يقول الشاعر :

أبوكم قصي كان يدعي مجمعا

به جمع الله القبائل من فهر
كان قصي أول من أصاب ملكا من أولاد كعب اطاع له
به قومه فكانت له الحجابة والسقاية والرفادة واللواء وهو
أول من بنى دارا للندوة فكانت قريش لاتقضي أمرا الا فيها وما يتشاورون
في امر نزل بهم الا في هذه الدار ولا يعقد لواء الحرب الا فيها ولا يعقد
نكاح الا بها • ولا يدخل فيها للبت في الامور من قريش الا من بلغ الاربعين
وهو اهل لان يفصل في مهمات الامور فهي دار الشورى وهي مجلس الامة
وكان أمر قصي في قومه يسير مسير الشريعة في حياته وبعد مماته لا يعمل
بغيره تيمنا بفضله وشرفه • وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش كل موسم
من أموالها الى قصي بن كلاب فيضع به طعاما للحجاج يأكله من لم يكن
له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم وذلك أن قصيا فرضه على قريش وقال
لهم : يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته ، وأهل الحرم وان الحاج
ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم شرابا وطعاما
ايام هذا الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام
من اموالهم فيدفعونها اليه فيضعه للناس أيام منى • واتخذ أولاده هذه سنة
بعده ولما اصاب مكة في عهده جذب خرج حفيده الى الشام ومعه ما تجمع
من خرج قريش فاشترى به دقيقا وكعكا فنحر الجزور وطبقه وجعله
ثريدا واطعم الناس ، فسمى بذلك هاشما لانه هشم الثريد • وجاء الاسلام
وقريش تتخذ هذه عادة موسمية فامضاها النبي (ص) واقام على ذلك أبو
بكر والخلفاء من بعده ويقول الطبرى جرى ذلك في الجاهلية حتى قام
الاسلام ثم جرى في الاسلام الى يومنا هذا فهو الطعام الذى يضعه السلطان
بمنى للناس حتى يتقضى الحج • واهتم قصي بسقاية الحج واتخذ لهم
حياضا من الجلود توضع بفناء الكعبة ويسقى فيها الماء العذب يؤتى به من
الآبار البعيدة محمولا على ظهور الابل • ما اروع هذه الادارة البسيطة
في شؤون الحج وما اسى هذه النفوس الطيبة الكريمة الآمنة المطمئنة ذلكم
هي طباع العرب السمحة وتلكم هي الفطرة الطاهرة التى يفطر عليها

الانسان قبل ان تتعقد عليها امور الحياة • أمن واستقرار وضيافة سخية وعناية فائقة مع طيب نفس دون منة بل كانت تراها قريش فرضا عليها تسهل أمور الحج للناس ليشهدوا منافع لهم •

ولما كبر قصي وضعف احضر ولده البكر عبدالدار وكان هذا ضعيف الشخصية وله أخوة أفوياء • قال له أبوه والله لالحقنك بالقوم وان كانوا قد شرفوا عليك • فلا يدخل رجل الكعبة حتى تكون تفتحها ولا يعقد لواء حرب لقريش الا بيدك ولا يشرب رجل بمكة ماء الا من سقايتك ولا يأكل احد من اهل الموسم طعاما الا من طعامك • ولا تقطع قريش امورها الا في دارك • ولما توفي عبدالدار لم يرض ابناء أخيه عبد مناف أن ينفرد بالامر ابناء عبدالدار واختلفوا فيما بينهم ولم ينزل احد عما يدعيه للآخر ولكنهم جنحوا للصلح وقسمت مصالح قريش بين الفريقين بالقرعة فكانت الرياسة في بنى عبد مناف فوليتها هاشم و انتهت اليه الرياسة ومنه الى ابنه عبدالمطلب الذي ظفر بالمحل الارفع من الشرف والحياة واستهل اعمال رياسته باكتشاف بئر زمزم وكانت قد خفيت ونبت على حواشيه العشب وكانت قريش قد منعت من حفرها لان صنما كان قائما عليها فلما اكتمل لعبد المطلب عشرة أولاد أقدم على حفرها فنبط ماؤها مرة اخرى ووجد في عينيها غزاليين من الذهب وجواهر وسيوفا وذهبها فاخذ الذهب والغزاليين وصنع منها باب الكعبة •

وفي أيام عبدالمطلب حدث حادث جلل ذلك ان ابرهة اقدم يقود جيشا لجبا يتقدمه فيل لا عهد للعرب به وكانت نية ابرهة ان يقوض اركان البيت ويزيل الكعبة وعلم العرب بهذه المفاجأة فنادى عبدالمطلب فيهم أن احموا ابلکم و اتركوا أمر البيت فان له ربا يحميه وقد اجاب الله طلبته وحمى بيته وجعل كيد اصحاب الفيل في تضليل وارسل عليهم طيرا ابايل فاهلكتهم وجعلتهم كعصف مأكول • وكانت هذه أول غزوة اجنبية حاقدة لقد التف حول الكعبة العرب وتكاثروا وانتظم امرهم وسارت تجارتهم غدوا ورواحا وصار لهم كيان دولي وبدأت قوتهم تظهر للوجود ففاظ ذلك ابرهة والاحباش ولم يريدوا أن يجدوا لهم منافسا في هذه المنطقة فجهز

هذا الجيش اللجب فاهلكه الله •

استقرت الاحوال واخذت الامور تجرى على اذلالها وتكاثرت القبائل وكثر سادات القوم واعتز كل صنيدي بعشيرته وضعفت احوال قريش والامة العربية تنبت الرجال الاذكياء وكانت مدارس الحياة تقدم كل يوم رعيلا من الشعراء والخطباء والعرافين والكهان وعلماء الانساب والانواء والعيش صفو ومجالس الطرب والغناء قائمة في كل مكان وأسواق عكاظ وذي المجاز وذي المجنة الحافلة بالادب ومجالس المحدثين والقصاصين كل اولئك كانت تريد رائدا يدير هذه الحضارة الجميلة فكان أمر الله قدرا مقدورا وفصلت السماء في الامر واشرق فجر مكة عن مولود مبارك ما كان الناس يعرفون انه رائد هذه الامة وقائدها الى الصراط المستقيم كان مولد محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم فاتحة عهد جديد لهذه الامة وكان ذلك ارهاصا لظهور النبوة وبعد خمسة وعشرين عاما من مولد محمد اتاب الكعبة حريق فتصدع بنايها وهدمت ليعاد بناؤها واشتركت قريش كلها في نقل الحجارة اليها وشارك محمد في ذلك ولما بلغ البناء موضع الحجر الاسود اختصمت القبائل في شأنه فكل قبيلة تريد أن تحتجز الشرف لنفسها في رفعه الى موضعه وكاد القتال ينشب بينها لولا أن خرج عليهم رجل من كبارهم فقال : يا معشر قريش ، حكموا فيما اختلفتم به أول داخل عليكم فكان محمد أول داخل وهتف القوم : هذا الامين وكلنا نقبله ونرضاه • فقال محمد : احضروا لي ثوبا فوضع الحجر فيه وقال لتأخذ كل قبيلة بطرف ثم ارفعوه جميعا حتى اذا بلغ الموضع اخذه بيده ووضع في مكانه واتموا بناءها وزادوا تسعة اذرع عن البناء الاول وجعلوا لها سقفا وميزانا ينزل منه المطر •

فكانت هذه اول زيادة في الكعبة منذ ان وضع قواعدها ابراهيم عليه السلام وكانت هذه الظاهرة ابتداءا للرائد الاول وارهاسا للنبوة فقد اجمع القوم ان محمدا أمين هذه الامة وانه هو الذي يحل مشكلها ويجمع كلمتها وانه القائد المنتظر واخذت العناية الالهية تعد محمدا لامر جليل وحدث له ما بعده •

بدأ نجم النبوة يتلألأ في جبين محمد ووجد القوم فيه قبل مبعثه
صفة الرجولة وعلائم العبقريّة فكان لا يتصرف الا تصرف الشهم الأبيّ
والحليم المتزن وكان يخرج مع القوم الى عكاظ ومجنة وذى المجاز الى
هذه الاسواق التي كان يقيمها العرب في الاشهر الحرم بجوار مكة وكانت
تعرض البضائع فيها وتنشد الاشعار ويبدى كل ذى رأى رأيه وتخطب
الخطب وكان القوم يتنافرون ويتكاثرون ويتفاخرون وكان كل شخص
ينشر رأيه ويبدى عقيدته وهو آمن مطمئن لانه في الاشهر الحرم وكان
محمد يجد في هذه المعارض المزدهمة آفاقاً واسعة للتفكير في خلق الله
وفي نفسه • والى هذا كله كان محمد يرعى غنم أهله ممن يريد ان يعهد
بأغنامه اليه فاذا خرج الى البر رأى هذا الفضاء المنبسط تمرح به الاغنام
السارحة تتدافع لتقضم العشب أو تنفياً للظلال ورأى في وداعة مشيها وتدافعها
على قزمة العشب أو شجرة الشيح لونا من الوان الفرائز وكانت

له فيها دراسات كأن العناية الالهية الهمة أن يمشي في مستهل حياته هذه المشية الوئيدة الفاحصة المفكرة • والراعى الحذر المتعقل يحنو على غنمه حنوه على أطفاله فلا يعطشها ولا يجوعها ولا يتركها هملا • ان رعى الاغنام يوقظ في النفس الشعور بالرحمة والعطف ويدرب الرأى والعقل على حسن الادارة والتدبير والنظام كان محمد يأخذ غنمه في السهول والوديان ويصعد بها على الهضاب ويهبط في الشعاب ويردها موارد الماء فكانت هذه المشاهد الطبيعية في الكأ والماء والطير في السماء والوحوش السارحة في الفضاء مجالا وسيعا يجد فيه محمد متعة العقل وراحة النفس • وكان يطلق لخياله أن يحلق ويسبح في ملكوت الله فيرجع الى نفسه ويقول ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه • عصمت هذه المشاهد وهذا التفكير محمدا من زلة الشباب وهو الفتيان فكان رفيع الجانب عفيفا صادقا وأمينا حتى غلب عليه هذا اللقب الجميل فلا يوصف به أحد غيره ولا يقال « الامين » الا له • مضى محمد في رعي غنمه ردحا من الزمن حتى اذا ايفع وصار يقتعد مكان الرجولة جاءه عمه أبو طالب وقال له يا ابن أخي انني رجل لا مال عندي وقد احوجتنا الايام وخديجة بنت خويلد تستأجر الرجال في الخروج بأموالها للتجارة فهل تريد أن أكلمها فقال : الامر اليك يا عم • وذهب أبو طالب الى خديجة فسألها أن تستأجر محمدا فأجابت قائلة : « لو سألت ذلك يا أبا طالب لبعيد بغيض لاجنبك فكيف وقد سألته للقريب الامين » •

فقال ابو طالب : يا ابن أخي هذا رزق ساقه الله اليك وخرجت القافلة وخرج محمد معها يتصرف مع القوم تصرف الرجل الحكيم فأجبه التجار واحترموه واطاعوه فباع وقايض وابدل ما ابدل وربح ونجح ومع ذلك فلم ينصرف عن التفكير في ملكوت السموات والارض وعاد بالتجارة الى خديجة ونقل اليها ما فعل فاصغت اليه وسرت بحديثه واعجبت باماتته وسمو خلقه وتمنت ان يكون هذا الشاب الصالح الامين زوجا لها وهي التي رفضت يد كبار رجال قريش واثريائهم ولم تكتم رغبتها ، فتحدثت

الى المقربات من النساء وعلم محمد بذلك وكان الذي اعجبه من خديجة ادبها وحزمها وزفت سيدة قريش الى أمين قريش وسيدها •
وبداً محمد حياة جديدة مع زوجه المكتملة وتهياً له بيت فيه برد الراحة وانصرف الى انفراده وتفكيره في ملكوت السموات والارض يخرج الى الفضاء الطلق يتأمل مشاهد الطبيعة ويصغى الى احاديث القوم ويشاركهم في عكاظ وذى المجاز ومجنة ويخلو لنفسه يصعد الجبال ويهبط الى الوديان كأنه يريد أن يجد شيئاً ينتظره ولم يمنعه ذلك كله أن يكون صاحب البيت الكفء الذي يظلل بيته بأدارته وتدييره وكانت خديجة المرأة الذكية التي عرفت ما يحب وما يميل اليه وفهمت طريقة حياته فكانت تعينه على تفكيره •
والمرأة في طبيعتها تكون نافذة البصيرة تعرف في الرجل ما لا يعرفه الرجل في نفسه • هي سر اندفاعه في الحياة وهي سر شقائه • فكم عظيم كانت المرأة وراء عظمته وكم عظيم نزلت به المرأة من عليائه وقضت على عبقريته واندرثر في مطاوى الجهل ولم يعد الا خبراً من الاخبار •

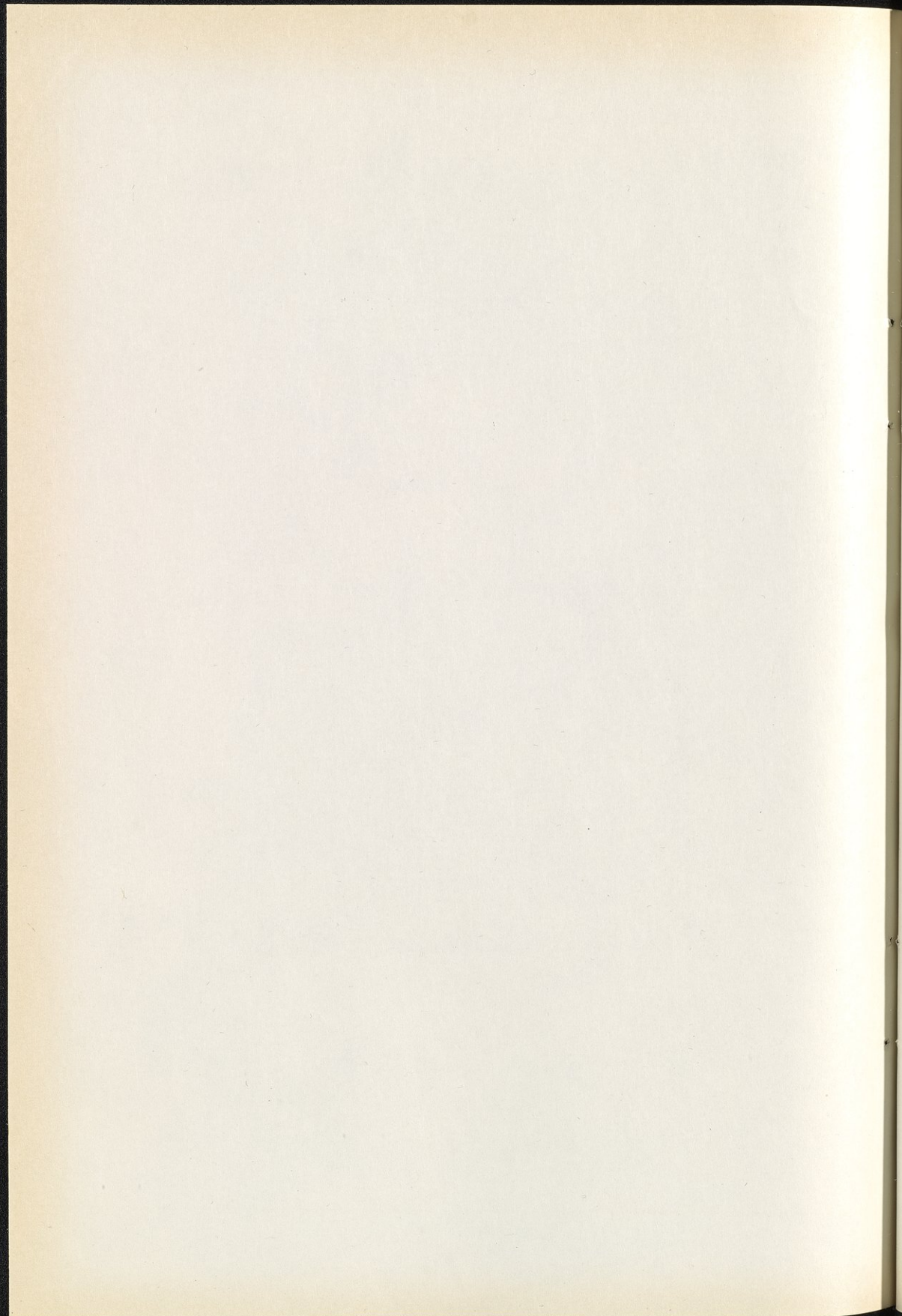
وكان العناية الالهية على موعد مع النبي المنتظر فهيات له سبل النجاح في بيت هادىء مطمئن وزوج سالحة تعمل لمحمد ما يود وما يحب وظل محمد على عهده القديم يغدو الى فضاء الله يتأمل مشاهد الكون ويروح على بيت يلفه السؤدد والشرف ويمر بالكعبة فيجد ما يحزنه وما يؤلمه ، يجد عبادة الاصنام من دون الله يجد عبادة « هبل » في جوف الكعبة واحترام « أساف » على ربوة الصفا وتبجيل « نائلة » على ربوة المروة ويسمع باللات والعزى ومناة في ارجاء البلاد ويسمع ان بيوتات العرب الكبيرة تحمل اصنامها في حلها وترحالها ويجد في عبادة هذه الاصنام ذلة في النفوس ما بعدها ذلة • ويجد فيها أمراً منكرأً تأباه طبيعة العرب ذات الالباء والشمم ثم يلتفت الى القوم فلا يجد في لسانه ما يستطيع به ان يقوله لهم • كان يتأمل ويفكر ويلف تأمله وتفكيره الصمت فلا ينبس بنت شفة فيما يجول بخاطره ولكنه مع ذلك يتحدث الى القوم حديثاً لطيفاً لا يخلو في ثناياه من مفاكهة وكان محدثوه يصغون اليه ويقدرون حديثه حق قدره

لانهم كانوا لا يعرفون في كلامه الا الجد ولا يجدون في حديثه الا الصدق ولم يكن بدعا هذا الصمت في محمد فقد كان يفكر في تكوين امة ولم شعب فان الشعوب لم تتكون عفو الخاطر ولا نبتت نبات الاشجار انها خلقت بأيدي المبدعين الذين ملأوا قلوب شعوبهم بالايمان والمحبة • خلقها الانبياء الذين كونتهم العناية الالهية • ان يد الآله التي خلقت آدم من طين وماء مهين قادرة على أن تصنع العاقرة وتجهزهم بقوة خفية هي قبس من منبع النور المقدس نور الآلهة • وهذا القبس هو الذي يشع فينفذ الى قلوب الناس فيغمرها بمحبة العبرى واحترامه • هكذا كانت شخصية محمد كانت شخصية جذابة وهكذا كانت حياة محمد في مجتمع قريش • كان في حديثه قوة وجزالة وكان في كلامه كأنه بيت في أمر أو يحكم بقضية وكان الناس يلتفون حوله ويدورون في فلك جاذبيته لا يفلتون منه ولا يقتربون من عظمة سره • كان محمد ينظر الى صنايد قريش في فصاحتهم وسؤددهم فيها بهم ويجلهم وتدفعه القوة الالهية ليصدع بما يؤمر فيتأخر فكان يتعد عن مجالسهم ، ذلك لان العناية الالهية لا ترسل الرسل الا في اكتمال سن الرجولة في الاربعين من العمر فما كان محمد يألف الغوغاء ولا يجد راحة بينهم لانه كان يعتقد أن نضج التفكير هو الذى يحول الغوغائية الى قوة فلا بد من الابتعاد عنهم حتى يأتي الوقت الذي يمكن فيه تحويل طاقة الشر الى منابع الخير • وكان يتعد عن أمجاد الشهرة لانه يعلم ان المتواضعين هم الذين يدعون الحياة الجديدة وهم الذين يصنعون الامجاد •

كان محمد يرى فئة من قومه في الذروة من الفضائل ويرى فريقا من القوم عبيد الشهوة • ويرى تعلق القوم جميعهم بالكعبة في الاشهر الحرم فيغمره الامل في أن يأتي يوم فيه يقبل عليه الفاضلون ويدخل نور الايمان في قلوبهم ويضىء جوانب حياتهم فيصبحون قوة له وسندا يستند اليهم • ويملاً الرجاء نفسه في هداية الغوغاء الضالين من عبيد الشهوة يأتي يوم يأتون به اليه فيؤمنون ويكونون ينبوعا للقوة الصادقة في الايمان لان الصدق

في ناحية الانحدار اذا تحول الى الصدق في اتجاه العلو يمعن في الارتفاع حتى يصل الى الذروة •

أمعن محمد في دراسة قومه قبل النبوة وتعرف الى ما يجبون وما يكرهون وعرف مقدار تعلقهم بالكعبة فوجد في ذلك كله مادة وفيرة يكون منها أمة مستقرة آمنة مطمئنة لا تلبث أن ترى خطأها في عبادة الاصنام فتسحقها وترفع الجباه المتمرغة على التراب الى صفحة السماء الهادئة المتلألئة بالنجوم فتتهدى الى ما في هذا الكون من اسرار يرتد عنها الطرف وتقف أمامها العقول • تعلق محمد بجدران الكعبة ووقف عند الحجر الاسود الذي اجتمعت كلمة العرب على قدسيته ورأى فيه رمز وحدة الامة وأمسكه بيده وشعر كأنه أمسك الامة العربية كلها باليد الاخرى • هذا هو شأن الكعبة وهذا هو شأن البيت أيام شباب محمد وقبل النبوة •





توسعة المسجد الحرام

الطبعة العليا للمسجد الحرام فوق المسجد

الديرة المنورة
البرقي

جَبَلُ النُّورِ - غَارُ حَرَّاءَ
المكان الأول الذي هبط إليه الوحي

ظلت الكعبة جليلة القدر في عين محمد وظل رجاؤه معلقا بها أن
تكون يوما من الايام قبلة الامة الجديدة التي ستخرج على العالم بعقيدة
جديدة سامية واستمر محمد يتردد عليها ويطوف بها وينظر الى الاصنام
الجاثمة بقربها فيشتد حزنه على قومه فيتركها وينحدر الى بطن مكة ثم
يصعد الى الربى والجبال حتى الف العزلة واستروح الصعود على ذروة
جبل النور وهو جبل يقع شرقي مكة شامخ الذروة يشرف على الكعبة
يرتد عنه الطرف أمعز ينتشر على جنباته الصخر الاحمر ويرتفع حتى
يصل الى ذراه لا تجد فيه نبتة فيه غار حراء مأوى التعبد
والعزلة لمحمد ومهبط الوحي الاول لرسالة السماء • ملكتي رغبة
في الاطلاع على هذا المكان الخالد وعزمت على أن ازوره ثم
توكلت على الله وامطيت سيارة فارهة في جمع من الصحاب وأخذت تسير
بنا السيارات في شوارع منبسطة مفروشة بالاسفلت تتعرج وتلتوى بين ابنية

مكة وقصورها حتى أفضى بنا الطريق الى فضاء واسع تربض فيه خيام
الحجاج الوافدين من ارجاء العالم وحول الخيام اكوام الحطب والحجاج
رجالا ونساء ينصبون القدور ويهيئون طعام العشاء أو يدقون الاوتاد
ويمدون الطنب او يوقدون النيران ويضلون القدور والمواعين آمنين
مطمئين في هذا الشهر الحرام الذي قدسه العرب في الجاهلية والاسلام .
وكانت الشمس قد اخذت تتجنح الى الغروب قد اعيها التعب فأصفر وجهها
ونشرت ذوائبها على ذرى هذا الجبل الامعز وسالت على جوانبه حتى
جللتها بلون ذهبي فاقع انارت صخوره الحمراء فظهر كأنه جبل من نور
يتلأأ سناه وأخذ النهار يكفكف أطراف اذياله ويلبس ملاءة الليل ولكنني
مع ذلك كله هممت ان اصعده وكدت ولم أفعل لان امرأة حجزتني عن
ذلك كانت تجلس على قدمي الجبل بين صخوره الناتئة الضخمة واحجاره
المتناثرة وحولها صبية صفار وقالت حين رأيتني اتخطى صخوره وانوقى
نواتيء احجاره « حاجة لله يا حاج » فقلت لها سأعينك بعد نزولي من
الجبل ان شاء الله . فقالت : انك سوف لا تنزل الا وقد لف الليل هذا
الجبل بظلامه وعند ذلك لن تراني اذ آخذ صييتي الى مأواهم ونظرت
الى ذروة الجبل تارة اخرى فارتد الى طرفي وصدق النظر الخبر وآمنت
بقول العجوز المسكينة ثم رأيت انصراف الناس من حوله وكانوا كثيرين
ينظرون اليه ويستوحون روحانية المصطفى في روعة الموقف . لقد حال
زحف الظلام دون الصعود الى ذروته ولكن الخيال جنح بجناحيه ولم
يقف دونه صخر صلد ولا جبل أمعز وشرع ينظر في مطاوي التاريخ
ويتأمل ويسأل لماذا اختار محمد هذا الجبل ليكون محل اعتكافه وكيف
كان يصعد اليه وكيف كان يعيش في غار حراء في جبل النور انه جبل
شامخ الذرى وفي شموخه معنى العزة والانفة انه وعر لا تصل اليه الا
القدم الثابتة والنفس الحامحة الصابرة لقد اختار محمد هذا الجبل الصعب
المرتقى لان الامانة التي سيجعلها كانت ثقيلة وصعبة فكأن العناية الآلهية
ارشدته ليتمرن ويتدرب على حمل الشدائد واقترحام العقبات لقد اراد محمد

ان يكون في الذروة وتكون الكعبة تحت ناظريه وليكون هذا البيت الذي جمع العرب من حوله عاصمة العرب وينبوع عزهم ومصدر مجدهم اراد أن تكون الكعبة منطلق فرسانهم وقادتهم وناشري رسالة السماء في شريعة عادلة غراء •

اتخذ محمد غار حراء موى له يتحنث فيه شهرا في كل عام ويأتي أهله اليه في الفينة بعد الفينة يزودونه بالزاد ويطمثون عليه ويجتمع اليه الفقراء والمساكين في وضح النهار ثم يتركونه •

لقد كانت هذه العزلة مبعث الصفاء في روحه والارهاق في عقله والنفس الصافية تستشف حجب الغيب وتنفذ الى ما وراء الافق وحسبك ان ترى ذلك في نفسك فان صفاء الذهن وراحة الفكر يعثان صفاء الفكرة ويهيئان للمرء ان يبدع ، والفكر الصافي ينبوع الحياة الجميلة والعباقرة في العالم هم اصحاب الذهن الصافي الذين جعلوا الحياة في الادب والفن والعلم ولهذا اختارت السماء محمدا (ص) ليقدم للعالم هذا القرآن المجيد وهذه الشريعة الغراء •

اخذت فكرة القيادة على محمد كل طريق ولم تدعه يفلت كان قائدا موقفا في رعي الاغنام وكان قائدا موقفا في تجارته وكان أمينا سيدا في القوم وكان يرى الرؤيا الصادقة في نومه ويجد في أحلام اليقظة عز قومه ويرتفع به الخيال فيجد مرتعا خصبا لتفكيره يعتكف محمد في الغار شهرا من كل عام • يأتيه المساكين فيطعمهم ويأتيه أهله يحملون الزاد فيكرم منوهم فاذا قضى شهره من عامه نزل من جبل النور الى بطن مكة وأخذ سمته الى الكعبة فيطوف بها سبعا او ما شاء الله من ذلك وكانت خديجة الزوج الصالحة الطيبة تهيء له برد الراحة وتغمره بحنان الزوج الصادقة المؤمنة الحبيبة •

وفي ليلة غراء من شهر رمضان بينما كان محمد غارقا في نومه هادئا مستطيا أحلامه فجأه طائف من الرحمن فهب مذعورا وقال يحدث عن هذا الطائف السماوي : انه شخص جميل الصورة يحمل بيده صحيفة من

حرير فضمني اليه وكاد يخفقني ثم ارسلني وقال اقرأ فقلت ما اقرأ • ثم
ضمني مرة اخرى وقال اقرأ فقلت ما اقرأ • وقد احسست أنه يريد ان
يضمني الثالثة فقلت ما اقرأ؟ قال اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان
من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم •
قال النبي : فقرأت ما أملاه علي الملك وقد نقش في قلبي نقشا ثم تركني
وانصرف •

هذا هو العقد الالهي الاول بين السماء والارض وهذه هي الرسالة
الاولى في غار حراء وهذه أول براعة استهلال في مجد العرب وعزهم القراءة
والكتابة مفتاح الحضارة وباب المعرفة والطريق اللاحب لتكوين العقل
وتهذيب النفوس وتربية الغرائز والتوجيه الصحيح • ان محو الامية وقتل
الجهل خطوة أولى الى آفاق العلم ومعرفة اسرار الكون • وهذه أول وثيقة
كتبت في خلود الامة العربية أملاها جبريل وقبلها محمد •

جزع محمد لهذا العقد السماوي واصابه الفزع وطفق يتلفت يمنة ويسرة
في أرجاء الغار وانطلق في فضاء الله يخشى انه طاف به طائف من الجن
كما كانت تزعم العرب ثم وقف مبهوراً يسأل نفسه من الذي
اقرأني؟ ومن هذا الذي السحّ علي حتى اجبته واخذت علي
نفسي عهداً أن اقرأ ونزل محمد من جبل النور يرتعد فرقا
ويتصب عرقاً ففجأه صوت سماوي يناديه يا محمد أنت رسول الله
وأنا الناموس الاكبر أنا جبريل اني مرسل من السماء لابلغك رسالة ربك
وأحملك أمانة هذه الامة التي تنتظر اشراقه رسالتك وتادية أمانتك وترك
محمد الغار حيث لم يجد فيه بعد مأوى آمنة وطفقت الزوج الصالحة خديجة
ترسل رسلها يلتمسونه فلا يجدونه وأخذها الخوف عليه ولما هدا روع
محمد وانصرف الملك عن وجهه عاد الى أهله يرتجف ويرتعد ودخل
البيت يقول زملوني دثروني فزملته خديجة ودثرتة • وهي خائفة عليه أن
يكون نزل به مرض فلما اطمأن به المكان وأسس بمن حوله سألته خديجة
عما به فقص عليها ما حدث معه وهنا بدت غريزة المرأة في الاعتزاز بالزوج
وشرعت تتفحص مواطن العظمة والرجولة في محمد وهي تعرف ان كلام

المرأة اذا صحبه الجد ولطفه الحنان دخل القلب بلا استئذان ونظرت اليه
 نظرة المعجب وقالت بكل حزم وشمم : ابشر يا ابن العم واثبت فوالذي
 نفس خديجة بيده اني لارجو أن تكون نبي هذه الامة وكانت خديجة
 اكتشفت فيه مجموعة فضائل الرجولة ورضيته زوجا لها واستمرت تقول :
 ما بالك تخشى وانت تصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الامانة وتحمل
 الكل وتقرى الضيف وتعين على نواب الحق • كل هذه الصفات وجدتها
 خديجة في محمد وعلمت أن العظمة تظلمه حيث أقام أو رحل • اطمأن
 محمد لهذا القول الفصل والوصف الجميل الصادق وهدأت نفسه وخرج
 يطوف بالكعبة يناجي ربه وينظر الى الاصنام يراها تتهاوى وتخسر الى
 الاذقان وتنتظر ساعة الزوال • ورن في سمع محمد وهو يطوف بالكعبة
 صوت السماء : يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز
 فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فايقن ان الذي رآه هو جبريل وان
 الله أمره ان يؤدي الامانة ويرفع صوته ويقول الله أكبر من هذه الاصنام
 ومن عبدتها والله أكبر من هذا الضلال الذي يغمر هذه الامة وان الله يأمره
 ان يصبر على أمر ربه ويحمل ما ألقى اليه من أعباء النبوة ولا يذهب من
 صبره ما يناله من الاذى فان الذي يريد أن يخلق أمة عليه أن يتلقى الاذى
 فعزم محمد أن يدعو القوم وان يصبر على أذاهم لانه يعرف قومه ويعرف
 شدة تعلقهم باصنامهم ووفائهم لعاداتهم وطقوسهم ويعلم ان اقتلاع العادة
 السيئة من نفوس الفتنها أصعب من اقتلاع الجبل • وضع محمد هذه الصعوبة
 في كفة ووضع حمله الامانة في كفة فرجحت الاخرى وعزم وتوكل على
 الله • بيد ان حادثا قد حدث أحزن محمدا وجعله يفكر في أمره لان ذلك
 الصوت الجميل والرنين البديع لم يعد يمر بسمع محمد فقلق وجزع وعاد
 تارة أخرى الى غار حراء يتعبد ويتحنن يقضي الليالي والايام وظن ان الله
 ودعه وكرهه ونزلت عند ذلك سورة والضحي والليل اذا سجي ما ودعك
 ربك وما قلى •

وعاد محمد الى داره تلك الدار التي يجد فيها برد الراحة وبجوحة

العيش والزوج الصالحة الذكية فأخبرها بالوحي فأمنت به وصدقت بكلمات ربه وآمن به ابن عمه علي بن ابي طالب وكان لا يزال في ميعة الصبا وقد كان محمد كفله ورباه في حجره ونشأه في مدرسته حتى أصبح سيف الاسلام وعماده وهكذا بدأت الرسالة من الكعبة وغار حراء وبیت النبوة •

وظل محمد يعبد ربه خفية ثلاث سنوات يطوف بالكعبة ويرى الاصنام ترنو اليه ويرى فيها عنوان الذلة ويتنظر اليوم المجيد التي تتحطم به هذه الاحجار التي ربطت عقول صناديد العرب ودهمائهم فلا تستطيع الانطلاق في فضاء واسع وعز عليه أن يصبر فلا يجهر بالقول حتى الهمة السماء ونزلت عليه آية الكتاب المبين : « وانذر عشيرتك الاقربين واحفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل اني برىء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك تقوم وتقلبك في الساجدين انه هو السميع العليم » • فاستبشر محمد بهذا العزم ودعا عشيرته الاقربين واخذ يحدثهم بما وصل اليه من ربه وقال لهم فيما قال : « ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم وما أعلم احدا جاء قومه بأفضل مما جئتم به لقد جئتم بخير الدنيا والآخرة •

وانقست عشيرته فريقين فريقا آمن به وصدقه وفريقا زوى وجهه عنه وناوأه فما لان ولا تراجع وخرج من دائرة عشيرته الضيقة الى دائرة قريش الواسعة ووقف أمام الكعبة على ربوة الصفا بالقرب من الصنم « اساف » صنم قريش المعبود ونادى : يا معشر قريش ! أرايتم لو اخبرتمكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل انتم تصدقونني ؟

قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قط ! قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد • يا معشر قريش انقذوا انفسكم من النار فاني لا اغني عنكم من الله شيئا اني أدعوكم الى ان تشهدوا ان لا اله الا الله واني رسول الله • كان محمدا واثقا من نفسه فهو الامين وهو الرائد الذي لا يكذب

أهله وهو القائد الذي يريد أن يجمع أمة على التوحيد في الله ووحدة الكلمة في المجتمع وينقذها من هذا التفرق والشتات في ظلال اصنام منحوتة من الحجر لكل قبيلة صنم ولكل جمع آله •

كان هم محمد ان يجمع كلمة العرب على مبدأ واحد لانه كان واثقا ان الوحدة هي سبيل القوة وان القوة هي التي تحفظ الدعوة وان الدعوة انقاذ للانسانية من الظلم والاستعلاء والاستغلال انه كان يريد من القوم ان يكونوا اخوة في ظلال التوحيد اخوة في ظلال القرآن دستور الامة الاسلامية •

ولم يكتف محمد بدعوة قريش وحدها بل شرع يقف على منازل القبائل ويقول : يا بني فلان ! اني رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه ، من هذه الانداد وان تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى ابين عن الله ما بعثني به •

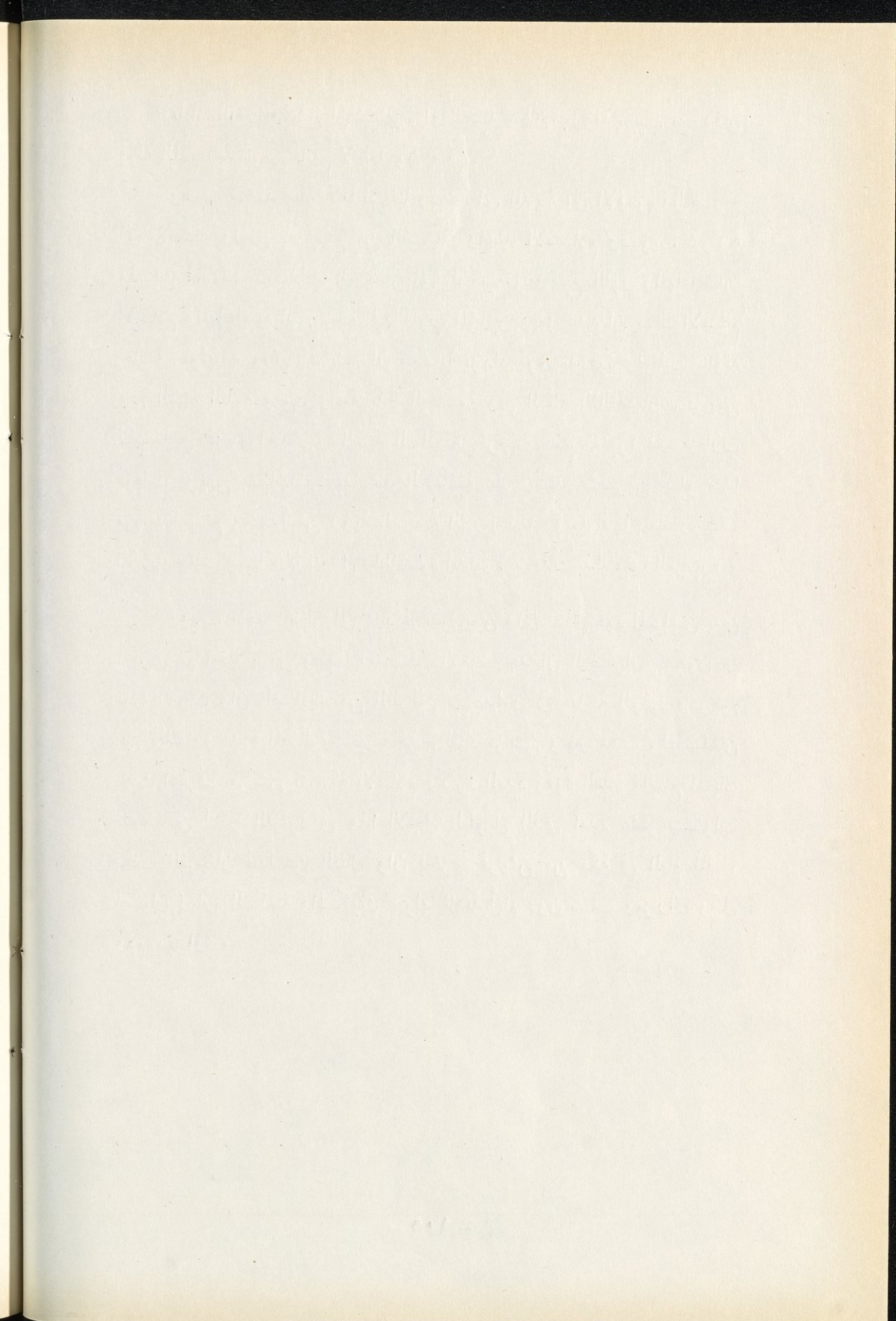
وكانت قريش تجد في هذه الدعوة تحديا لعقيدها فوقفت ضده ومنعته وآذته وتحمل من الاذى ما لا يتحمله الا النبي مرسل يريد ان ينقل قومه من الظلال الى الهدى •

وكان أكبر شيء على محمد ان يرى هذه الاحجار المنصوبة تتناوح على الصفا والمروة وبين يدي الكعبة ويرى صناديد قريش وفصحائها وشعراءها يخرون لها للاذقان سجدا وكان يحزنه ان يرى في هذه الجماعة من قومه معدن الرجولة والعبقرية يصدأ يوما بعد يوم ولا يوجد ضائع يصوغه • ان أصعب شيء على العبقري ان يعلم ويهذب ولا يجد لتعليمه اذنا صاغية ولا قلبا واعيا • وكان أصعب شيء على محمد ان يرى اتباعه يتال منهم القوم مالا يتاله العدو من عدوه ولكنه صبر واحتمل واوذى في دعوته واستمر فظفر • كان محمد يرى النصر بين عينيه ولذلك لم يتسرب اليأس الى قلبه وكان ينتظر في هذه المجموعة المثقفة من رجال قريش املا قويا في الاستجابة الى دعوته ويجد فيهم العون الصادق اذا دخل الايمان في قلوبهم •

ما استطاعت قريش ان تستغزه أو تغضبه وكان جل ما يجيب به الأذى قوله اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون •

وهجر محمد مكة كما اسلفنا وذهب الى المدينة الى الاوس والخزرج الى الانصار ولحق به جمع من الصحابة واشتد الاسلام وقويت شوكته ولكن محمداً كان لا يزال ينظر الى الكعبة انها منبع النور وانها مصدر الاسلام وانها القبلة التي تتجه اليها قلوب المؤمنين ويعز عليه ان يترك الاصنام جائزة حولها • ورأت قريش ان محمداً يزداد قوة بعد قوة واخذت تناوئه وفي السنة الثانية وقعت واقعة بدر الحاسمة وفي السنة الثالثة تأرت قريش لنفسها في غزوة أحد وفي السنة السادسة خرج محمد معتمراً غير محارب فوقفت قريش بشبابها وشيها عند الحديدية على بعد عشرين كيلو متراً من مكة تمنع محمداً من رؤية الكعبة التي أحبها ووجد فيها رمز وحدة الامة وحلفت يمينا « لا يدخل علينا عنوة ابداً ولا نتحدث بذلك عنا العرب » •

ووقف محمد ينظر الى عناد قريش بعين والى تدفق قوة المسلمين بعين أخرى ثم أخذ يتأمل وكلما أمعن في الامر وجد ان الخضران سيكون في مادة العرب وان الصناديد من الطرفين سيجدلون في ساحة الوغى فاعرض عن ذلك ووجد في المصالحة خير مخرج لعناد قريش وخير مكسب للمسلمين حيث اعترفت قريش بشوكة الاسلام وكثرة العدد وقوة العدة واتسع المجال للمسلمين لنشر الدعوة في هذا الاجل الطويل الذي أمده عشر سنوات يكف الفريقان فيها عن القتال وان تخرج قريش من مكة في العام المقبل لضمان زيارة الكعبة والمكوث حولها ثلاثة أيام دون سيف ومزراق وقتل ودم مهراق •



مَشْرِقُ الدَّعْوَةِ

وفي العام السابع عاد النبي ومعه الفا معتمر دون ان يحول بينه وبين
الكعبة حائل فدخل مكة وطاف حول الكعبة ودخل في دين الله اثنان من
صناديد قريش هما خالد بن الوليد وعمرو بن العاص • وفي السنة الثامنة
نقضت قريش العهد فاستعد الرسول لفتح مكة والطواف حول الكعبة قبلته
وموطن رجائه واكمل العدد واعد العدة وتوكل على الله وقال : « اللهم خذ
العيون والابخار عن قريش حتى نبغتها في بلادها • واوصى النبي القواد
والجيش ان لا يقاتلوا الا من يقاتلهم ولا يجهزوا على جريح ولا يقتلوا
اسيرا ولا يتبعوا مدبرا •

وسار جيش المسلمين وجزعت قريش ولكن محمدا لا يريد قتالا
لانه يعلم ان الخسران من الجهتين خسران لقوة العرب • واعلن على الملأ
من دخل البيت كان آمنا ومن دخل دار ابي سفيان وكانت باعلى مكة فهو
آمن ومن دخل دار حكيم وكانت باسفل مكة فهو آمن واغلق الناس ابوابهم

والقوا السلاح •

ومضى موكب النبي الى الكعبة واستلم الحجر وطاف ووقف في جمع من قريش وقال فيما قال « لا آله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده •• يا معشر قريش ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمتها بالاباء الناس من آدم وآدم خلق من تراب وقرأ الآية « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » •

ومشى النبي الى صنم جاثم بجانب الكعبة فجعل يطعن في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا •

وتسابق المسلمون الى الاصنام فجاءوا بها الارض كسرا وتحطيمًا ودفع النبي مفاتيح الكعبة الى سدنتها قبل الفتح وقال :
« خذوها يا بني عبدالدار خالدة تالدة الى يوم القيامة لا ينزعها منكم الا ظالم » •

احتضن محمد الكعبة عند الملتزم ونظر الى الاصنام تتهاوى والى كلمة الله تعلقوا والى وحدة الامة تتماسك والى نخوة الجاهلية في العصية والتفرقة تلوذ فرارا وبدأت قلوب القوم تتفتح الى تشريع جديد وبناء مجتمع فاضل في ظل عدالة واخاء ومكث محمد في ظلال الكعبة اسابيع ثم استعمل على مكة عتاب بن اسيد واوصاه باهلها خيرا وقال له :

« أتدري على من وليتك يا عتاب ؟ •• على جيران بيت الله فاستوص بهم خيرا » • اطمأن الناس لهذا الفتح المبين ونزلت السكينة على قلوب المؤمنين وعم الامن في ارجاء البلاد ووفد المهاجرون والانصار من المدينة والتحققت بهم قبائل العرب تحت امره ابي بكر اول امير للحج واخذ المسلمون يطوفون حول الكعبة • وكان أبو بكر يبين لهم مناسكهم والمشركون يؤدون مناسكهم على حسب ما ورثوه من تقاليدهم وعاداتهم وبينما هم على هذه الحال وافاهم علي بن ابي طالب يحمل رسالة النبي اليهم ويعلن نزول سورة براءة ويقول : « لا يحج بعد هذا العام مشرك

ولا يطوف بالبيت عريان • وانه لا عهد لمشرك ولا ذمة لاحد الا لمن كان له عند رسول الله عهد وعهده الى مدته وان الله امر بجهاد الشرك ممن نقض من اهل العهد الخاص ومن كان لا عهد له فاجله اربعة اشهر يرجع فيها كل قوم الى مأمئهم ثم لا عهد لمشرك بعدها •

طابت نفس محمد بالفتح المبين وارتاح الى جمع كلمة العرب وابقن انه سيعدهم لخلق مجتمع فاضل ولنشر عقيدة السماء في ارجاء العالم وازدادت نفسه طيبا أن طهر الكعبة من الشرك ونقلها الى عالم يشع بالنور ويضيء الكون •

الأطوار التي مرّت بها الكعبة

تداعت الاصنام من حول الكعبة وولت وثنية الشرك واستعلت الفكرة
الاسلامية وصفا الفكر العربي وبدأت للعرب حياة جديدة في فنون السياسة
والحرب والتشريع وكان ابرز ما في التشريع توخي العدالة والمساواة
ومجاراة الطبيعة والفضرة التي فطر الله الناس عليها وأجل ما ولده الدين
الاسلامي في فتيان العرب وكهولهم وأوحاه الى شيوخهم الرجولة والمروءة
أو كما يسميها الناس به الفروسية وكانت الكعبة قبة الجميع يتوجهون اليها
ويدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وفي هذه الفكرة كفاية في
تربية النفس وترويض الغرائز لفعل الخير وتجنب الشر وتقارب النفوس
وتوحيد الهدف • لقد كانت الميول موزعة بين اساف ونائلة واللات والعزى
وغيرها من أصنام قريش فصارت الى آله واحد لا شريك له رب البيت
ورب هذه البنية التي صارت رمز الوحدة ورمز القوة • وظلت الكعبة
قوية البنيان صامدة الاساس على عهدها الاول منذ وضع الامين الحجر

الاسود في محله مع قبائل قريش حين كان من عمره في الخامسة والعشرين •
وتوفي النبي (ص) ولم تنزل كما كانت واستمرت الحال بها في عهد
الخلفاء الراشدين حتى حاصرت عساكر دمشق عبدالله بن الزبير عام أربع
وستين فاخذ رجل من أصحابه نارا في ليفة على رأس رمح وكانت الريح
عاصفة فطارت شرارة فتعلقت باستار الكعبة فاحرقتها وتصعدت حيطانها
واسودت وتناثرت احجارها فلما انصرف العسكر عن حصارها شاور عبدالله
بن الزبير اصحابه في هدمها وبنائها فاختلف الرأي بينهم فقال ابن الزبير
قد بلغني أن رسول الله (ص) قال لو كانت بنا سعة لبنيته على أس
ابراهيم ولجعلت له بابين شرقيا وغربيا واستقر رأى ابن الزبير على هدمها
فلما هدمت قال الناس كيف نصلي بلا قبلة وأمر ابن الزبير بموضعها فستر
ووضع الحجر في تابوت في خرقة من الحرير ووصفه عكرمة قال رأيت
فاذا هو ذراع أو يزيد وكان جوفه أبيض مثل الفضة وجعل حلي الكعبة
عند الحجاب في خزانة الكعبة • فلما أراد بناءها حفر من قبل الحطيم حتى
استخرج أس ابراهيم وبنى عليه وجعل لها بابين ملصوقين بالارض شرقيا
وغربا يدخل من واحد ويخرج من الآخر وجعل على بابها صفائح الذهب
وجعل مفاتيحها من ذهب وبقيت الكعبة في أيام ابن الزبير على حالها الى
أن دخل الحجاج مكة فهدمها وبنها بأمر عبد الملك ابن مروان واخرج
الحجر منها وأعادها الى بناء قريش ويذكر المؤرخون أن المهدي هم أن
يعيدها الى مثل بناء ابن الزبير فاستشار الامام مالكا بذلك فقال مالك : اني
أكره أن يتخذها الملوك لعبة : هذا يرى رأى ابن الزبير وهذا يرى رأى
عبد الملك بن مروان فيتناولونها بالنقض والبناء فاحجم المهدي ولم يفعل •

وأول من كساها سعد اليماني ثم كساها النبي (ص) بالثياب اليمانية
ثم كساها عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان بكتان رقيق يعمل بمصر يسمى
القباطي من بيت المال وكساها عبدالله بن الزبير بالدياج ويعزى ذلك الى
عبد الملك بن مروان وكساها المأمون ثلاث كسى في العام فتكسى القباطي
في رجب وتكسى الدياج الابيض يوم سبعة وعشرين من رمضان وتكسى

الاحمر يوم التروية وهو اليوم الثامن ذى الحجة وكان الخلفاء العباسيون يتبارون في كساء الكعبة اما الفاطميون فكانوا يكسونها البياض • ولما آل الامر الى العباسيين بسوها الدياج الاسود •

وأهم ما حدث للكعبة بعد الاسلام زحف القرامطة على الكعبة وهم جماعة دوخت الدولة العباسية اواسط ايامها فقد ثارت هذه الجماعة ضد الحكم العباسي بغية القضاء عليه وزحفت جيوشهم على مكة ودخلتها في اليوم السابع من ذى الحجة من عام ٣١٧هـ ودخلوا المسجد الحرام ووضعوا السيف في الطائفين والعاكفين والركع السجود حتى قتلوا على ما يرويه المؤرخون ما يزيد على ثلاثين الفا ونهبت جيوشهم اموال الحجاج وبيوت أهل مكة حتى أصبح أهلها يستعطون الناس وفي اليوم الرابع عشر من ذى الحجة قلعوا الحجر الاسود من مكانه وحملوه الى هجر وبقي موضعه خاليا يضع الناس ايديهم فيه للتبرك نحو من اثنتين وعشرين سنة ثم اعادوه الى محله •

ظلت الكعبة حرما آمنا في الجاهلية وصدر الاسلام لا يقتل فيها صيد ولا ينال أحد من آخر نيلا طوال الأشهر الحرم وظلت رمزا للسلام يفد العرب اليها من كل مكان يتناشدون الأشعار يتفاخرون ويتكاثرون ويبيعون ويشترون ويعقدون الأسواق حتى دخلت أقوام في دين الله تكمن في نفوسها عادات وتقاليد ليست من عادات العرب ولا تقاليدهم • فاستهزءوا بالقيم الانسانية وصارت مبادئ الدين العوبة في أيديهم يفعلون بها ما يشاءون حرفوا القرآن عن مواضعه واتخذوه وراءهم ظهرية وصاروا حربا على الاسلام والعرب وبذلك بدأت الفتن في الشرق العربي ولم يترك هؤلاء فرصة للنيل من العرب والاسلام الا افترصوها • وما رأى الشرق العربي حكما عادلا ولا رأى راحة واستقرارا الا على ايدي العرب ذلك لان هذا العنصر في طبعه وتقاليد حفظ الجوار وجاء الدين الاسلامي فتمم في العرب مكارم الاخلاق وأحسن ما في طباعهم انهم لا يعرفون التفريق العنصري الذي تقره عادات الامم الاخرى في جنوبي أفريقيا أو البيض مع زنوج

أمريكا ويكفي العربي أن يكون أخا المسلم اذا سمعه يقول لا آله الا الله
محمد رسول الله •

اعتدى القرامطة على الكعبة واقتلعوا الحجر الاسود ظنا منهم انهم
يصرفون الناس عن بيت الله الحرام فخاب فآلهم وظلت الكعبة قبلة العرب
والاسلام في مشارق الارض ومغاربها وسيظل القرآن يرن في ما آذنها يسمع
العالم صوت الحرية والاخاء والمساواة والعدل وسيظل ايضا مصدرا للتشريع
ونورا يهتدى به الضالون في بيداء الجهالة الجهلاء •

وكان آخر بناء للكعبة ما حدث ايام السلطان مراد عام ١٠١٩ من
الهجرة حيث تشقق الجدار الشامي ففكر بهدمه واعادة بنائه فلم يوافق
العلماء على رأيه واقترحوا ان تحزم الكعبة بحزام نحاسي قوى يشد
جدارها فوافق على رأيهم وغلف الحزام بالذهب الخالص وبلغت نفقاته
نحو من ثمانين الف دينار وقد اراد هذا السلطان ان يعيد بناء الكعبة
بحجارة موشاة بالذهب فمنعه شيخ الاسلام وفي اليوم التاسع عشر من
شعبان من عام ١٠٣٩ من الهجرة امطرت السماء مطرا غزيرا فسالت
الوديان والبطاح وطفت على المسجد ففاض به وبلغ السيل باب الكعبة
فأمتلأت فانهار جدارها الشامي والشرقي وثلثا الجدار الغربي فعقد أمير مكة
في اليوم الثاني والعشرين من الشهر مجلسا واستفتى علماء مكة فأفتوا بنائها
من اموالها المحفوظة بعد هدم ما تقتضيه الحاجة من بنائها وان يكتب الى
الخليفة بطلب المساعدة وفي اليوم السادس عشر من ربيع الثاني من عام
١٠٤٠ من الهجرة حضر مندوب السلطان ليشرف على البناء ورست سفينة
تحمل المواد والاشخاب وقطع الحجارون للكعبة احجارا من جبل معروف
في الشبيكة سمي جبل الكعبة وقد قامت معارضة شديدة وطلبوا ان يكتب
المهندسون بالترميم وقد تم هدم ما كان ضروريا واستمر البناء الى نهاية
شعبان من عام ١٠٤٠ من الهجرة وفي غرة رمضان البسوا الكعبة كسوتها
واحتفلوا بتمام البناء ووزعت الخلع والهدايا وقد حدث اثناء عملهم فيما
يحيط بالحجر الاسود ان انفلق الى اربع قطع فهاهم ذلك فجمعوا القطع

وحاولوا ضمها بمعجون مركب ضمخوه بالعنبر فتماسك الى امد طويل
ثم تفكك وعالجوه مرة أخرى بمعجون آخر فلم يلبث طويلا حتى تفكك •
وعولج مرة أخرى بمعجون آخر فتماسك واستمر تماسكه • واستمر بناء
الكعبة قائما الى اليوم •

ماكانت الكعبة محتاجة الى زخرفة الخلفاء والسلاطين وما كانت
محتاجة ان يختلف في احجارها المختلفون ولا كانت الكعبة تأمل ان تدوس
خيل القرامطة فناءها ويهتك حرمةها وتسفك الدماء على اقدامها • انها
محتاجة الى ظلال الخلق الكريم الى الوفاء بالعهد الى الاحترام والاجلال
مما كانت تتمتع به في ظلال عبدالمطلب بن هاشم والى التيه والاكبار
اللذين كانت تجدهما في رحاب محمد بن عبدالله (ص) انها اليوم حرم
آمن تتمتع بأمن واستقرار وحرمة واجلال من جميع العرب والمسلمين اللهم
ان هذا بيتك فاحفظه واحمه واجعله مكانا طيبا لنور الاسلام يشع فيه •

المسجد الحرام

سترفع اركان المسجد عالية وستتناوح المنائر وسوف يحيط بالمسجد
ميادين رحبة تمر بها شوارع واسعة وستنبت اشجار الزينة على حافاتها
وسيفرح المؤمنون بهذا المظهر الاسلامي الرائع ويسجدون شكرا لله وحمدا
على آلائه * انه مظهر عمراني جميل ومعبد للمسلمين يعبدون فيه رب هذا
اليوم ومع هذا المظهر الاسلامي الرائع يجنح الخيال الى الحقب الماضية
فيمر باسواق مكة التي كانت تعج بالشعراء يتناشدون الاشعار ويعلقون
روائع قصائدهم في اركان الكعبة اعترازا بها وايمانا بتفوق العقل ويعرج
على دار ندوة قریش التي وضع اركانها قصي سيد قریش وموئل مجدها
في الجاهلية لتكون دار مشورتهم والفصل في احكامهم ويرى عناصر
حضارة ومدنية مظهرها هذه اللغة الجزلة ذات المعاني الواسعة التي جاءت
بالمعلقات والقصائد الطوال في اشعار الجاهلية ثم يسير الخيال معتزا حتى
يصل الى مشرق النبوة الاسلامية ويسمع الى الوحي ينزل على بطاح مكة

وشعابها كصلصلة الجرس تحف به اجنحة الملائكة يقدمهم جبريل ويجمع هذا الوحي المنزل في قرآن عربي مبين فيه نور يهدي من ضل سواء السبيل وفيه حكمه تهذب العقل وتنظيم يكون المجتمع ويلم شمل الاسرة ويكون دولة تعرف الحدود والحقوق تحمي الحمى وتحفظ الاموال وتصون الانفس وفي حديث مبين على لسان نبي في خلق كريم كل ذلك كون مدرسة عالية تبنى الشخصية وتصنع الرجولة تلك هي مدرسة محمد فيها تخرج فريق كبير في الفقه والحديث والادب والعقل الراجح الذي يضع المقدمات ويستنتج النتائج ويقرر الفصل في الاحكام ويفرق بين الرشد والغبي وقد برزت عقلية هذه المدرسة بعد وفاة رسول الله (ص) وتكونت جامعة ليس لها جدران اربعة انما كان حرمها في حرم بيت الله وبطاح مكة وفضاء المدينة وأخذت هذه الجامعة تلم أطرافها وتعمل الرأي في شؤون الحياة حتى خرجت مكتملة تهدف الى وضع قواعد التشريع ونظام المجتمع الفاضل وكانت وسيلتها في ذلك القرآن والحديث وتتاج الصحابة من الرعيل الاول ولذلك عرفت بمدرسة الحديث أو مذهب أهل الحجاز ويقولون عنهم انهم كانوا اعرف الناس بحديث رسول الله واخبرهم بفعله وتوضيحه لكتاب الله • وهكذا حمل الحجاز لواء الحديث وصار لمكة والمدينة دالة على المسلمين في ارجاء العالم •

خرجت مكة من فقهاء الصحابة عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وغيرهما وحسبك ان تجد التشريع الفقهى واضحا في رسالة عمر في القضاء واستمع اليه يقول فيها لابي موسى الاشعري : آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما او حرم حلالا ، لا يمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ان ترجع الى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادى في الباطل •

ثم استمع الى التشريع السياسي المكتمل في رسالة علي بن ابي طالب

التي وجهها للاشتر النخعي لما ولاء مصر وهي أجمع الرسائل لضروب
السياسة التي تدبر الامة واوسعها في تحديد الصلات بين الراعي والرعية •
قال : ثم أعلم يا مالك اني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك
من عدل وجور وان الناس ينظرون من أمورك مثل ما كنت تنظر فيه من
أمور لولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقول فيهم •• اياك ومساماة الله في
عظمته والتشبه به في جبروته فان الله يذل كل جبار ويهين كل مختال
وليكن أحب الامور اليك أوسطها في الحق وأعمها في العدل وأجمعها لرضا
الرعية فان سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر
مع رضا العامة •

ان شر وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام
فلا يكونن لك بطانة فانهم اعوان الائمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم
خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفادهم وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم
ممن لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على ائمه •• ثم انظر في أمور
عمالك فاستعملهم اختيارا ولا تولهم محاباة واثرة فانهم جماع من شعب
الجور والخيانة وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة
والقدم في الاسلام المتقدمة فانهم أكرم اخلاقا وأصح أعراضا وليكن نظرك
في اعمار الارض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك
الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرج البلاد وأهلك العباد ولم
يستقم أمره الا قليلا •• واياك والاعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها
وحب الاطراء فان ذلك من اوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون
من احسان المحسنين •• واياك والعجلة بالامور قبل اوانها او التسقط فيها
عند امكانها او اللجاجة فيها اذا تنكرت أو الوهن عنها اذا استوضحت فضع
كل امر موضعه وأوقع كل أمر موقعه •

بهذه القواعد الاصلية في سياسة الدولة وفي هذا الفقه السياسي
المكتمل وجه علي بن ابي طالب ولادة أموره في أرجاء البلاد • لم يتخرج
علي في جامعة بل تخرج في مسجد بين يدي رسول الله (ص) يستمع الى
وحي السماء وقول النبي وفعله فاصبح نفضة تفيض بالقوة والروح السامية

والايمان بالله والثقة بالنفس •

وخرجت مكة والمدينة رجالات التشريع والسياسة وقادة الحروب في
مستهل حياتها وشهدت عهدين عظيمين عهد قصي بن كلاب سيد قريش في
الجاهلية وعهد محمد بن عبدالله في الاسلام •

وها هي ذه مكة تشهد بيت الله الحرام ترتفع قواعده وتتسع رحابه
وتعلو منائره في عصر تكتظ فيه معاهد العلم بالبحث والدرس ووضع قواعد
التشريع واكتشاف قوانين الطبيعة للتحكم في اسرارها •

فلم لا تكون مكة منبع التشريع الاسلامي ومصدر تاريخ العرب ؟
ولم لا تقام فيها اندية البحوث في الفلسفة والاجتماع واسواق الادب واسواق
البضائع في الاشهر الحرم ؟ ولم لا تعود مواطن المفاخرة والتكائر والتنافس
لتعيد عهد عباقرة العرب في الادب والتشريع والسياسة والحرب ؟ لقد
انجبت ابطال ميادين الحروب ورجال السياسة وأئمة التشريع وان في معدن
العصر العربي في هذه الجزيرة الخالدة اصالة وفي هذه الاصالة استعداد
للنبوغ •

ان مكة تنتظر ان تكون بها جامعة ينحدر اليها العلماء من ارجاء العالم
الاسلامي لتكون مصدر القوة في تكوين المجتمع الاسلامي تقوده الى حيث
المجد المؤتئل • انها مهبط الوحي ومهبط الالهام • ان جامعة ترسي قواعدها
بجانب قواعد البيت وتكون لها فروع في المدينة جديدة ان تأخذ بيد العالم
الاسلامي وتنقذه من وهدة الضعف التي ينوء بها كاهله •

ان على المسلمين في ارجاء العالم ان يققوا على هذه الجامعة ان
تأسست من ثرواتهم ما يكفي أن يأتيها الاساتذة من ارجاء الدنيا وان يشيدوا
المكتبات الضخمة التي تجمع تراث العرب والاسلام وتجمع الى ذلك نتاج الامم
وان تفتح مجال البحث العلمي على مصراعيه فان هذه الارض ارض
العبقرية انتجت في حرها الشديد وبردها الهاديء رجالا عرفوا كيف
يخزمون انف الدهر وكيف يعلمون الامم وكيف يضيفون الى حضارات
الامم قواعد العدل والحرية والاخاء •

لقد كانوا يعرفون اللين في غير ضعف والشدة في غير عنف ويعرفون
كيف يعلو الحق ويظهر وكيف يسفل الباطل ويزهق • لقد علموا الدنيا
الوفاء بالعهد والرجوع الى الوعد في حضارتهم الجاهلية في الاشهر الحرم
وفي عقودهم التي تعقدها سنتهم • وعلموا الدنيا في حضارتهم الاسلامية
وفاء العهد وصدق الوعد وحسبك بهذا دلالة على حضارتنا السامية •

ان جامعة تبنى في مكة وتقوم قواعدها على قواعد تراثنا العربي
الاسلامي سوف يؤسس بنيانها على التقوى وسيرتفع عمود نورها الى الفضاء
لينير العالم الاسلامي والعربي وتحرسه من الافكار الواردة والمستوردة
وتستمد قوتها من جبل النور من غار حراء الذي اضاء العالم وان مخبرا
يؤسس او مكتبة تجمع مصادر العقل في مكة أو المدينة سيكون شأنها غير
شأن المكتبات والمختبرات انها ستكون شريعة ارتواء كبر زمزم في مائه
قدسية طاهرة حفظتها يد الآله في الحقب الطوال •

غَسَلُ الْكُعبَةِ

وفي مساء اليوم السادس من شهر ذي الحجة لعام ١٣٨٣ عدت الى الفندق من صلاة المغرب في بيت الله الحرام فوجدت بطاقة مطبوعة بالحبر الاخضر تحمل شعار الدولة وتنبئ بالدعوة لحضور غسل الكعبة وتشير بالسماح لمن يحملها ان يشهد ويشترك في غسل الكعبة في الساعات الاولى من ضحوة اليوم السابع من الشهر فسررت بها لان فيها فرصة قلما تجود بها الايام ارى فيها الكعبة من داخلها واشترك مع غيرى من حجاج بيت الله في غسلها وتوكلت على الله ومشيت مع جماعة من حجاج العراق فلما دخلنا المسجد الحرام لم اجد تغيرا في المظهر الا عددا من الجنود يقومون على النظام والحفاظ على بقعة صغيرة مستديرة مدت عليها بسط فاخرة في ظلال بناء الحرم الجديد الشامخ وكان الوقت في ضحوة جميلة ونسيم الهواء العليل يسبغ على المشهد روعة البهاء والجلال فاتخذنا مقاعدنا وشرع كبار الحجاج من البلاد العربية والاسلامية يتوافدون ويتنظمون جلوسا يحيى

بعضهم بعضا والناس يطوفون افواجا وجماعات حول الكعبة منهم من يمشي الهويئا ومنهم من يمشي الخب لا تسمع الا حمدا وثناء وصلاة وتسليما وترى حملة الكراسي يتراكضون ويتدافعون والعرق يتصبب من وجوههم ومن اكتافهم العارية والعجزة المقعدون والضعفاء صامتون وصامدون في كراسيهم •

لم تكن محرمين ولا مكشوفى الرؤوس وكان فى اختلاف الملابس والوانها دلالة على الامم التي يمثلها الجالسون الذين اجتمعوا في هذه الحلقة الصغيرة من امم مختلفة ومن القارات من وراء البحار والفيافي والقفار قطعوها برا وجوا وبحرا ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات •

وكت اتوسم وجوه القوم واسأل عنهم واحدا بعد واحد فأجد فيهم السفير والوزير وذا المقام والسلطة في قومه وذا الثراء والعلم فأقول في نفسي لقد جمع التوحيد هذه الاقوام المختلفة وجعل لهم وجهة واحدة يولون وجوههم شطرها ولو اتفقوا ووضعوا يدا بيد لاملوا على التاريخ مكارم الاخلاق ومكارم الشرائع ولوهبوا الدنيا المثل العليا ولكانت كرامة بني آدم في المحل الارفع في مجتمع البشر ولم يضطر الاقوام الى هذا الصراع العنيف وكان لنا نحن ابناء محمد مكانة المعلم والمرشد •

لبثنا تتجاذب اطراف الحديث في شؤون الامم الاسلامية برهة من الزمن ثم نهض القوم ايذانا بقدوم نائب الملك ورأيت عن بعد سلما يقترب من باب الكعبة الذى يعلو نحو من مترين عن الارض وانفتح باب الكعبة ودخل نائب الملك وتبعته حاشيته ثم تلا ذلك دخول المدعوين وازدحم السلم وتدافع القوم في موجات عنيفة وكدت ارجع لولا موجة قوية دفعتني الى صعود السلم ورأيت نفسي بعد عناء في وسط الكعبة مع الناس وتفضل احدهم فناولني مكنسة طويلة فاشتركت في هذا العمل الرمزي الجليل الذى تتواضع امامه النفوس فيشترك الامير والوزير والسفير والثرى والفقير في خدمة بيت الله الذى تتجه اليه قلوب المسلمين في ارجاء الارض واستطعت

ان ادفع قليلا من الماء الذي غمر قاعها ثم رأيت الناس يتدافعون حول شخص يغمس مناديلهم في ماء تفوح منه رائحة طيبة ويناولهم زجاجات منه ثم توجهت الى جدار الكعبة الشرقي فصليت شكرا لله على نعمائه واتممت أمام كل جدار من جدرانها ركعتين ونزلت من السلم ووقفت أمام الملتزم وهو مسافة قصيرة يحتضنها الحجاج ويدعون ربهم كما كان يفعل رسول الله (ص) فاحتضنته ثم تأخرت خطوة الى الورااء لافسح لغيري ان يفعل فسمعت شخصا يدعو بدعاء يقرؤه من كتاب يخمله بيده استطعت ان التقط منه كلمات هي : « اللهم اني اسألك ان ترفع ذكرى وتضع وزرى وتصلح امرى وتطهر قلبي » •

فقلت في نفسي ان واحدة منها تكفي ان تأتي بثلاثة فاذا طهر الله قلب المرء فقد اهتدى ومن اهتدى وجد الطريق ومن وجد الطريق صلح أمره ووضع وزره وارتفع ذكره واني لا أريد أكثر من ذلك فقلت: اللهم اني اسألك ان تطهر قلبي • والتفت الى الحجر الاسود فوجدت فرصة مواتية الى لمسه فلمسته ولم استطع تقييله ويندر من يستطيع لمسه في هذا الازدحام الضخم فكيف بتقييله •

ما رأيت اروع من هذا المنظر في تدافع ذوى السلطان والجاه والنراء في صعود السلم الى الكعبة فقد رأيتهم يتدافعون في عنف قد انمحت به كل فارقة من الفوارق بينهم تذكرت حين رأيتهم في هذا الزحام فكرة لاحد فلاسفة الغرب حين يقول : (في كل رجل يكمن طفل) ويظهر هذا الطفل عند الحاجة اليه •

ولقد رأيت في هذا الموقف اطفالا تتدافع ونفوسا حريصة ان تكون كل نفس هي الغالبة • لقد رأيت في هذا الموقف كيف تفعل الغرائز اذا استطاعت ان تتغلب على العقل ولو وقف هؤلاء المثقفون صفا واحدا كما علمهم محمد (ص) الوقوف في صفوف الصلاة لوصلوا الى الكعبة بكل هدوء وانتظام ولأدوا الواجب على أحسن ما يرام ولو اتقنوا الصبر الذي علمهم محمد في الصيام لصبروا قليلا ولو استعدوا للتضحية كما تعلموها

في بذل الزكاة والصدقات والنفوس في مرضاة الله لتأخر كل واحد عن صاحبه قيد خطوة ولمشى الاثنان في هدوء صعودا ونزولا ولو اتقنوا المناسك وعلموا انه لا رفت ولا فسوق ولا جدال في الحج لما قدر واحد منهم ان يؤذي أحدا •

ولكن طالت الآماد بين فجر الاسلام وهذا الليل الحالك الطويل الذي وفدت فيه لصوصية الافكار تسرب الى القلوب اسراب الجرذان المخربة في الحقل الزاهي •

واخذ طفل الجاهلية الاولى الكامن في جوانح الاقوام المختلفة يظهر غضبه ودلاله •

ان الفرق بين المثقف والجاهل والضعيف والقوي وذي الجاه وخامل الذكر يظهر في تصرف المرء في شؤون الحياة •

وحسن التصرف موهبة تهبها الطبيعة لبني آدم ولا تظهر الا في اشتداد الازمات وتعدد الامور • ان القوة قد تخون صاحبها اذا كان الاقدام تهورا والكرم ينقلب الى اسراف اذا كان في غير محله والحكم ينقلب جورا اذا تجاوز حدود العدل • وهكذا رأيتني انظر الى المجتمع الاسلامي والسلم اطراف التاريخ واستعرض الحوادث فاقول في نفسي ما لهؤلاء القوم يشتد بهم الحرص في اناية مطلقة لا حدود لها • أما أمات فيهم محمد (ص) شهوة الاثرة وابدلها بالايثار وصير المؤمنين أخوة في دين الله ؟ لقد لقد كانت الغاية المثلى من رسالة محمد - مكارم الاخلاق - انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق • ومكارم الاخلاق هي خزم انوف الغرائز الجامحة وتسلم زمامها بيد العقل ، ومتى تحكم العقل مشت امور المجتمع على صراط مستقيم فتبصر العين وتسمع الاذن ويعي القلب وتتنظم الامور وتعتمد الموازين ويعرف المرء مكاتته في المجتمع ، وفي فكرة الطواف حول الكعبة في ثياب موحدة ورءوس مكشوفة واتجاه واحد رجوع الى منشأ الانسان ليتبين نفسه ويعرف ربه ويعترف بحق اخيه ويحب لغيره ما يحب لنفسه • أوحث الي هذه المشاهد كلها فكرة الاسلام في الاخاء الانساني وفي معنى

الحرية التي تحترم حرية الغير في الحرية المطلقة التي تقيد صاحبها في احترام حرية اخيه ولكنني لم اشهد هذه المعاني انني شهدت رغبة صادقة في عين كل شخص في ان يحقق ذلك ولكنه عاجز في نفسه عن الوصول اليها لان الرباط مفقود ولو ترابطت نفوس المسلمين في العروة الوثقى التي لا انفصام لها عروة الاسلام الذي يظلل مبادئ محمد (ص) لوجدت هذه المواكب تتهادى وتترنم بذكر الله فيردد صداها المشرق والمغرب ويسمع صوتها في ارجاء العالم ولأملت على التاريخ عظمة هذا الدين المبين •

كان الاحتفال بغسل الكعبة مشهداً رائعاً وكانت فيه موعظة للمتظ لقد وقف المحفلون في هذه الدار الجليلة المقدسة سواسية لا فرق بين أمير ووزير وثري وفقير وجاهل غافل وعالم نحير اختفت في هذا الاخاء جميع الالقاب الالقب « انما المؤمنون اخوة » • لقد وحدت كلمة لا اله الا الله بين هذه الشخصوس ورفعتهم الى مستوى الصداقة والاخوة • ولقد رأيت الانسانية العليا تتجه الى قوة وراء أفق التجارب لبني آدم رأيتها تتجه الى القوة الخالقة التي ابدعت هذا الكون الهائل هذا الكون الذي لم تكن فيه سوى جزء من ذرة لو وضع علمنا مع العوالم في كفة المقاييس وسرح لي الخيال الى القرون الخالية وتلاً نور القرآن الكريم في فؤادي فأخذت أتلو الآيات الكريمة في قوله جل جلاله :
واذ بوأنا لبراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود واذن في الناس يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فكلوا واطعموا البائس الفقير » •

وتخيلت كيف طهر ابراهيم البيت واجتث الوثنية واثارت نائرة المشركين عليه وارادوا به كيدا فلم يستطيعوا ان ينالوا منه نيلا ومشت القرون الخوالي تتقلب في الوثنية والشرك حتى بزغ نور النبوة وجاءت رسالة محمد (ص) ورأى كيف تذلل كرامة الانسان بالتمرغ على أقدام الاحجار وهاله أن تكون في بلاد العرب وثنية لان العربي مطبوع على الاباء والشمام وسمو النفس وظلت آيات الله تتوالى والايمان يزداد والشرك يتوارى حتى قويت شوكة

الاسلام وفتح الله على رسوله الفتح المبين ودخل خالد بن الوليد فناء الدار
يحطم أصنام الكعبة ويرغم انوفها بالتراب وطهر البيت للعاكفين والركع
السجود من وثنية مذلة وعبودية تأنف من قبولها طبائع العرب •

وقفت انظر الى البيت واتخيل معنى وجوده تارة ثم انظر تارة اخرى
الى الجموع تلهج السنن بالحمد والثناء وتطمئن قلوبها بذكر الله ثم ارفع
بصري انظر الى جبل النور واتخيل مهبط الوحي في غار حراء فتشمس في
جوانحي رعدة الجلال والهيبة واتذكر الزمن المتأليء بنور النبوة الذي توارت
فيه غياهب الوثنية ثم أعود الى نفسي والتفت حولي فأرى الوثنية تضطرب في
ظهور وخفاء وسط الجموع قد انحدرت الى بعضهم في اصلاب الزمن ارثنا
عن اجداد الاباء وهم يحاولون ان يعيدوها جذعة • ثم أقول هل يصدق ما
جاء في الاثر على ما أراه اليوم أو يتأخر فلقد جاء في الاثر ان الاسلام بدأ
غريبا وسيعود كما بدأ سبحانه اللهم مقلب الاحوال والقلوب • لقد بدأ
الاسلام غريبا ولكنه بعد مدة اشتدت مرته فانهدر المسلمون الى ميادين
الحياة لقد جدعوا انفس اليأس فاقبلت عليهم الحياة في بسمة الامل المشرقة
فأفاضوا على العالم بهجة الامن والاطمئنان وبعد ان طاف هذا الخيال في
مخيلتي وبعد ان مرت هذه المشاهد أمام ناظري صليت ركعتين وعدت الى
الفندق وتهيات لاجابة الدعوة الملكية في حفل المساء فلما أزف الوقت أخذت
بعضي مع جمع من الاصدقاء وامتطينا سيارتنا المخصصة لنا ووصلنا القصر
ودخلنا فناءه الرحب وصعدنا السلم حيث أفضى بنا الى بهو جميل رأيت فيه
جمعا طيبا من سرة العرب والمسلمين ورجال البعثات السياسية العربية
والاسلامية وبعد بريهة حضر سمو الامير فيصل نائب الملك وولي عهد المملكة
العربية السعودية فحيا الضيوف وحيوه والقي خطابا مفصلا أعجبنني فيه انه
عرض رسالة الاسلام في جمع الكلمة على التوحيد وذكر ما أصاب هذه
الرسالة من الوهن وندد بالوثنية وقال ان الله سبحانه وتعالى لا يحتاج الى
واسطة وانه تعالى يقول « واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة
الداع اذا دعان » • وفي هذه الآية ايضاح لصلة العبد بربه وما ينبعث عنها

من قوة وثقة لا انفصام لها تلك الثقة التي تستند الى هذه القوة الجبارة التي تدبر الكون من خلف افقنا ومعارفنا والتي لا يمكن ان تغيب عن ادراكنا هذه القوة هي التي طمست عيون الشرك في نفوسنا وهي التي خفت عنا أعباء الزمن واخرجت من خبايا نفوسنا نوازع الشر وقومت كل اعوجاج فيها وهيأتها لاستقبال رسالة الوجود • لقد بنى الرعيل الاول لنا الجسور على نهر الحياة وعبدوا لنا طرق الفضائل لنتلقى في ميادين واسعة حيث يكون المجتمع الافضل ولكن كان بين العابرين على هذه الجسور وبين المارين على تلك الطرق من جاءوا متأخرين منحدرين من شعاف الجبال وبطون الوديان يحملون في جوانحهم غوغائية الجاهلية التي كانوا يعيشون فيها والوثنية التي يتمرغون على أقدامها فعبروا الجسر وساروا على الطريق الى مسافات بعيدة ثم ما لبثوا قليلا حتى برزت النوازع وظهرت في نفوسهم قرون الوثنية فاجتازوا الطرق لانفسهم ووضعوا في دروبها العقبات وشرروا الاحجار وصار المار لا يمشي على طريق سوي ولا يصل الى نقطة ممهدة حتى ينحرف عنها •

هكذا عادت الوثنية جذعة وانقطعت صلة كثير من ابناء الاسلام بينهم وبين تلك القوة الجبارة التي كان الاسلام يستمد جبروته وعظمته منها • كانت رسالة الاسلام تنصب في عين واحدة لا ينبع منها الا ما يحفظ كرامة الانسان ولا يجري من شرائعها الا ما يتفوق به الانسان على سائر الكائنات • اجتث الاسلام من ابناؤه شجرة اليأس وفتح في نفوسهم زهرة الامل • وما اندفعت أمة في حياتها وعلى شفاها بنيتها بسمه الامل الا وصلت الى الغاية واصابت الهدف • ان الامل مفتاح الفضائل اذا كان يحمل في اجنحته مدارج التفوق فاذا هيض جناحه انقلب الى يأس وفي اليأس تجتمع الرذائل •

هكذا كانت رسالة الاسلام لكرامة الانسان في ازدهار الامل في النفوس واجتثاث اليأس من القلوب • ان المسلمين الذين يستشهدون دفاعا عن قول احياء عند ربهم يرزقون • انهم مع الابرار والصديقين في أعلى

عليين • انهم في سجل الخلود وانهم افضل القوم في الوجود • هذا هو
الامل الباسم الذي كان يحدو الرعيل الاول من المسلمين ، تكوين مجتمع
فاضل في الحياة الدنيا والعبور على جسر الحياة الى نهر الخلود في الآخرة •

ارتفع الاسلام في صدره الاول بالمؤمنين من درجة العامة من الناس الى
درجة الانسان المتفوق في الاقدام والشجاعة والمروءة الى درجة الانسان الذي
يحمل رسالة • وان حملة الرسالات لا يكونون الا من بين المتفوقين لقد
هذبهم محمد (ص) تهذيب المعلم الذي يريد ان يتفوق تلامذته في الوجود
فكون منهم جماعة بل أوجد جماعات كلهم يطلبون عظام الامور وان الذي
يطلب العظام لا يسف في مشيته على الارض ولا يسلك السبيل الذي تتلوى
دروبها بل يسلك الطريق السوي : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين
انعمت عليهم غير المغضوب ولا الضالين » • ان الذي ينشد ربه ان يهديه
الصراط المستقيم ويرجوه ان لا يكون من المغضوب عليهم ولا من الضالين في
دروب الحياة انسان متفوق انسان له ضمير حي يوجهه لفعل الخير وبقية
شروع الناس من ابناء العامة •

لقد بذل الرسول جهدا جهيدا في ان يرفع أمة الاسلام من درجات
العامة الى الدرجات الخاصة : « كنتم خير أمة اخرجت للناس » فنجح فيما
ابتغاه من ربه فكان صحابته فقهاء وكانوا محدثين وكانوا الخطباء اللسن وكانوا
الشجعان وكانوا الفرسان الحكام والقضاة العادلين وكانوا الولاة المديرين •
لقد ربط محمد ضمائر أصحابه بالواحد الاحد فصارت تستضيء بنور الآله
وتمشي على هداه • كل صحابي يعرف ربه وكان يجد في هذه المعرفة معنى
وجوده في الكون ولكنه كان طموحا كان يتسلى الذرى بسرعة لا تدايها
سرعة لقد كانت الوثنية تربطه بالارض والرغام فجاءت الوحداية فأطلقت
عقاله وجعلته يفكر في ملكوت السموات والارض ويقول ربنا ما خلقت هذا
باطلا سبحانه فقنا عذاب النار •

كانت نار جهنم تخيفه وكانت رياض الجنة تغريه وتجتذبه اليها لقد
حفت الجنة بالمكاره فما كان تلميذ محمد يبالي بهذه المكاره وحفت النار

بالشهوات فلم يلتفت تلميذ محمد الى تلك الشهوات • لقد كان الامل البنسم
على شفقيه وكان الاعتزاز بالنفس بين جوانحه وقوة الارادة تحيط بفؤاده •
ما قوي المسلمون الا حين حطموا الاوثان واتجهوا الى الواحد الديان
وما ضعفوا ولا استكانوا الا حين عادت اليهم الوثنية الجاهلية •

الْحَجُّ وَمَقَاصِدُهُ

سارت الايام سراعا في يثرب وانتقلنا نبغي مكة واحرمنا للعمرة من ذى
الحليفة أو (ابار على) في رداء وازار ووصلنا البيت الحرام وطفنا حول
الكعبة سبعة اشواط وسعينا بين الصفا والمروة سبعا وتحللنا واخذت الايام
تمر وحوادث التاريخ تتهادى يأخذ بعضها برقاب بعض وتهياً الحجاج
لاستقبال ساعات الحج الجليلة واقبل يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذى
الحجة وسمي بهذا الاسم لانهم كانوا يرتوون فيه الماء للمسافات البعيدة حين
لم تكن المياه تجري من العيون بين عرفة ومكة ولم تكن تجري في الانابيب
ولم يكن الماء يحمل على سيارات ضخمة بل كان القليل منه يحمل على
ظهور الابل والبغال والحمير • واحرمنا في مكة وصلينا صلاة الفجر في المسجد
الحرام ولبثنا نلبي ونسبح بحمد ربنا ونصلي على نبينا حتى طلعت الشمس
وسارت بنا السيارات الى - منى - على بعد خمسة أميال من مكة هذه البقعة
التي أحدث اسمها من وقائع الشعائر فيها حيث تمنى دماء الضحايا فيها أي

تراق ♦♦ ومنى مجموعة من بيوت جميلة وحوانيت ومنازل في بطن الوادي المحدود من جهة مكة بجمرة العقبة ومن جهة المزدلفة بوادي محسر ونزلنا في فندق جميل ذى طباق عالية موفور المياه والضيء قد زودت اجنحته بالماء واسلاك الكهرباء وفرشت حجراته بالطنافس وجهزت بالسرر ♦

وتشرف نوافذ هذا الفندق على هذا الوادي المنبسط الممتد تحت سفوح الجبال المعزاء فاذا نظرت الى بطن الوادي اخذك جلال المنظر في مضارب الخيام الرابضة فيه وبهرك جمال المشهد عند غروب الشمس حين تلملم ذكاء اطراف اذيالها منحدره الى الغروب وتشر ذوائبها الذهبية على شعاف الجبال فتكتسي الصخرة المعزاء لونا ذهبيا من صفرتها وتلمع الحجرة السوداء باشعة الضياء وبين هذه الصخور وهذا العلو الشاهق تلمح ابناء آدم يستظلون صخرة أو يقيمون ظلا وكثير منهم يلبون ربهم ويدعونه سرا وعلاية ♦ وفي - منى - مسجد الخيف وهو مسجد مسور فيه قبة ومئذنة وفيه المحراب الذي صلى فيه النبي والمنبر الذي خطب عليه وفيها مسجد الكوثر الذي صلى فيه محمد (ص) فقرأ الفاتحة وسورة الكوثر التي هي أصغر سور القرآن ♦

وفي هذه القرية المباركة الجمرات الثلاث وهي : جمرة العقبة والجمرة الوسطى ثم الجمرة الصغرى ♦ والجمرة لا تختلف في وصفها عن عمود صغير مبني بالطابوق ومطلبي بالجص لا يتجاوز ارتفاعه ثلاثة أمتار يحيط به حوض يسقط فيه الحصى التي يرميها الحجاج ♦ ويقال ان من الآثار التي تذكر في منى منحدر الكبش وهو المكان الذي ذبح فيه ابراهيم كبشا فداء لولده اسماعيل ♦ وبالقرب من منى - وادي محسر - وهو واد ضيق تذكر الروايات ان اصحاب الفيل نزلوا به بقيادة أبرهة يبعون هدم الكعبة فارسل الله عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل اهلكتهم وجعلتهم كعصف مأكول ♦

وإذا وصل الحجاج المشاة والراكبون اسرعوا في الخروج منه اقتداء بما كان يفعله الرسول (ص) ولا يزال الذين يسعون مشيا أو ركوبا يفعلون

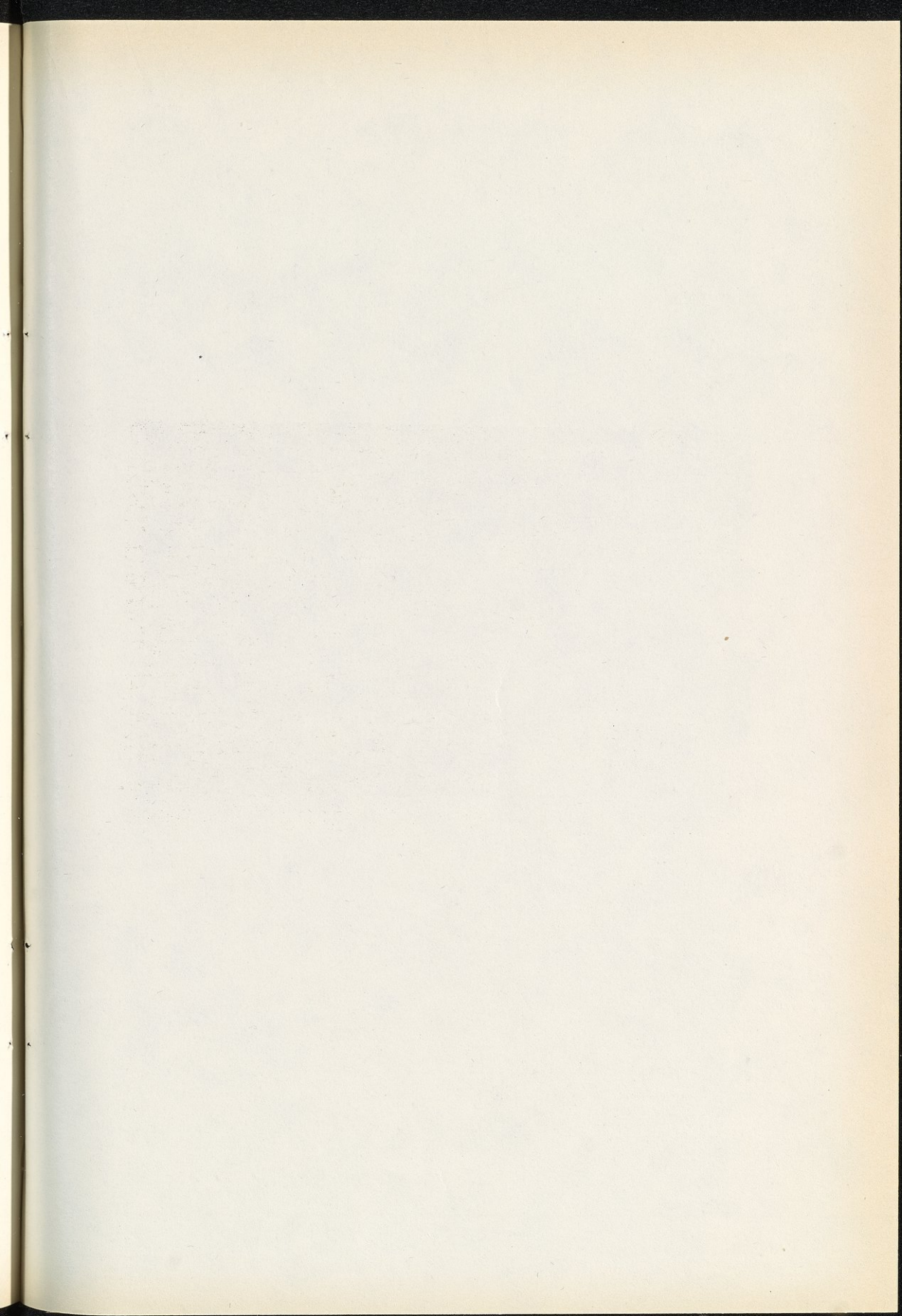
ذلك أما السيارات فلا تلتفت اليه وتتمر به مرا خاطفا •
 ملأت هذه الآثار والذكريات والروايات مخيلتي وانتقلت بي الذاكرة
 الى القرآن الكريم وأخذت اتلو بيني وبين نفسي قوله جل جلاله :
 فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني أرى في المنام أني اذبحك فانظر
 ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين • فلما
 اسلما وتله للجيين ، وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا • انا كذلك
 نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم •

ووقفت وقفة التأمل وكلما امعنت النظر في دراسة هذا الاثر وتفهم
 هذه الآيات بدا لي أن الله جل شأنه يعلم علم اليقين ان اسماعيل سوف يطيع
 أباه عندما يقص عليه رؤياه ويحييه الى أمر الله وان ابراهيم سوف يتل ولده
 ويطرحة أرضا ويحاول اجابة أمر ربه في ذبح ولده ويعلم الله جل شأنه
 ان ابراهيم لن يذبح ولده لانه سيوحى اليه ان يفديه بكبش عظيم كل ذلك
 يعلمه الله وايقتت ان نزول هذه الآيات لم يكن غير درس قاس أراد الله به
 أن يعلم الناس طاعة الوالد وانتصار العقيدة على الابوة ويعلمهم الفداء وهو
 آخر الدواء لحل المشكلات • ان اعظم اللذات في الحياة طاعة في الحق
 وعقيدة صافية تختفي أمام وجهها الانانية الحقيقية • انك لا تجد « أنا »
 في قصة ابراهيم مع ولده فقد اختفى هذا « الانا » من وجود الولد • ووقفت
 العقيدة منتصرة تقول « نحن » انها تنظر للمجموع ولا تلتفت الى الفرد
 وما صارت عقيدة الى - نحن - الا كان الصدر مكانها بين العقائد •

ان العقيدة الاسلامية ايثار وتضحية ونظرة الى المجموع مع احترام
 الفرد لان هذا الفرد هو الذي يتكون منه الجمع • لقد علم الاسلام ابنائه
 حقيقة الخير والشر ودفعهم الى الوجود بينون المجتمع الافضل ولكنهم
 ما لبثوا ان تراجعوا شأنهم شأن كل أمة تتخلى عن أصول عقيدتها وتمسك
 بالاوراق الزاهية التي لا تقف على هزات نسائم الخريف فتساقط زاوية
 وتعود هشيما تذروها الرياح •

ان رجوع العزة ومكانة الصدارة في تكوين المجتمع العربي الاسلامي





منوطان بالتمسك بالاصول العريقة واختفاء كلمة « انا » من الوجود العربي
وحلول كلمة « نحن » محلها وبعبارة اوضح اختفاء الاثرة وظهور الايثار
والتضحية •

وعدت بمخيلتي الى وادي محسر اذكر نزول جيوش الاحباش بقيادة
قائدهم ابرهة يستعدون للنزال مع العرب وكان عبدالمطلب في ذلك الحين
سيد قريش وكبير العرب في مكة وكان للحجاز المكانة الرفيعة في الجزيرة
العربية وكان لها اثرها في الثقافة والادب والتجارة ولقد هال ابرهة أن
يكون له منافس وان تبقى الكعبة قبلة آمال العرب فزحف على اليمن
واستولى عليها وطمع ان ينشئ كعبة فخمة تنصرف اليها العرب بدلا من
كعبتهم في الحجاز فلم يجد بدا من الزحف الى بيت الله الحرام فجاءه
بجيش لجب وفيله الاوحد يبغي من وراء ذلك ان يغلب العرب ويخيفهم
وفي صباح مشرق هادىء هالت قريش أصوات الغزاة المدلين بقوتهم وفيلهم
ونادى عبدالمطلب يا معشر قريش احجزوا ابلكم واحموها واتركوا البيت
« فأن للبيت رباً يحمية » وكاد الاحباش يصلون الى الكعبة لولا رعاية الله
وحمايته لبيته فقد اهلكتهم جائحة من السماء اذ أرسل الله عليهم طيراً
أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل جعلتهم كعصف مأكول فهلكوا ولم
ينج منهم أحد وظلت الكعبة منارا للهداية وموطنا للامن والاستقرار
تستظل بها العرب في أرجاء الجزيرة بل كانت مصبا لثقافة العرب وموردا
لها تجتمع حولها وفود الشعراء والخطباء ووفود التجارة واصحاب الاموال
وكانت بمثابة جامعة تهذب العقول وتنمي الثروات في أشهر حرم معدودات
وظلال أمن شامل ترتاح فيه النفوس الى العمل والانتاج والنفوس اذا
أطمأنت تهيأت العقول للابداع • وظلت الكعبة ايضا موضع حسد من أعداء
العرب يريدون ازلتها من الوجود مع انها ركن من اركان توطيد الحياة
الاجتماعية وانها مصدر اشعاع للفضائل فحسدها ابرهة واراد بها كيدا فلم
يفلح وحسدها القرامطة واجمعوا كيدهم وغزوها ودخلوا فناء المسجد
وقتلوا الحجاج واستباحوا الحرم واقتلعوا الحجر الاسود من ركن الكعبة وظل

بأيديهم أكثر من عشرين عاما وظنوا انهما استطاعوا ان يصرفوا المسلمين
عن الكعبة وان يطفئوا نور الله ويمحو رسالة العرب من الوجود فباءوا
بغضب من الله ومحيت اثارهم وعاد الحجر الاسود الى مكانه كما كان . والا
تزال أمم تنظر اليها شزرا وتريد بها شرا ولكن للبيت ربا يحميه وستظل
الكعبة كما هي وأكثر ستظل توحى للعرب والمسلمين وحدة الفكر ووحدة
الصف وتوحى اليهم ان يبلغوا رسالة الانسانية في المساواة والاخاء والعدالة
وسيتظل عمود النور الذى نشأ بين الكعبة وغار حراء قائما يضيء العالم
بالهداية ويدعو الى الخير والسلام والوئام ونبت الشرك وعبادة الاصنام
ستظل كعبة الاسلام علما تجتذب اليها المسلمين من مشارق الارض ومغاربها
ليذكروا اسم الله ويشهدوا منافع لهم في أيام معلومات .

إلى وادي عرفة

واشرقت شمس اليوم التاسع ونحن في منى ، وفي هذه الضحوة المباركة كانت السماء صافية والهواء سحسجا والنفوس مرحة والقلوب مضيئة بنور الايمان والالسن رطبة بذكر الله والارجل تريد أن تنتقل قبل ان تنقل والاجسام تريد ان تندفع لتقف بجوار جبل الرحمة حيث تناجى الارواح مبدع الوجود • في هذه اللحظة المباركة انطلقت بنا السيارة على طريق مفروش بالاسفلت بين سيارات وقوافل ابل وجموع زاحفة تسير مشيا على الاقدام • ولم يكن طريقنا هذا وحيدا بل كانت طرق أخرى تسيل بالركب بمئات الالوف سيرا أتقنته يد الطاعة طاعة الله في حجه وصاتته يد التنظيم واقبلت هذه الالوف المؤلفة تسير في ركبائها المختلفة تريد وادي عرفة وهو واد يكاد يكون مربع الشكل مترامي الاطراف يقع على بعد اثنين وعشرين كيلومترا من مكة وافيناه بعد قليل وسط هذه الجموع الزاحفة ما مسنا في قطع الطريق نصب ولا شعرنا بعطش ولا سغب وقالوا لنا هذه

حدود الوادي ، هذا هو وادي عرفه وانما سمي بهذا الاسم المشرق في جين التاريخ لان آدم وحواء تعارفا فيه لأول مرة وهي رواية ترويها الاساطير أو بدعة ابتدعتها عقول الرواة •

وقفت أمام هذه الرواية أتأمل أقوال الرواة فيها تارة واخرى انظر الى هذه الالوف المؤلفة من ابناء آدم وحواء فوق ظهور الابل وفي اقفاص السيارات وعلى قارعة الطريق في رداء وازار مكشوف في الرعوس يزحفون اجابة لامر الله يبغون الخلاص من الخطايا والذنوب ، ثم أقول في نفسي ليت آدم لم يعرف حواء وليته لم يعص ربه ، ليته بقي على الفطرة كما فطره الله وليته لم يعرف الشيطان فيوسوس في صدره ليأكل من شجرة الخلد • لقد طمع آدم في ملك لا يبلى فأبلى نفسه واتعبنا ولقد كان هادئاً في نعيم مقيم سجدت له الملائكة اجلالاً واكباراً بأمر ربه وجعله الله خليفة على الارض ليصلح شأنها ويعمرها ويعيش في أمن وسلام واستقرار في اخاء لا يعرف طمعا ولا أنانية فوسوس اليه الشيطان فاخرجه عن طاعة ربه واصبح آدم مستقلاً في رأيه يدبر امر نفسه لقد كان مكسواً بالنور الالهي بالجلال والعزة والرفعة في اكمال الخلقة فلما دنت نفسه وطمع فؤاده أن ينال فوق ما يريد بدت له سوءته فركبته الهموم وغشيه الطمع والحرص والاستعلاء والاثرة لقد بدأ بالخطيئة حين ذاق طعم شجرة الخلد التي اغراه بها الشيطان وثنى بالمعصية عندما أراق قابيل دم أخيه هابيل في سبيل بنت حواء واستمر ابناؤه في خطاياهم يتقاتلون على النقيز والقطمير وتراق دماؤهم من جراء شبر من الارض او حفنة من الماء او بثر من النفط رضخ بعضهم رءوس بعض بالحجارة عندما لم يكن الحديد يقرع الحديد وقطع بعضهم اوصال بعض بالسيوف وثقبوا صدورهم بالرصاص وهدموا اطامهم وقلاعهم بالقنابل ودمروا مئات الالوف واذاقوها مر العذاب بالذرة وهامهم اولاء يهددون العالم بالفناء في بضع دقائق •

ليت آدم ما عرف حواء وليته بقي على الفطرة وليته بقي في جلاله ووقاره تسجد له الملائكة ويخضع له الكون •

لولا معرفة آدم بحواء ما عرف الناس وادي عرفة ولا قطعوا الفيافي

والقفار وركبوا متن السماء ولجج البحار ليكفروا عن ذنوبهم خلق الله آدم فاجله واكرمه ونعمه : « واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الاتجوع فيها ولا تعرى وانك لا تطمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد ومملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى » ♦

كان آدم ملتفا في نعيم مرفه وهدوء مكتمل سليم الفطرة قويم الوجهة بعيدا عن مزعجات الكون حتى مد يده الى ما ليس له اجابة للشهوة وركضا مع خيال اللذة فنتبه ما كان نائما في نفسه فنار النزاع بين بنيه وعظم الخلاف ونزل البلاء ثم تاب وتاب اليه رشده فأجتباه ربه وهداه واعطاه الاستقلال الذاتى فى تصرفه فاصبح في اصطراع عنيف مع عدوه الشيطان الذى يوسوس في صدره تارة يغلبه ابليس فيركض الانسان وراء العاطفة واخرى يتغلب الانسان فيسمو بعقله ويحل مشكلاته فيهدأ باله وينعم فؤاده ♦

لقد بدأ الانسان حياته على الفطرة حرا تسجد له الملائكة لانه كان مزملا بالفضيلة ومدثرا ببجاد العزة رفعته قوى الخير الى المحل الارفع وحسدته قوى الشر ، وبين هذا الحسد وتلك الرفعة اخذت مكانة الانسان تتأرجح تأرجح الريشة في مهب الرياح ♦

لو ادرك الانسان معنى وجوده في الكون لذهبت من نفسه شهوة العظمة لان التعاضم من شأن المجانين ، فاذا كانت الخمرة أم الخبائث فان التعاضم أبو الشرور ولو علم المتعاضم ان ما يتظاهر به لا يعدو الهواء الذى يكون في منفاخ الحداد لصغرت نفسه في عينه ولاسرع ركضا ينشد فضيلة التواضع ولعلم ان الانسان الذى يراه بجانبه انما هو اخوه عليه ان يترضاه دون ان يريق دمه كما اراق قابيل دم أخيه هابيل ولعاش الانسان في جنة الهدوء والاطمئنان لا يحتاج ان يخصف على جسده ورق الجنة كيلا تبدو سوءته ♦

الوقوف في وادي عرفة

هذا هو وادى عرفة الذى عرف به آدم حواء والذى صار من بعد ذلك موطناً مقدساً يتعارف على بساطه الشعوب والقبائل فى اليوم التاسع من ذى الحجة ، هذا هو الوادى المقدس المقصود الذى تأتى اليه الجموع من كل فج عميق ليؤدوا فريضة الحج هذا هو الوادى الذى من وقف فيه محرماً فى نية فى أى وقت من ظهر اليوم التاسع من ذى الحجة كتبت له فريضة الحج اتباعاً لقول رسول الله (ص) الحج عرفة • وفى شارع منبسط مفروش بالاسفلت يخترق مضارب الخيام اخذت السيارة تتهدى بنا حتى وصلت الى مضرب خيامنا فمالت بنا وسط الرمال ووقفت امام خيمة كبيرة واسعة الارحاء فالقينا فيها عصا الترحال وفتحنا نافذتين فيها فطفق الهواء يلعب بارجائها وارتفعت اصواتنا بالتلبية والتكبير والحمد • ما اروعها ساعات يظهر فيها الادب الاسلامي باجلى مظهره لا رفث ولا جدال ولا فسوق • تتمحي فيها الاثرة من النفوس ويأخذ الايثار مكانه من القلوب

ما اروعها لحظات تمر مرا وئيدا ننظر فيها الى هذه النفوس المختلفة في أعماقها الموحدة في مظهرها المتجهة الى الله ترجو غفران الذنوب ومحو الخطايا تنادى بصوت واحد (ليك اللهم ليك لا شريك لك ليك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) •

كانت الشمس تذرع كبد السماء وكان الهواء عليلا يحمل في اجنحته حرارة من نفس ذكاء ويضطرب في ارجاء الخيام وفي افيائها واصوات الحجيج ترتفع بالتلبية من كل مكان وكان الوعاظ يعظون الناس وكنا نريد أن يطول هذا اليوم وان تبطىء الشمس في مسيرها ولكنها تخبط الامنيات ومشت كما ارادت وكما رسمت هي الفلك في السماء حتى وصلت كبدها ثم زالت فقمنا وتوضأنا وصلينا الظهر مع العصر جمع تقديم باذان واحد واقامتين • وذهبنا الى جبل الرحمة لتقف مع جموع المسلمين وسرنا في طريق لاحب وعينا علامات للعودة الى خيمتنا وتشعبت بنا الطريق ومشيناها خطأ كتبت لنا ووصلنا جبل الرحمة والفينا جموع المسلمين وقوفا يناجون رب الرحمة يطلبون منه أن يرحمهم ولقد رأيت حال المسلمين عند هذا الجبل المقدس فاشفقت عليهم لقد رأيت امما مختلفة ووجوها متباينة ولهجات متغايرة ، واجساما ضعيفة هزيلة وأخرى بدينة سمينة وقلوبا لا اخالها عامرة بالايامن ولو أنها كانت عامرة لوقفت أمام الله واضحة الجبين لا تعرف الذلة ولا تعرف الفرقة التي شتت شمل الاسلام وفتحت بين المسلمين ثغرات واسعة انحدرت منها اليه آراء وافدة ومستوردة ، فاضعفت كيانه وهدت قواه •

لقد اتجهت بكل قواى بجانب جبل الرحمة ودعوت الله من اعماق الفؤاد ان يأخذ بيد هذه الامم ويهديها الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم بالعقل الواضح المكتمل ففهموا حقيقة حالهم وعرفوا مسالك دروبهم •

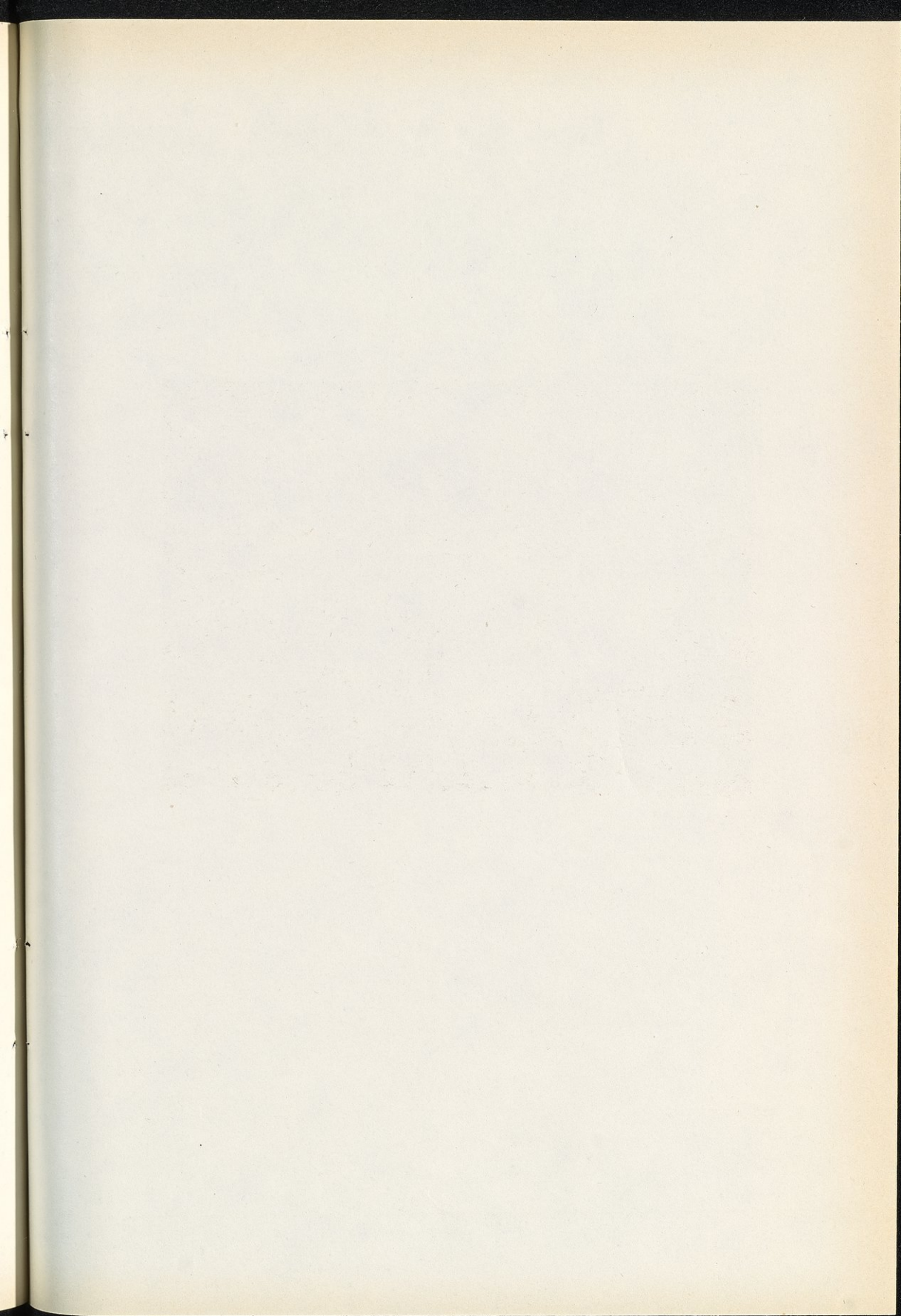
ويل للامة الضالة من الامم العارفة دروبها ان مثل الاثنين مثل الذئب والحمل مثل القوة الباطشة والضعفة الخاضعة ان الذئب لا يرحم الحمل

وان القوة لا تعترف بالضعيف • لقد كان الاسلام منبع مكارم الاخلاق بكل معانيها وكان العرب مثال الامم في الاخلاق فجاءهم الاسلام لتمام مكارم الاخلاق لقد هذب محمد هذه الامة في الصدق والوفاء في الشجاعة والسخاء والصبر والمثابرة فكانت في تصرفها بين الامم المثل الاعلى • ولا ادري ما بالها اليوم ؟

لقد تغير وادي عرفة في سهوله ورماله ، لقد فرشت فيه الشوارع الواسعة والشوارع الفرعية بالاسفلت ونصبت فيه المظلات الضخمة ونصبت حنفيات يستقبل منها الحجاج ما يحتاجون اليه من الماء وضربت في ارجائه خيام فرق الكشافة يرشدون التائهين عن مضاربهم وصرت لا تمشي في واد رملي انك تسير في مدينة واسعة الارحاء قصورها وحوانيتها الخيام تصطف على جوانبها العربات المثقلة بزجاجات المياه الغازية الثلجة وهنا وهناك خيام تشوى اللحم وتطبخ الطعام وبين هذه الخيام عربات مثقلة بالفواكه ومن هذه العربات تبعث اصوات تنادى (الباهي يا حاج) لقد مشيت من جانب الجبل الى حدود الوادي من جهة مكة اشهد الحجاج مشاة يستظلون من وهج الشمس بمظلاتهم يقطعون الدروب جيئة وذهوبا يحيى بعضهم بعضا ويقفون أفواجا أفواجا حول حنفيات الماء ولقد أعجبني موقف رجل عليه آثار النعمة وفي لهجته لكنة هندية في جانب وعاء ضخم من المعدن مملوء بالماء الثلج لا يترك مارا الا الح عليه ودعاه لشرب ماء بارد وذكرت في هذه اللحظة المباركة القائد العربي محمد بن القاسم الثقفي الذي حمل مشعل الاسلام من العراق الى ربوع الهند فجعل من ابنائها افئدة تهوى الى هذا الوادي •

وقفت امام جبل الرحمة أتأمل الحاضر واستوحى الماضي وجنح بي الخيال فتخيلت رسول الله (ص) واقفا عند الصخرات الكبار بين مئة الف من المسلمين من كبار الصحابة وشباب الاسلام في حجة الوداع او كما يسميها بعض المسلمين حجة البلاغ حيث اتم رسول الله فيها تبليغ الدين الاسلامي الى المسلمين والى العالم اجمع تخيلت رسول الله يهدر بخطابه





الضخم والمسلمون واقفون بين يديه يلقي اليهم قواعد الاسلام ويبين حدود
الحلال والحرام • وتخلت ربيعة بن امية بن خلف واقفا بجانبه يصرخ
بالناس بقول رسول الله : قل ايها الناس ان رسول الله يقول : اتدرون اى
شهر هذا ؟ فيقولون الشهر الحرام ! فيقول : قل لهم : ان الله قد حرم
عليكم دماءكم واموالكم الى ان تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا ويعيد
الرسول القول وربيعه يصرخ بأعلى صوته ليسمع اول القوم وآخرهم •

لقد بدأ رسول الله خطبة حجة الوداع بجملته مؤثرة اتجهت اليها
افئدة المسلمين واصغت اليها اسماعهم بدأها بقوله : « ايها الناس اسمعوا
قولى فأني لا أدري لعلى لا القاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف ابدا » •
ثم اخذ يرشدهم ويدعوهم الى الاستمسك بكتاب الله وسنة رسول الله
وان يحافظوا على اموال الناس واعراضهم وانفسهم وان يردوا الامانات الى
اصحابها ويتعدوا عن أكل الربا وقتل النفس وان يعلموا ان المسلم اخو
المسلم وان المسلمين اخوة فلا يحل لامرئ من اخيه الا ما أعطاه عن طيب
نفس فلا تظلموا أنفسكم • ونادى بالمساواة بين الناس • وقال ايها الناس
ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ان اكرمكم
عند الله اتقاكم ، لا فضل لعربى على أعجمى الا بالتقوى ايها الناس ان
الشیطان قد يئس ان يعبد بارضكم هذه ابدا ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى
ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم • ولما أتم خطبته توجه الى
القوم وقال : اللهم هل بلغت ؟ فأجاب القوم من كل ناحية نعم يا رسول الله !
فقال الرسول : اللهم اشهد • ونزل من موقفه وصلى الظهر والعصر ثم
قرأ آية القرآن الكريم : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى
ورضيت لكم الاسلام دينا » بكى المسلمون عند سماعهم هذه الآية واغتبطت
قلوبهم • بكى المسلمون حيث شعروا بفراق رسول الله ، واحسوا بفراغ
عظيم لا يملؤه احد غيره واغتبطت قلوبهم بنعمة الاسلام واكتمال الدين •

تذكرت هذا الماضى المشرق بنور النبوة وقوة الاسلام وثبات العقيدة
وتخلت المسلمين يندفعون من جبل الرحمة اندفاع السهم من القوس

الشديدة وتختلهم في خيالاتهم وعزتهم يتحادثون بهذه القواعد السامية
 والوحي المجيد يمشون فوق منبسط عرفة فوق رمالها الذهبية لا تظلمهم
 مظلة ولا تقيهم واقية من حر الشمس او زمهرير الشتاء ولا توجد بينهم
 على بعد اذرع وخطوات حنفيات الماء تصب في الاحواض تخيلت هذه النفوس
 العامرة بالايمان ثم عدت الى نفسي واقفا بين مجموع الحاضر اشهد ذلة
 وانكسارا ، ارى الاكف مبسوطة بالادعية تطلب الغفران لكواهل مثقلة
 بالاوزار وامام كل جمع قارئ يقرأ وهم يرددون ما يقرأ وما يقرءون
 الا ادعية مألوفة في كتاب مرقوم جمعت فيه ادعية لكل شعيرة من شعائر
 الحج فاذا عاين الحاج بيوت مكة فله دعاء واذا بدأ الشوط الاول من
 الطواف فله دعاء وفي الشوط الثاني دعاء حتى الشوط السابع واذا استطاع
 ان يحتضن الملتزم فله دعاء وعند مقام ابراهيم له دعاء • اما دعاء عرفة فهو
 دعاء طويل يقوله الحجاج بعد زوال الشمس في كبد السماء وبعد ان يجمعوا
 بين صلاة الظهر والعصر جمع تقديم ويقفوا عند جبل الرحمة أو عند
 الخيام او على بساط الرمل او الشوارع المفروشة بالاسفلت فان عرفة كلها
 موقف • ويقول الداعي في هذا الدعاء « اللهم انك وفقتني وحملتني على
 ما سخرت لي حتى بلغتني باحسانك الى زيارة بيتك والوقوف عند هذا
 المشعر العظيم اقتداء بسنة خليلك واقتفاء بآثار خيرتك من خلقك سيدنا
 محمد (ص) وان لكل ضيف قرى ولكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة
 ولكل سائل عطية ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل راغب اليك زلفى
 ولكل متوجه اليك احسانا وقد وقفنا بهذا المشعر العظيم رجاء لما عندك فلا
 تخيب آلها رجاءنا فيك يا سيدنا يا مولانا يا من خضعت كل الاشياء لعزته
 وعت الوجوه لعظمته اللهم اليك خرجنا وبفنائك انخنا وياك أملنا وما عندك
 طلبنا ولاحسانك تعرضنا ولرحمتك رجونا ومن عذابك اشفقنا وليستك الحرام
 حجبنا • يا من يملك حوائج المسلمين ويعلم ضمائر الصامتين • يا من
 ليس معه رب يدعى ولا آله يرجى ولا فوqe خالق يخشى ولا وزير يؤتى
 ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة
 الحوائج الا تفضلا واحسانا • يا من ضجت بين يديه الاصوات بلغات

مختلفة يسألونك عن الحاجات وسكبت الدموع بالعبرات والزفرات ملحين
بالدعوات فحاجتي اليك يا رب مغفرتك ورضاء منك علي لا سخط بعده * * *

ويمضي الدعاء في صفحاته وجمله الرائعة بمجموعة من المطالب لو
عمل الذي يدعو بها كما يلفظها لانتجت مجتمعا من ارقى المجتمعات * قرأت
هذا الدعاء الطويل من اوله الى آخره مع جمع غفير من اخوتي المؤمنين
ثم خلوت الى نفسي وذهبت أجول بين الخيام وفوق منبسط الرمال وانا اذكر
جمل هذا الدعاء الرائعة واردها واريد ان اجملها بجملة او جملتين
واخرج بها من الاثرة الى الايثار واسير مسيرة السلف الصالح المؤمن
القوى فوجدتني لا اخرج عن جملتين اثنتين توجهت بهما الى الواحد الاحد
الذي لا شريك له في ملكه وقلت : « اللهم امنح ابناء هذه الامة قبسا من
نورك كيلا يضلوا واعطهم جزء من قوتك كيلا يذلوا » *

لقد وجدت في هاتين الجملتين ما يغنى عن طول الدعاء وكثرة الطلب
وأنا تية المطلب فان نور الآله كاف ان ينير دروب العباد واستمداد القوة من
الجبار القادر فيه الكفاية لعزة امة والامة التي ترى دروبها وتعيش مرفوعة
الكرامة تستطيع ان تقدم للانسانية ما يرفع شأنها وكذلك كان امر المسلمين
في الماضي هداية رشيدة وقوة عزيزة قدروا بهما ان يضيفوا للحضارة
البشرية ما جعلهم في سجل الخالدين *

عدت ادراجي الى خيمتي اذكر عهد الاسلام في وقفة محمد (ص)
في حجة الوداع واتخيل الصحابة وقوفا ينتظرون آية من وحي الآله أو
حديثا من فم الرسول وتخيلتهم قد انطلقوا من الجبل انطلاق السهم يريدون
ان ينشروا فضائل الاسلام في ارجاء العالم ليمنحوا المظلومين حرية الحياة
والمستذلين نعمة الاخاء والمساواة وينفروا طوائف ليتفقهوا في الدين
ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلمهم يحذرون ثم انظر الى هذه الجموع
الغفيرة ترفل بالنعمة بالماء الوفير والزاد الكثير والظل الظليل فأقول في
نفسي : لماذا اجتمع هؤلاء القوم وعلى ماذا سيتفرقون وماذا فعلوا ؟

لقد جاءوا محملين بالاوزار وسعودون الى ديارهم والله اعلم بذات

• الصدور •

وارحمته للمسلمين • لقد كنت اظن انهم انما جاءوا الى البيت العتيق
ليذكروا الله ويشهدوا منافع لهم في ايام معلومات • ولكني رأيتهم سيعودون
مثلما اتوا ثم اعود فأتخيل ربيعة يصرخ باعلى صوته يبلغ القوم بخطاب
الرسول فيسمع اولهم وآخرهم وأقول في نفسي اما أن للمسلمين ان يذكروا
هذا المشهد ويفعلوا لانفسهم موقفا مثل هذا الموقف فلو فتحوا لهم صندوقا
في مدخل عرفات ووضع كل حاج في هذا الصندوق دينارا او ريالاً فأنهم
في مدى خمسة اعوام يستطيعون ان يجمعوا مالا وفيرا يعد بالملايين ولاستطاعوا
ان يأتوا بابرع مهندسي العالم فيبنوا ظلة ضخمة فوق جبل الرحمة تقيهم
الحر والبرد ويبنوا مدرجا يسع نصف مليون من المسلمين ويضعوا في أرجائه
مكبرات الصوت ويتبارى علماء المسلمين الاجلاء او علماء مكة من الفضلاء
في شرح حقيقة الاسلام في عدة لغات وكان للاسلام مظهر القوة ومظهر
الاخاء ولعاد ابناء المسلمين هداة مرشدين يقون بلادهم شرور الاحاد
وشرور الفساد ويمدون بها بفضائل الاسلام من الصدق والوفاء والعدل والاخاء
هكذا كانت تمر في ذاكرتي الفكرة تلو الفكرة وقلبي عامر بالايمان ولساني
رطب بذكر الله اذهب واجيء حتى مالت ذكاء الى المغيب تكفكف اذيالها
وتنتشر على رمال الوادي مطارفها الذهبية لتودع الحجيج بعد ان ملأوا
الوادي بالتلبية والضجيج وطلب المغفرة • ونظرت الى الخيام فرأيتها تنهاوى
والى الجبال والاوئاد تلف وتجمع لقد همد ما كان قائما وطوى ما كان
منشورا وعجل الناس في لم امتعتهم وحزموا بسطهم وشدت الرحال واخذت
رئات السيارات تنفخ بالشرر •

لقد بدأت النفرة ونفر الحجيج فلا تسمع ضجيجا ولا كلاما مزعجا
انما تشعر بالقبطة والفرح تشعر انك اديت واجبا ضخما واتممت فريضة
ركبت لها متن الهواء أو ثبج البحر أو قطعت الفيافي والوديان تشعر بالعودة
والعيد تشعر كأنك بدأت حياة جديدة • انك مقبل على يوم تقدم في ضحوته

الهدى الى ابناء هذا الوادى غير ذى الزرع والضرع •

تجمعت هذه الامم المتباينة واصطفت الجموع وتحركت السيارات على
الطرق الواسعة الممتدة من عرفة الى المزدلفة تمشي الهويئا في اتزان منظم
لقد زحف الراكب الاسلامى او الزحف المقدس فى اقفاص السيارات وعلى
ظهور الابل ومشيا على الاقدام كان السير بطيئا ولكنه منظم وكان القمر
فى الليلة العاشرة من ايامه ولياليه يرسل اشعته الضعيفة ويعين الراكب الزاحف
فى تبيان الطريق فبلغنا المزدلفة والقينا عصا الترحال فى سدفة المساء •

في سنة ١٢٩٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذي جاء به نور من نور الانوار والهدى من نور الهدى
والبرهان من نور البرهان والهدى من نور الهدى
والبرهان من نور البرهان والهدى من نور الهدى
والبرهان من نور البرهان والهدى من نور الهدى
والبرهان من نور البرهان والهدى من نور الهدى
والبرهان من نور البرهان والهدى من نور الهدى
والبرهان من نور البرهان والهدى من نور الهدى
والبرهان من نور البرهان والهدى من نور الهدى

المُزْدَلِفَةُ

[Faint, illegible handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

افضنا من عرفة حين انحدرت ذكاء الى المغيب وتوارت وراء الافق
المخضب بالحناء ، وزحف مليون من المسلمين في حدود الظن منهم مئتان
وستون الف نسمة في حدود اليقين في سجل مرقوم وجواز جازوا به
الحدود من ارجاء العالم ، وآخرون لحقوا بهم من اعالي اليمن وهضبات
نجد وجيرة البيت الحرام وكان هذا الزحف الرائع يبعث في النفس غبطة
ويثير فيها الما ، يبعث الغبطة لهذه الشوكة العظيمة التي اندفع بها المسلمون
في المشرق والمغرب ويثير الالم لهذا المظهر الذي يظهر به المسلمون اليوم
في التخلف وراء ركب العالم •

لقد كان للمسلمين ارادة في مشرق الاسلام فاستطاعوا ان يحطموا
الزمن ويغلبوه على امره ويقدموا الانسانية الى مكان رفيع في ربع قرن لم
نصل اليه في قرن لو تركت تمشى وحدها الهوينا •

كان المسلمون فئة قليلة فغلبوا بقوة ارادتهم فئات كثيرة باذن الله ولو

كانت هذه الجحافل اللجبية التي ماجت بها دروب عرفات وشعاب المزدلفة
تفعل مثل ما فعلته جموع المسلمين على قلتها مع الرسول في حجة الوداع
في نشر العقيدة وتفسيرها والعمل بها لفتح التاريخ للإسلام صفحة ناصعة
الجبين •

سرنا من عرفة نقصد المشعر الحرام ونذكر آيات القرآن الكريم :
« ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن
الضالين ، ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور
رحيم ، فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذاكركم آباءكم أو أشد ذكرا ،
فمن الناس من يقول ربنا آتانا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم
من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » •

والمشعر الحرام هذا هو جبل المزدلفة يقف عليه الامام ويسمى قزح
(بضم وفتح) وسمى مشعرا لانه معلم للعبادة وهو واد فسيح يبدأ من مأزمية
عرفة وينتهي بوادي محسر (بكسر السين المهملة المشددة) تجتمع فيه
جحافل الحجاج بعد الافاضة من عرفة يجمعون منه حصى الجمار على
ما يقول رواة الاحاديث والاعخبار • ولقد ذهب المفسرون في تبيان مقاصد
الآيات الكريمة مذاهب شتى ، فقالوا انها نزلت بحق قريش حيث كانت
في جاهليتها تتعالى على الناس فتقف في المزدلفة ويقف الحجاج في عرفة ،
ولم يرض الله سبحانه ان تتميز قريش دون الناس بهذه المنزلة فامرهم ان
يفيضوا من حيث افاض الناس ، وعندي ان الآيات واضحة عامة لا تختص
باحد دون احد وهى خطاب للمؤمنين ولم يخاطب الله جل جلاله المشركين
وانما يقول للمؤمنين « فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام
ذكرا يليق بالخالدين الذين يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
ولا يكتفون بذكر آبائهم في حظوظ الدنيا الزائلة بل عليهم ان يقفوا وقفة
المتأمل الفاحص فيما تركوا وراءهم في عرفة في هذا المشهد العظيم والحفل
الجامع الذي يعد أكبر مؤتمر ديني يأتى به أهل هذه العقيدة السماوية

التي يمكن ان ينعم في ظلالها ابناء البشر في امن وسكينة لو اتبعوا قواعدها
وساروا على هداها •

ما كانت المزدلفة بعيدة عن عرفة ولا بعيدة عن منى ولكن الذي يرى
هذه الجحافل يدرك حكمة الوقوف بها وجمع الحصى والبقاء ولو لجزء
من الليل على رواية او كل الليل على روايات اخرى كى يستطيع المسلمون
ان يفيضوا الى منى الى المنحر والى مكة لطواف الافاضة فرقة بعد فرقة كيلا
تزدحم الجموع ويحدث الضرر •

والاهم من هذا وذاك ان يقف المؤمنون بهذا الوادى ليرتاحوا بعد
افاضتهم من عرفة ساعة النفرة وليجمعوا شملهم ويعيدوا النظر فيما فانهم
والتأمل في اوضاعهم مرة ثانية ويهيؤا انفسهم للجلى من الامور وان يجعلوا
الله امام اعينهم ويحمدوه ويكبروه على ما انعم عليهم ويدافعوا عن شريعته
وقرآنه وان يمحوا الاثره من نفوسهم فان الذين يأتون الى هذا الموقف
يجب ان يكون لهم من النضج والكمال ما يترفعون به عن حظوظ الدنيا
الزائلة ويركنوا الى حظوظ الخالدين الذين يمنحون الانسانية نعمة الحياة
ذلكم هى الغاية من الاسلام •

فعند المشعر الحرام وقف النبي صلى وارشد وعلم وذكر الله وجمع
بين العشائين باذان واحد واقامتين ووضح للمسلمين ما يعملون به في
مستقبلهم ولكنهم لم يفعلوا من ذلك شيئا غير جمع الحصى والجمع بين
العشائين •

كان القمر في عنفوانه ينير لنا الطريق وكانت السيارات تتهادى في
سيرها بنا وكانت الابل تمشي وئيدا وكان المترجلون يمشون على الحافة
مقلين باحمالهم حتى اذا وصلنا هذا المشعر الحرام ارتفعت اصواتنا بالتهليل
والتكبير وذكرنا الواحد الاحد الذى لا شريك له في ملكه والقينا عصي
الترحال وصلينا المغرب والعشاء وجمعنا بينهما بأذان واقامتين جمع تأخير
وشرعنا نجمع الحصى على ضوء القمر نغمس اصابعنا في الرمال نبحث عن
أحجار صغار بقدر الحمصة أو تكبرها بقليل وطالما غمسننا الاصابع الى عمق

يزيد على طولها فتخرج ايدينا مملوءة بالرمل والحصى فتترك الرمل يخرج من فروج الاصابع ونستبقى حصوة أو حصوتين ثم نعيد اليد تارة اخرى وكان كل همتا ان نجتمع من الحصى ما يعيننا على رجم الشيطان وما يمكن وضعه في كيس صغير نحمله معنا • وبينما كنت منهمكا في عد ما وصلت اليه جاء رجل يعصر اصبعه يسأل عن طبيب يداويه فقد لسعته العقرب وهو يجمع حصاه ثم جاء اخر يشكو مثل شكوى صاحبه فكففت عن الجمع خشية ان يصيبني مثل ما أصاب القوم وعددت حصاي فاذا به يزيد عما أريد •

كانت الليلة صافية الاديم والقمر مشرقا وضاح الجبين كان يذرع كبد السماء مسرعا يريد أن يتوارى وراء الافق وكانت نسيمات الهواء تحمل في اجنحتها بردا لاذعا اخذ يشد رويدا رويدا حتى صار لا يقيه ازار الاحرام ورداؤه وأخذ الظلام يزحف وراء القمر ولم يتركه حتى توارى وراء الافق ولف الظلام هذه الجحافل الزاحفة وأخذ الناس يلوذون بظلال سياراتهم أو يدخلونها ومن كانت له سيارة خاصة به دخلها واقفل نوافذها وبين اقفال النوافذ وفتحها فرق عظيم فاذا أقفلتها على نفسك تصبب العرق من جبينك واذا فتحت نافذة واحدة هجم عليك برد لاذع لا تلبث معه قليلا حتى تتشف خياشم التنفس •

لقد صبرت على هذه الحال حتى ذهب الهزيع الاول من الليل ثم شرعت أتذكر أقوال الفقهاء فأخذت بأولها وذلك ان أمكت في المزدلفة جزءا من الليل ثم افيض منها من حيث يفيض الناس وأن أسير الى منى لارمي جمرة العقبة بسبع حصيات ثم أقصر وانحر واذهب أطوف طواف الافاضة وتذكرت قول بعض الفقهاء ان أول طواف الافاضة يكون بعد منتصف الليل وان كان يفضل بعضهم هذا الطواف في ضحوة النهار من يوم النحر وترددت في اخذي الاسهل من أقوال الفقهاء أو التلبث حتى أصلي الفجر •

وغلبني الرأي في أن الدين يسر فلا يجب الايغال فيه وما دامت هذه الجحافل تغط في نومها وما دامت لا تريد ان تشهد منافعها عند المشعر الحرام

ولا تنظر في أمر المسلمين ولا تلتفت الى هذا المؤتمر العظيم وما دامت هذه الجحافل ايقنت ان الحج عرفة وان بقية المناسك ما هي الا متمات ووقفت عند هذا الحد من أداء الفريضة فلا تتعدها الى سواها ولا تريد ان تفهم غاياتها واهدافها فان عليّ اذن أن أسلك أي طريق شئت في اتمام ما فرض الله وان آخذ بأي رأي من آراء فقهاء المسلمين الذين ثبتوا أصول الشريعة الاسلامية وأنموا فروعها •

وقفت عند هذا الحد من التفكير في أمري ثم التفت الى هذه الجموع الهاجعة التي بردت مفاصلها فاستسلمت للكبرى وقلت وارحمته للاسلام لقد أبدع محمد بن عبدالله للعقيدة الاسلامية عقلا جبارا يتصرف في قواعدها فيجعلها صالحة لكل زمان وكل مكان • فما بال هذا العقل تواري وراء الحجب؟ لقد سعدت هذه العقيدة عندما كان العقل يفهم أنه لن يستطيع أن يسعد الا في التضحية ولن يستطيع ان يصل القمة الا اذا تخطى الصخور الناتئة ولن يستطيع أن يشير باصبعه فيطاع الا اذا ثبتت قدمه على الذروة •

ان العقل الذي يريد أن يصل الى الذروة يحتاج الى المفاصل المتحركة التي تقدح الشرر لا الى المفاصل الباردة المتجمدة التي لا تطيق حراكا وان يتابع العقل لا تنبسط بالحكم والفكرات الناضجة الا اذا استيقظت الحواس وتحركت الاطراف ان النائمين أموات وهل تخلق الرمم البالية أمة تنبض عروقه بالحياة أن للاسلام عقلا جبارا وعلى المسلمين أن يركنوا اليه •

إلى منى الرمي الحجرة الأولى
حجرة العقبة

وفي غلس الليل البهيم وعلى هدى الشريعة الاسلامية واقوال فقهاء المسلمين والحجاج نيام طلبت من السائق الحاج المحرم ان يستيقظ وينهض حتى تترك المشعر الحرام ونذهب الى منى فاجاب وتوكلنا على الله وارتفعت أصواتنا بالتلبية والدعاء ونبضت رئات السيارة بالتنفس واخذت تنهادى في مسيرها وانبعث شعاع نورها يضيء جوانب المبيت بين سيارات رابضة واجسام ممددة حتى اذا وصلنا الطريق العام اخذنا سمتنا الى منى وفتحت قدر اصبعين من نافذة السيارة وخلفنا وراءنا المزدلفة نبغي رمي الجمرة الاولى جمرة العقبة والجمرات هنا مجتمع الحصى من جمره بمعنى جمعه وكل جمرة ترمى بسبع حصيات صغيرة كل يوم من الايام الثلاثة أو الاثنين وتمتاز جمرة العقبة منها انها ترمى قبل ذلك في يوم النحر ♦

ورمي الجمار من ذكريات النسك المأثورة عن ابراهيم الخليل وعامة أعمال الحج ذكريات لنشأة الاسلام الاولى وهنالك أقوال أخرى يرويها

رواة الاخبار منها ان الرمي تقليد لما فعله ابراهيم الخليل عندما وسوس اليه الشيطان بمعصية ربه وعدم ذبح ابنه اسماعيل وتقليد لما فعله اسماعيل عندما وسوس اليه الشيطان بمعصية أبيه ولكنني عندما عدت الى مدارس الآيات الكريمة في القرآن المبين لم أجد معنى تحتمله الآية بمثل هذا المعنى فقد قال ابراهيم لابنه : « يا بني اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ » فقال اسماعيل : « يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فلما هم ابراهيم أن يفعل سمع هاتفا انا كذلك نجزي المحسنين وان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم » فما دخل الشيطان ولا وسوس ولا تحرك ولا تنفس وكانت القصة طاعة للرب من الاب وادباً من الولد للوالد انتهت بتقدير عظيم وامتحان ناجح ظلت نتائجه سارية المفعول تنتقل في اصلاب الاجيال جيلا بعد جيل وسوف تستمر الى يوم يعثون ♦

وصلنا منى وابتعدت بنا السيارة مكانا خاليا وركد فؤادها فترجلنا وسرنا نبغي جمرة العقبة بقلوب عامرة لم تنفذ اليها وسوسة الشيطان واردا أن نستقبله بالحصى والتكبير والتهليل قبل ان يخنس ويدخل القلب ويحول بيننا وبين عبادة الرب ولم نزل نلبي حتى وصلنا مكانه الاول فاذا به عمود مرتفع يحيط به حوض يتساقط فيه الحصى واذا بعدد يتجاوز بضع مئات سبقونا اليه تولوه بالرمي بحصى صغار أدركت فيها حكمة الشارع فان بعض السواعد الشديدة تتجاوز في رميها هامة العمود فتقع على هامات الحجيج وعلى وجوههم (ونظاراتهم) فرميت أول حصاة وارتدت ان اقطع التلية معها كما هو المأثور غير اني أخذت بالحديث الشريف ان النبي (ص) كان يرمي الجمرة ويكبر مع كل حصاة فلما اتھينا من ذلك التفت الى السائق الحاج وسألته ان يدلنا على المذبح وسارت بنا السيارة في طريق لاحب بين خيام مضروبة تنتظر المفيضين من المزدلفة وبين سيارات كبيرة رابضة على جانبي الطريق حتى وصلنا الى مكان لم تستطع السيارة ان تنفذ منه فترجلنا وسرنا وسط رمال وحصى وحجارة في ظلام لا تبين فيه وقع اقدامنا ثم دخلنا مكانا فسيحا افضى بنا الى فضاء واسع تربض عليه الاغنام جيء بها لتقاد طائعة

على ذمة الفداء والغذاء واتماما للمناسك واجابة للدعاء وفي هذه الهداة من الهزيع الاخير من الليل أقبلنا على هذه القطعان تتخبر منها الفداء وتلفت حولي فلم أجد غير حاج واحد علمت انه أخذ بما أخذت به من يسر في الشريعة فضحى ومشى وتوكل على الله وقدم هديه الى أهل هذا الوادي وجاءني نفر من الرعاة أو الباعة يعرضون عليّ خرافهم فوقعت عيني على رجل يقود خروفين اثنين سميين وعرض ثمنهما فما جادلته وما ساومته لاني وجدت في كل واحد منهما مصداق الآية ووجدت في كل واحد منهما فداء وذبحا عظيما وطلبت ان ينحرهما بيده ويتصرف بهما كيفما يشاء ويختار فانهما هدي وكفى • وعدنا الى السيارة وأخذنا سمتنا الى الكعبة الى البيت العتيق واخذت السيارة في هذه المرة تنهب صدر الارض ونسمات الهواء الباردة تداعبنا ونداعبها كلما اشتد علينا حر السيارة وضاق النفس والليل في أخريات ساعاته وشفتاه السوداوان اخذتا تنفرجان رويدا رويدا عن نعر الفجر الباسم نعر يوم عيد الاضحى والقلوب رطبة بذكر الله والايمان يضيء جوانب الجوانح كما تضيء النجوم المتلألئة صفحة السماء والنفس طائرة مجنحة تريد أن تسابق السيارة في وصولها الى البيت العتيق غير انها مقيدة بالنوافذ والمقاعد • وما هي الا دقائق معدودات حتى وصلنا الى الكعبة الى بيت الله الحرام ولما أردنا ان نقف بالقرب من باب الصفا وترجل رجعت سيارة أخرى علينا فدعمت سيارتنا دعما بسيطا ومهما كان الامر بسيطا فانه يؤثر في سيارة مطهمة فخمة جديدة مثل سيارتنا وقد وجدت في خلق السائقين الحاجين ما يمثل التأدب بأداب الحج فقد وقف كل منهما ينظر الى صاحبه كأنه يلومه فقال صاحب السيارة الداعمة انني مستعد ان أزيل الضرر فقبل سائق سيارتنا الحاج واشترط ان يكون ذلك أمام مسؤول من الشرطة ولا أعرف لماذا؟ وجاء في الحال ضابط المرور فأخذهما الى المركز وتركناهم وذهبنا نطوف بالبيت طواف الافاضة وكان المفيضون من المزدلفة قلة يسهل معهم الطواف والوضوء بماء زمزم ورأيت منهم من لا يكتفي بالوضوء بل يصب على رأسه وجسده الماء فتوضأنا وطفنا وسعينا وقصرنا وتوجهت الى البيت ودعوت ربي بدعائي

الذي اخترته لنفسي وقلت : « اللهم أعط المسلمين جزءاً من نورك حتى لا
يضلوا وامنحهم جزءاً من قوتك حتى لا يذلوا » ولما تركت الصفا والمروة
أخذت جموع الحاج تموج في أرجاء البيت والادعية ترتفع الى عنان السماء
والمطوفون يسرون أمام كل رجيل من الحجاج والحجاج منهم من يرمل
ومنهم من يمشي الهويئا ومنهم من يحمل على كرسي واشتد الزحام وصار
صعبا على المرء ان يخترق هذه الجدران البشرية المتراففة المتدافعة فحمدت
الله على اني أدت نسكي حيث أريد دون ان يزعمني زاحم أو يدفعني دافع
ووصلنا السيارة فلم نجد سائقنا ولبننا تنتظره حتى عاد من مركز الشرطة
وقال : ان السيارة لم تكن ملكي وان عليّ أن أصلح العطب وما دام العطب
وقع من غيري فاني أردت أن اثبت ذلك بمحضر أمام جهة مسؤولة يكون
مصدقا لقولي وادعائي وطلب منا ان تنتظره لكي يطوف ويسعى ففعلنا وعاد
الينا وقد أكملت حجته • هذا هو الحج قد أكتمل بوقوفنا بعرفة وانهينا من
مناسكه فاقمنا بمزدلفة الى ما بعد منتصف الليل ثم هللنا وكبرنا ولبينا ودعونا
عند المشعر الحرام ورمينا الجمره الاولى بسبع حصيات خسيء بها الشيطان
وجنده وأخرسنا وساوسه ثم نحرنا وطفنا وسعينا وارتوينا من ماء زمزم وها
نحن اولاء نعود الى منى تنتظر شروق الشمس عن صباح يوم عيد الاضحى
هذا العيد الذي نطلق عليه العيد الكبير في عرف الطفل الصغير والرجل
الكبير ولكنني ما رأيته كبيرا في عيون المسلمين الذين ينظرون الى حاضر
العالم الاسلامي وماضيه لقد رأيته صغيرا في عيون هؤلاء الذين يحيي بعضهم
بعضا ويتسمون ويجاملون ويدعون ان يعود على العرب والاسلام بالخير
والسعادة والرفاه وهم يعلمون جد العلم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة
ولا تبني مصانع تحطم الذرة وتلين الحديد وتسبك الصلب وتصنع الآلة
وتغزو أجواء الفضاء ان الدعاء مطية الجبناء والرجاء مركب البلاء وان الدماغ
واليد هما الذان يصنعان نتائج الاعمال وان اللسان لا يأتي الا بالاقوال •

لقد طر جبين الفجر الصادق ولمع ضياؤه في الافق الصافي واخذت ذكاء
تطرز مطارف ثوب النهار بحمرة الحناء ووقفت وراء نافذة الغرفة انظر الى

هذا المشهد الجميل والصبح المشرق وأجول بناظري في هذه الخيام الرابضة
الهادئة التي لا تنبض فيها الحياة وأعلم انها خالية فان الحجاج لم يعودوا
اليها بعد ثم انكس رأسي فوق صدري واطلق لخيالي ان يجنح في الفضاء
فاتخيل يوما من الايام ارى فيه او ترى اجيالنا المقبلة فيه علماء الذرة وعلماء
الفضاء وعلماء الشريعة وفطاحل الشعراء والادباء والخطباء يقفون مجامعهم
في منى بعد ان عرضوا فيما بينهم بحوثهم ومختبراتهم وتبادلوا الآراء واستعان
بعضهم ببعض في ظلال جبل الرحمة تخيلتهم يتصافحون ويهنئ بعضهم بعضا
وينشرون بيانهم السنوي على العالم الاسلامي بما فعلوه وما وصلوا اليه •
هكذا كنت اتخيل هذا اليوم اشهد فيه جموع علماء المسلمين واشهد عزة
الاسلام وعبقريته العرب فاتعزى به عن مثل هذا اليوم الذي لم يتكشف الا
عن تضرع وخشية ولم تنفرج فيه لمة الليل الا عن شمس ضاحية محرقة لا
تجد فيها غير هذه الجموع المزدحمة الرابضة في الخيام •

لقد وضع امام ناظري كل شيء وايقنت ان سر تأخر المسلمين يرجع
الى انهم لم يأخذوا بمبادئ الاسلام لقد كان المسلمون يعرفون قيمة الزمن
وكانوا يعرفون ثمن العمل ويعرفون الحق ويتواصون بالصبر ويعملون
الصالحات فما لانت لهم قناة ولا تراجعوا لقد زحفوا على العالم بيدهم القرآن
فأناروا أرجاءه وزحفوا على الظلم فاطفأوا نيران الشرك وأخمدوا أوارها
علموا الناس الحق ففهموا معنى العدل وعلّموا الناس المساواة فاختمى الظلم
وعلموا الناس الجد في العمل فانتجوا حضارة عربية اسلامية لا تنزل تشرق
من عليائها بين حضارات الامم •

يَوْمُ الْعِيدِ

[Faint, illegible text, likely bleed-through from the reverse side of the page.]

أشرق يوم عيد النحر وتفتحت ابتسامة الشمس المضيئة فوق ذرى
الجبال وبسطت سرورها على الوهاد والشعاب والبطاح وتهللت وجوه الناس
بالبشر وبدأ تبادل التحيات الطيبات المباركات بين القوم وفرح الرجال والنساء
مثلما فرح الاولاد والبنات وتلونت الثياب بعد ان كانت لونا واحدا كانت
بياضا ناصعا وشكلا موحدا، كانت ازارا ورداء لا فرق بين رجل ورجل في هذا
النوع من الكساء وعادت مختلفة الالوان والاشكال عادت انيقة لماعة فضفاضة
كاسية وضيقة مقرطقة وصرت ترى الوان الامم في وجوهها وثيابها وتبصر
علامات الثراء والجاه على وجوه القوم وفي ملابسهم وسلوكهم ومكائهم
في مسالك الحياة ومضايقتها ♦

وكان حقا ان تهلل الوجوه بالبشر فقد تظهرت القلوب من الحقد
والحسد وتلاقى في الايام الفاتئة الاعداء والاصدقاء والاقارب والابعدون
وسألوا الله جل جلاله المغفرة وحسن الختام لقد أدى المدين دينه وقضى

فريضة كانت مكتوبة عليه واختفت الاوزار التي كانت تنقل الكواهل وخفت الاجسام والارواح واذا خف الحساب وقضى المدين دينه وفرغ من واجب مفروض عليه مرحت نفسه والنفوس المرحة أقدر على الاخاء وأكثر اجابة للعدل والمساواة وغفران الزلات واطوع في الاذعان للحق ، وقد علمتسا التجارب أن الجرائم والآثام بنات اليأس والكآبة ولأمر ما جاء في الأثر يكاد الفقر أن يكون كفرا فان الفقر من دواعي اليأس والكآبة والغنى سواء أكان غنى النفس بالقناعة أو غناها بالمال من دواعي الانبساط والتفتح للحياة ولأمر ما دعا ابراهيم ربه - ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون - ♦

لقد كان واديا غير ذي زرع ولا ضرع وكان الهدي من أول وجائب الحج ليزيل الفقر ويدخل السرور فتمرح النفوس وتطمئن القلوب فقيم الصلاة وتشكر الرب ♦

ولقد رأيت في هذا اليوم وجوها طافحة بالبشر في قسماات الفقير وقسماات الغني لقد امتلأت عين الفقير من أشلاء الهدي المبعثرة المتناثرة في جميع الارحاء ومن سخاء أهل البر والتقوى الذين يجدون في الحج المقدرة والاستطاعة وطفحت قسماات الثري لانه أجاب داعي الله وأيقن في نفسه ان في ثرائه الاستطاعة التي تريدها الشريعة ♦

لقد أدينا الفريضة وقمنا بالشعائر والمناسك ولكنا هل بلغنا المقاصد العظمى من الحج ان للحج في جوانحي مثلا عليا والمثل العليا صعبة المنال انها أعز من بيض الانوق فلقد تباعد ما بين مشرق الاسلام وماضيه وحاضره اليوم لقد كنت اوثر الا ينتهي الحج بهدي يترك في العراء ليفرح به فقير يستهويه قاتر السواء او تجتذبه رائحة القدر أو يجد في جلد شاة يسليخها دريهمات معدودات يستعين بها على شؤون الحياة ♦

لقد كنت اوثر ان تكون مقاصد الحج أعلى من هذا وذاك كنت آمل أن يكون الحج مؤتمرا وان يكون لهذا المؤتمر من العزة مثل ما كان للاسلام

في حجة الوداع وان يكون له من الهداية والارشاد مثل ما كان ينبعث من
النور والهداية من غار حراء •

تركت هذا الخيال المجنح يطوي جناحيه ونزلت الى عتبة الدار حيث
كانت السيارة تنتظرنا ثم تحرك فؤادها ومشت بنا تتهادى بين هذه الجموع
الزاخرة المرحة وشقت طريقها الى القصر الملكي وهناك وجدنا جموعا
من سعاة المسلمين الوافدين من ارجاء العالم فيهم السياسي الوزير والموظف
الكبير والفقيه والعالم والتاجر وكثير من الناس ودخل القوم ودخلنا
وفق ترتيب منظوم لتحية رئيس موكب الحج في عام ١٣٨٣ الامير فيصل
ولي العهد ونائب الملك تحية العيد وهي عادة مألوفة للحجاج في هذا اليوم
من أيام عيد النحر •

وعادت بنا السيارة واخذت سمتها الى مضرب خيام سفارة الجمهورية
العراقية حيث وجدنا حجاج العراق يحيي بعضهم بعضا
في وجوه ضاحكة مستبشرة ثم زرنا مخيمات حجاج العراق واحدة بعد
الاخرى وكانت على كثرتها قد جمعت ابناء العراق من جميع ارجائه
وتركنا هذه المخيمات والسيارة تمشي بنا الهويناء بين جموع زاخرة
وأشلاء الهدى المتناثرة وقطار الشواء الذي تملأ رائحته جوانب الفضاء
والقدور التي تغلي بأطياب اللحوم والاطراف والفضلات المطروحة حول
المواقد هنا وهناك وبين الخيام وعلى أبوابها كانت الارجل والرءوس مبعثرة
وفضلات الفرث متناثرة وفي جيئة وذهوب ترى رجلا يحملون بايديهم
قطعا من اللحوم المختلفة ترى رجلا يحمل فخذ الهدى وآخر يحمل نصفا
منه وثالثا قد اعجله عمله فقطع فخذين معا دون ان يسليخ الجلد عنهما ورابعا
يسوق حمارا محملا بالذبائح المسلوخة جلودها وقد سألت عن هذا الذي
يحمل على حمارة اربع ذبائح سمان مرة واحدة فقالوا انه رجل من البادية
انه يأخذ هذه الذبائح فيقدها ويملحها ويتركها لحرارة الشمس حتى
تجف وتكون له ذخيرة طوال أيام الشتاء أو طوال أيام السنة يخرج منها
ما يكفيه لوجبة الطعام وقد تكون هذه المجموعة كافية له أو يعود فيأخذ
مجموعة ثانية •

ان النفوس اذا جاءت تقضم العظم وتمضغ الجلد واذا امعنت بالشبع عافت أطايب الاكل واسرفت وبذرت وليست كل النفوس تفعل هذا فان النفوس الحية المهذبة لا تقبل مثل هذا التبذير ان المبذرين اخوان الشياطين • ليت كل من في البادية من الفقراء يفعلون فعل صاحب الحمار فيقددون لحوم الاضاحي ويخترنونها ويخلصون السنة الناس من القول فيها وادمعتهم من التفكير في شأنها •

كانت هذه الاشلاء المبعثرة والذبائح المتناثرة حديثه الذبح والتقطيع لا تبعث منها رائحة ولا ترى عليها ذبابا فان فتينانا أشداء يحملون أدوات التبخير يطلقونها في الفينة بعد الفينة في الشوارع والمنعطفات فيبيد دخانها صفار الحشرات ويخلصون الناس من شر مستطير يقطعون دابره ولا يتركونه ينقل الجرائم بين اجنحته وارجله •

كان هذا الاسراف والتبذير في لحوم الاضاحي موضع تفكير العقلاء من أصحاب الحل والعقد فان هذه الثروة الهائلة فيها غذاء هائل لفقراء هذا الوادي غير ان عادة هؤلاء الفقراء ظلت تنتقل معهم في أصلاب الزمن جيلا بعد جيل لم تتغير يمشون بها على سبيل واحدة كما تمشي النملة في سبيلها يأخذون أطايب بعض الهدي ويتركون الباقي ليد الحدثنان تفعل به ما تشاء ان هذا بطر في النعمة واسراف في الثمرات التي رفع ابراهيم يديه الى السماء يدعوه ربه من أجلها فاجابه ففاض الوادي بالخيرات والثمرات وما رأيت يوما من الايام امتلأت به عين الفقير شبعاً ورياً مثل هذا اليوم ولكن هذه العيون لا تنظر الى الآفاق البعيدة •

كانت الشمس تذرع السماء وكانت حرارتها هادئة وكانت الظلال حول الجدران لطيفة النسائم وكان كثير من الحجاج يستظلون بظلها ويستروحون بها من وهج الشمس وكانت الاسواق مفتحة ومترعة دكاكينها بالبضائع التي تواردت الى منى من اقاصي المعمورة بل اجتمع بعض باعة المدينة المنورة وبيعة مكة المكرمة في هذه السوق الجديدة وشرع الحجاج

يتزودون بالهدايا المباركة من الارض المقدسة الى ذوي القربى والاصدقاء ويتأهبون للعودة ولكن ما زالت الجموع الزاخرة تتدفق على منى نسي ضحوة يوم العيد وتسير افواجا الى جمرة العقبة لرمي الجمار وكان الزحام على أشده غير ان البشر كان يطفح على وجوه القوم • لقد اختفى الغضب في هذا اليوم وتوارى عن الوجوه في أسواق منى وحول الجمرة الاولى ولقد أحببت ان يدوم هذا الاختفاء ليتوارى وجه الغضب عن العالم الى الابد وان يأخذ الانسان بيد أخيه الانسان •

ما اروع تعاليم محمد (ص) في تهذيب النفوس • لقد أعقد على نفوس الامة الاسلامية هباته التي أكرمتها بها السماء فتبددت ظلمة النفوس واشرقت القلوب بنور ربها وتعالى الانسان الى صفوف الملائكة في صفاء الروح والايثار وصار الشيطان خناسا يكنس في مكاسس الريب وصار التعوذ بالله منه شعيرة من شعائر الايمان •

أ يكون اذن هذا العمود المرتفع وسط حوض صغير يتساقط فيه الحصى رمزا للروح المثقلة بالاوزار روح الشيطان الممتلئة بالحقد والحسد والشر والغضب وتكون هذه الاحجار السبعة رمزا للاوزار التي تنقل كاهل الانسان وتكون تلك التكييرات التي ترافقها في كل رمية نغما هادئا يذكر الانسان بعظمة الخالق ويسر في اذنه بان آدم كائن صغير في هذا الوجود العريض الضخم الذي لا تعرف حدوده ، فاذا قال الحاج مع كل حصاة الله أكبر أدرك انه كائن أصغر فيدرك نفسه ويتواضع ولا يخال في الارض مرحا ولا يبلغ الجبال طولا •

لقد خزم محمد بتهذيبه كبرياء النفس وغرورها وبسط لها في الهداية صراطا مستقيما فمشت نفوس المسلمين في مشرق الاسلام تشيء وتبدع لان النفس المغرورة تجللها البلادة ويظل انفها في الفضاء كمثل السنبلة الفارغة تظل واقفة حتى تجف وتصبح هشيمًا تذروه الرياح ، والنفس المتواضعة يميل بها تواضعها فتبصر الارض وتفحص ما تحت قدميها لتشر كمثل السنبلة المملوءة يميل بها الحب الى الارض يبحث عن مكان الاثمار والانماء •

لقد حرر محمد (ص) النفوس من الغضب والحسد والكبرياء
وربى الارادة الفاضلة التي لا ترى لذتها الا في الايثار والعدل ولا تستطيب
النوم الا اذا فتحت بابا من ابواب المعرفة ووضعت رجلها على درجة من
درجات سلم الطموح ان في اجتناث الغضب والكبرياء من النفوس وانتزاع
الحقد من القلوب وتربية الارادة بين يدي العقل تكوين شخصية الانسان
وهكذا ربى محمد شخصية المسلم •

The first part of the history of the world is a story of
the first man, who was created by God, and who lived
in a state of innocence and happiness. He was
created in the image and likeness of God, and
was given dominion over all the earth and all the
living creatures. He was also given the knowledge
of good and evil, and was allowed to eat of all
the fruit of the tree of life, except the fruit of
the tree of the knowledge of good and evil.

بدأ تشريع الفداء وبدأت معه الاضحية ونجم من وراء ذلك عيد
الاضحية لكثرة ما يضحى فيه وبدأت مشكلة كبيرة هي مشكلة الاضاحي
وتعقدت حين بدأت افئدة الناس تهوي الى هذا الوادي ويتكاثر عددها وظلت
هذه المشكلة تنتقل في أصلاب الزمن باسم ما خصصت له وهي ان الهدي لله
تناوله ايدي فقرائه الذين يعيشون حول البيت العتيق ويستظلون بظلاله
فلا تمتد اليه الا يد فقير محتاج فاذا اكتفى هذا الفقير وشبع بطنه فقد تم
كل شيء • وتركت هذه الضحايا قلت أو كثرت في العراء للتفسخ والانذار
وتفريط في ثروة ما بعده تفريط •

لقد تقاربت رحاب العالم حتى أصبح للمسافر اضيق من كفة الحابل
وصار المسلم في الصين والهند وسيبيا الذي كان يقطع الطريق في أشهر
معلومات يقطعه اليوم في أيام معدودات وتكاثر حجاج بيت الله الحرام
وازدهر الوادي وارتى أهلوه وقل فقراؤه وكثر الفداء حتى بلغ هذا العام

ما يقرب من نصف مليون رأس في حدود الظن من الضأن والمعز والبقر والابل وتفتحت عيون الناس على هذا العدد الضخم وصار التفكير في شأن هذه الحيوانات المتناثرة في العراء موضع اهتمام العالم الاسلامي وأولى انحل والعقد في هذه البلاد وأخذ كثير منهم يترددون في ابداء آرائهم ، أترك هذه الكميات الكبيرة والثروة العظيمة مطروحة في الارض تأخذ منها أيدي الفقراء اوشالا وتطرح الباقي لآفات الطبيعة تفسخها وتجعل منها خطرا على الصحة ثم تعيدها ترابا تذروه الرياح لا لشيء الا ان الشريعة خصتها بالفقراء وليس لاحد ان يتدخل في شأنها أم يتخذ بشأنها ما هو الاصلح فيكبر نفعها حتى يغمر العام كله ؟

وصار تنفيذ خطة عملية يتأرجح بين الاحجام والاقدام وكان الاحجام متأثرا بالرأى العام الاسلامي الذي لا يستند الى أصل الشريعة وانما يستند الى أن هذا الهدى ملك للفرد الذي أهدها وخرج من يده الى يد أخرى يتعلق بها حق الغير وهو رأى ضعيف لا يقف أمام المنطق لان الشريعة الاسلامية اسمى من ان تقف بجانب التبذير والتفريط واسمى من ان تقف موقف الجمود وهي الصالحة لكل زمان والتي يمكن تطبيقها في كل مكان وهي التي تجعل اتخاذ التعليل بالمصلحة دليلا من أدلتها وبعبارة اوضح هي التي تراعي المصلحة العامة عند النظر في الاحكام والبت بها اذ كانت المصلحة العامة تتركز على المنطق وتتفق مع روح الشريعة والعدل ولا تعارض دليلا من أدلتها وان تكون من الضروريات المقتضية للمحافظة على الدين والنفس والعقل والنسل والمال وما تتطلبه الحاجة لصالح المعيشة • أفليس التفكير في شأن هذه اللحوم وتوابعها التي ستبلىها ايدي البلى من مقتضيات المحافظة على المال ومقتضيات الحاجة لصالح معيشة الفقراء ؟

لقد وضعت الشريعة الاسلامية قاعدة أصولية سامية نافعة تلك هي المصالح المرسله والمصالح المرسله يعرف تطبيقها ولاة الامر والسلطة التي تنفذ أحكام الشريعة وتوجه العمل وجهته الصالحة ومن ذلك جواز الاستفادة بلحوم الاضاحي • ولقد صدرت فتوى بهذا الشأن من علماء الدين في المملكة

العربية السعودية وعلى أثر صدور الفتوى أصبح التفكير جديا في شأن الهدى وتألفت اللجان وتقدم الخبراء بتقاريرهم واشتروطوا فيما اشترطوه الاحصاء الدقيق الواجب اتخاذه في بدء الامر لمعرفة مقدار ما يضحى به في كل عام فان عدد الضحايا منوط -بوفرة عدد الحجاج الذى يختلف بين عام وعام وانه غير احصاء دقيق ومعدل معلوم لا يمكن الاقدام على مشروع ضخم مثل هذا المشروع الذى يكلف القائمين به مالا وفيرا دون مقابل فانه مادام لله وللصدقات فانه سيبقى لله وللفقراء في ظلال الحرم •

انه يحتاج الى خبرة ولا بد لهذه الخبرة من الاختصاصيين في صناعة اللحوم أو المخلفات والاستفادة منها ولا بد لكل ذلك من مصانع تشاد ودوائر تؤسس ولا بد لحجاج المسلمين ان يقبلوا بالرأى النافع في هذا الشأن فان واقع الامر شهدناه بأعيننا ورأينا كيف تبدد ثروة تبديدها ليس من الخلق الكريم وتبذيرها لا تعترف به شريعة من الشرائع ورأينا كيف يمكن أن تكون هذه الاشلاء المتناثرة خطرا على صحة أهل البلاد وصحة الحجاج لولا تلك التدابير الصحية المتخذة التي تحول دون وقوع الخطر • ان كثيرا من الحجاج لا يكتفون بقاء واحد بل يفدي أكثر من ذلك وقد يختص لنفسه ولاصدقائه وذويه بواحد ويترك الباقي للفقراء وعلى الفقير أن يعلم أن الله لا يحب المسرفين فاذا تناول وشلا أو ذبيحة من المجزرة التي ستعد لهذا الامر أو تناول أكثر من ذلك بحيث يكفيه أيام التشريق الثلاثة في منى فليكتف بذلك فانه اجدى عليه وعلى فقراء المؤمنين من بعده • لقد رأيت كثيرين يحملون أربع ذبائح فعلمت انهم يجففونها ويخزنونها للعام كله أو بعضه وانني لا اجد حرجا على هؤلاء فان التجفيف طريقة من طرق الاقتصاد التي تعين على الاستفادة من المشروع وهذه نعمة ساقها الله الى رب عائل اسرة هي في حاجة اليها •

لقد كان العرب يسوقون الهدى الى بيت الله الحرام ويضحون ويأكلون ويتركون ما بقى للفقراء أو يتولون أمورهم بأيديهم ويجففون اللحوم ويتفعون بالجلود واصواف الغنم وشعر الماعز ووبر الابل ويقدد فقراؤهم

اللحوم ويسمون ذلك قديدا • والقديد من أطيب المدخرات في بلاد الغرب •
ان الاقدام على مشروع الاستفادة من لحوم الاضاحي اقدام سام
وسيجد بعض العقبات ولكن تهيئة الرأي الاسلامي العام في صحته من وجهة
الشريعة والمصلحة العامة والنفع الكبير الذي يعود على الفقراء ستخفف
كل صعوبة وتزيل كل عقبة وسينظر العالم أجمع الى المسلمين نظرة فيها
الاجلال والاحترام فيما اذا نجح هذا المشروع في جواريت الله الحرام •

اننا في زمن عرفت فيه قيم الاشياء وانه لا يوجد شيء في الوجود الا
وتكمن فيه اشياء تعين على انبثاق فوائد أخرى منه وان في شريعتنا ما يعين على
ذلك وافضل ما في صفات المسلم ارادة الخير ولقد ربي محمد (ص) ارادة
المسلمين على الاقدام في انجاز العمل الصالح وانتظار الثمرة التي لا تراها
العين بعد • وكل أعمالنا الصالحة يهدف اقدامنا عليها الى رضا الرب واستغلالنا
في ظل الرحمة ودخول الجنة وهي ثمرة تصدق عقولنا بوجودها ولا تراها
اعيننا • هكذا ربيت ارادة المسلم وقد علقت الارادة بالقدر خيره وشره
فالقدر مكتوب والمقدر صائر لامحالة واذا آمن المسلم بالقدر أقدم دون تردد
لانه واثق من النجاح فيما اذا كان النجاح مقدرًا واذا كان الفشل مكتوبًا
فلا يهتم بوقوعه لانه مقدر ولكن عليه ان يقدم في كلتا الحالتين وعلى هذا
التأسيس اندفع المسلمون في مشارق الارض يدعون وينشئون فان الابداع
لا يأتي الا بالارادة الصامدة والعزم الاكيد ان الانانية تموت اذا كان الشخص
يحمل بين جنبيه ارادة قوية واذا اراد المسلمون ان يعطوا الفداء اسمه
الكامل وهو التضحية فليمحوا اذن من صدورهم الانانية المطلقة ويعينوا على
انجاز هذا المشروع وليعلموا ان في الضحايا تضحية •

ان على المسلمين ان يشقوا حجب الدهور التي غطت عيونهم وينظروا
بعد ذلك فضائل الرعيل الاول من العرب المسلمين كيف صعدا ذرى
المجد وكيف علموا الناس مكارم الاخلاق وكيف أخدموا نيران الشرك
وأخدموا أنفاس الظلم وفتحوا لابتى باب الحرية لقد علموا الناس الكرم
والوفاء وعلموا الناس صدق الحكم ومعرفة مصائر الامور •

ان أفضل شيء في فعال المرء هو أن يدخل السعادة في قلوب الفقراء
وابدع شيء في الحياة ان يرى صاحب المعروف عين من احسن اليه تلمع
بالشكر والتناء ان الهدى هبة من الغني الى الفقير وخير ما في الهبة حسن
تقديمها • وعلى المسلم ان لا يقدم هديته جيفة تلقى في العراء •

ان الهدى فداء لاوزار احتملتها الكواهل التي كانت تنوء بحملها
فلماذا لا يكون الهدى ساميا في لفظه ومعناه ولماذا لا يقدر أو يجفف أو يجمد
ويوزع على الايتام في المعاهد وعلى الفقراء في بطون الوديان وعلى شعاف
الجبال لماذا لا تباع جلود الهدى واخلافه وعظامه فتحول الى دراهم وتتفق
في سبيل الخير والبر وانشاء الملاجىء للايتام والعجزة وانباء السبيل كل ذلك
ممكن وكل ذلك في مقدور المسلمين ان يتعاونوا جميعا على تحقيقه انه
منوط بقوة الارادة التي تفعل الخير ومنوط بالعزم وصدق النية وسيأتي
اليوم الذي يفرح به المؤمنون ويحتفل العالم الاسلامي بمصانع الهدى التي
تقام بجوار بيت الله الحرام وسيأتي اليوم الذي يفهم فيه الحاج مقاصد حجه
ويقدم هديا صالحا في واد ذى زرع •

مضى يوم النحر يوم عيد الاضحى وتلته أيام التشريق وهي الايام
الثلاثة التي يمكث فيها الحجاج في منى لرمي الجمرات الثلاث وكانت
الايام مشرقة والجو لطيفا هادىء السمات والناس يسرون في الشوارع جيئة
وذهبوا ينتظرون أن تزول الشمس عن كبد السماء كي يشرعوا في رمي
الجمرات الثلاث بادئين من الجمرة التي تلي مسجد الخيف فيرمي الحاج
كل جمرة بسبع حصيات ويكبر مع كل حصاة ويقف عند كل جمرة يدعو
ما يشاء ولا يقف عند جمرة العقبة • وهكذا هو ترتيب هذه الشعيرة من
شعائر الله قرب المسجد الحرام ولكن كيف تستطيع الوقوف أو كيف
تستطيع أن ترمي الحصيات بهدوء وسلام بين هذه الالوف المؤلفة والامواج
البشرية المتتابعة والحماسة البالغة ببعض الذين يجهلون مناسك الحج
ومقاصده والذين يظنون أن الشيطان كامن في هذا العمود المرتفع المطلي
بالجص وان الشر كل الشر في هذه الكومة التي يحيط بها حوض تتجمع

فيه حصيات الحجاج حتى بلغ الامر بهؤلاء أن يقذفوه بكل ما يرونه تحت أرجلهم ظنا منهم أنهم غلبوه على أمره وقهروه فلا يوسوس في صدورهم بعد ولا يجيد بهم عن الطريق المستقيم • ولم يعلموا أن النفوس التي تعودت على الشر هي مكنم الشيطان وهي التي يجب أن ترحم وترجمها لا يكون بهذه الحصيات وانما بتهديتها وفطامها عن فعل ذائل الامور •

وفي وسط هذا الازدحام على المرء ان يسرع ولا يبطيء حتى يصل الجمرة الثانية فيفعل مثلما فعل بالجمرة الاولى ولكن انى له الاسراع والتدافع يحيط به فيفقد المرء صاحبه الذى كان يسير معه أو يمسكه بثوبه أو يده كسي لا يفلت منه فاذا انفلت فلا يستطيع اللحاق به الا عند الجمرة الثانية حيث يلتقى مالمقيه في الجمرة الاولى • انها مشقة وانها متعة أن ترى الناس يتسابقون الى قذف الشيطان بحصيات سبع فتدرك ان هؤلاء انما يريدون أن يقتلوا الشيطان الكامن في نفوسهم • وكلما رأيت رجلا بالغا في الحماسة في قذفه حصياته علمت أن وزره أثقل من رأس هذا العمود الذى يكمن تحته ابن شيخ الابلسة • مسكين ابليس سبب له آدم المعصية فطرده الله من الجنة فصار (فوضويا) متطرفا مثله كمثل اولئك الفاشلين في الحياة الدنيا اذا فشلوا في أعمالهم ركنوا الى الفوضى واستقبال الآراء الوافدة المتطرفة ولا يطيب لهم العمل الا بالهدم •

لقد تركنا الجمرات الثلاث وطاب لنا ان نسير في الاسواق وفي هذه الظلال الجميلة التي تتخللها نسمات عذاب من نسمات الصحراء الباردة وبين الباعة والحجاج المشترين الذين لا يشبعون من جمع الهدايا الصغيرة والكبيرة التي يشتاق اليها المستقبليون عند عودتهم الى بلادهم فلقد بلغ الهدى محله فلا بد من هدي آخر يبلغ محلا آخر •

لقد انقلبت منى الى سوق تجارة كما كان العرب يفعلون قبل الاسلام يأتون اليها ويقيمون أسواقهم للتجارة والشعر والتكاثر والتفاخر أما اليوم فقد أقامت سوقا للتجارة فحسب وفقدت سوق القريض والنقد والتفاخر والتكاثر وفقدت شيئا كنت أتمناه ولا أزال أرجوه ولعله يحقق لقد

كنت أرجو أن يعود المسلمون من عرفة بعد تقرير أهم ما يدور في خلد علمائهم ويجلسوا في لجان متفرعة يتدارسون أحدث ما يحتاج اليه المجتمع الاسلامي في تكوينه وتقاربه وتجاوبه ويضعون الحلول للمعضلات الاجتماعية التي تتطلبها الحضارة ويتبادلون الرأي في أشد الامور تعقيدا في الحياة الاقتصادية والسياسية التي تواجه الامم الاسلامية -

وطاب لي أن اتجول بين الخيام وأرى مضارب الحجاج فانه مشهد رائع قل أن تظفر به الانفس الا في مثل هذه الايام الحرم الآمنة ، انك تشهد الامم الاسلامية بلغاتها وأجناسها ونظمها وطباعها وعاداتها لقد تهيات لاداء الفريضة ومنها من شدت حيازتها فنظمت أمرها وجعلت للحج أميرا على رأس بعثة تقوم على تنظيم شؤون الحجاج الذين يعودون اليها وأخذت ترعاهم كما ترعى الام البرة أولادها فلا يفقدون شيئا ولا يغبنون في معاملتهم مع شركات النقل ولا تحدث لهم مشاكل في الطواف والسكن فهم آمنون مطمئنون مستندون الى امارة والى نظام الدولة في البلاد يرتاحون الى حجهم ولا يجدون فيما ينفقون حرجا •

لقد بلغ حجاج العراق في هذا العام بعددهم ما ينيف على أربعة عشر ألفا كان من الممكن ان تكون قافلة سياراتهم منتظمة مريحة مثل قوافل بعض الامم الاسلامية فان اماره حج للعراق ولجنة خاصة تشرف على شؤون الحج تؤلف في كل عام مما يضاعف عدد الحجاج العراقيين ويرغبهم في زيارة بيت الله الحرام ويحفظهم من وقوع مشاكل لا قبل لهم بها تقذهم من تعسف شركات النقل وخروجها على الانظمة وقوانين الدولة وتخلصهم من (الحملدارية والعكامة) والدالين الذين يبتزون أموالهم ولا يقومون بخدمة ترضيهم وتحفظ كثيرا منهم من الضلال وفقدان الاوراق وضياح الاموال وتكون مع الامارة بعثة طيبة وبذلك تتعاون هذه البعثة مع الامارة والسفارة على تذليل الصعاب والنظر في شؤون كثير فيؤدي الحاج مناسكه مثل ما يؤديها اخوانه المسلمون من رعايا الامم الاخرى •

وان اماره الحج ليست بدعة فقد انشئت في مشرق الاسلام ففي السنة

التاسعة من الهجرة وفد الى مكة حجاج المدينة من المهاجرين والانصار والقبائل تحت امارة ابي بكر (رض) فكان أول أمير للحج في الاسلام وانتهى أبو بكر الى مكة وفيها المشركون يؤدون مناسكهم على ماورثوه من تقاليد آبائهم والمسلمون على ما أبان لهم أبو بكر وانهم كذلك اذ وافاهم علي بن ابي طالب (رض) مندوبا من المدينة ليعلم للناس نزول الوحي بسورة براءة فيها : ألا يحج بعد عامهم هذا مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وألا عهد لمشرك ولا ذمة الا أحدا كان له عند رسول الله عهد وعهده الى مدته وان الله أمر بجهاد الشرك ممن نقض من أهل العهد الخاص ومن كان لا عهد له فأجله أربعة أشهر يرجع فيها كل قوم الى مآمنهم ثم لا عهد لمشرك بعدها • ومما يروى عن مواكب الحج وامارته أن الركب العراقي أستأنف حجه سنة ثمانمئة وست عشرة واصطحب محمله المعتاد وهداياه الى اشراف مكة وصدقائه الى فقرائها وقد دعى له بالبقاء والعز على قبة زمزم في ليلة الجمعة من اليوم السادس عشر وكان لحكومة العراق ترتيب خاص في مسجد مكة يجتمع فيه بعض القراء المرتين فيقرأ القارئ منهم جزءا خاصا من المصحف ويقرأ آخر غيره وغيره كذلك وبذلك يختمون القرآن ثم توزع العطايا المرتبة على أصحابها سنويا وقد احتفل بهذا المجلس في تلك السنة بعد أن قطع عدة سنوات وهو دليل على أن موكب العراق كان مستمرا حتى حدثت حوادث قطعت عن الاستمرار فلما زالت عاد كما بدأ واستأنف هداياه وصدقائه واعطيته •

وهذا نوع من الصلة الوثقى بين أهل مكة واطراف الممالك الاسلامية فيها تقارب وتحابب ولكنها من طراز آخر كان يقتضيه مجتمع ذلك الوقت وفي هذا العصر الذى تغيرت فيه تقاليد المجتمع في كل مكان واقضت الضرورات والمصالح نوعا آخر من التعارف والتآلف والتعاون والبحث والدرس والخروج من كل ذلك بنتائج في المادة والمضى تعود على المسلمين في اقطارهم المختلفة أصبح اقتضاء امارات الحج واتخاذها سبلا غير تلك السبل من ألزم الامور لاداء فريضة الحج ومن ذلك أن يكون الامير من سراة

القوم ومن علمائهم وفي موكب جلة من العلماء يتأبطون بحوثهم ودراساتهم
ومناهج حلقات دراسية في كل شأن من شؤون البلاد يتبادلون وجهات النظر
ويعرضون نتائج أعمالهم وبحوثهم في مؤتمر عام في موضوعات مدروسة
ذات نفع عام وتؤلف الكتب وتشر النشرات وتوزع على الحجاج في
لغات متعددة وآراء ناضجة وواضحة ويعود القوم مثقلين بالفوائد الكثيرة •

ولا بأس أن تحمل هذه المواكب من الهدايا ما يقدم لعلماء مكة
وسراتها ومن الاموال والصدقات ما يوزع على الفقراء فيجمع القوم بين
تالد عزهم وطريف مجدهم ويصبح للحج رونق مشرق تظهر فيه عزه
الاسلام وقوته •

لو فعل المسلمون هذه الفعائل الفاضلة لما ظهرت بدعة في الاسلام ولا
نبطت نحلة تحرف معانيه عن مقاصدها ولا ضعف الاسلام هذا الضعف
الذي لم يره وليس من طبيعته ولكن لمبادئه قوة لا تقف أمامها أية مبادئ
وافدة غريبة عنه ولتمتع الشباب المسلم بالعزيمة الصادقة والفكر الوقاد
المبدع •

الطواف - والمطوفون

الطواف والسعي ركنان من أركان الحج بل هما من أهم ما يعنى به المسلمون ويتأهبون له • والطواف أربعة أنواع طواف القدوم ويسمى طواف التحية وطواف الدخول وكيفية أدائه ان الحاج اذا وصل الى مكة ترك امتعته في مكان امين ودخل من باب السلام - باب بنى شيبه - ثم يدعو الله بدعاء مكتوب في الكتب الكثيرة المتوفرة حول الحرم التي تبرع بكتابتها الادباء والفقهاء ثم يقصد الحجر الاسود فيقبله ان استطاع فان لم يستطع استلمه فان عجز عن ذلك اشار اليه بيده ومن امام الحجر الاسود يشرع في الطواف حول الكعبة فاذا اتم سبعة اشواط صلى ركعتين عند مقام ابراهيم •

ومثل طواف القدوم طواف الافاضة ووقته نصف الليل من ليلة النحر بعد النزول من غرفة وفضل أوقات أدائه ضحوة النهار من يوم النحر ويمتد وقته الى آخر شهر ذي الحجة فان اخره عن ذلك لزمته فدية

وطواف الوداع وسمى بهذا الاسم لانه توديع البيت العتيق • وطواف التطوع وهو مستحب لكل حاج اذا دخل المسجد الحرام ان يغتم الفرصة فيطوف حول الكعبة اما السعي فهو سبعة اشواط ايضا يبدأ بالصفاء ويختم بالمروة وذلك ان يقطع الحاج المسافة بين الصفا والمروة سبع مرات سيرا على الاقدام الا اذا كان غير قادر فيسعى محمولا ويدعو الله ما يشاء في سعيه • هذا كل ما يخص الطواف والسعي في اداء فريضة الحج ولو وقف الامر عند هذا الحد لكفى ولكنهما مرتبطان بالطوف الذي يقود الجماعة ويرفع اكفه بالدعاء فتردد اقواله فهو القائد وهو الدليل وموجد المأوى والطعام والمعين على السفر والاقامة والمساعد في المرض والصحة • وما كانت مهنة المطوف موجودة في الجاهلية ولا في صدر الاسلام فان الحاج يؤدي شعائره بنفسه ويدعو لنفسه دون قيادة او دلالة واخال ان الازدحام لم يكن قبلا ولا بلغت كثرة الحجاج في صدر الاسلام مثل هذا العدد اللهم الا في حجة الوداع فقد ذكر التاريخ انها بلغت مائة الف مسلم وهو عدد اهتمت له ارجاء الجزيرة ومهما بلغ العدد كثرته فلا حاجة لمطوف •

ويقول رواة التاريخ ان مهنة المطوف نشأت في عهد الشراكية بمصر وذكروا ان السلطان قايتباي من ملوك الشراكية حج في عام ٨٨٤هـ وان القاضي ابراهيم بن ظهيرة تقدم لتطويفه وتلقينه الادعية ومن هنا نشأت هذه البدعة وصار المطوفون يلقنونها العرب والاعاجم الذين لا يحسنون العربية • والحقيقة التي لا مرية فيها ان كثيرا من المسلمين لا يحفظون مناسك الحج مع بساطتها وتدهلهم هذه المشاهد الرائعة فيعتصمون بمطوف يقودهم فمنهم من يردد دعاءه ومنهم من يتركه يقول ما يشاء وينتهي متى ما يشاء وقد رأيت كثيرا من المطوفين يقودون عددا كبيرا متماسك الايدي كيلا يفلت منهم احد وسط هذا الزحام وهم يتبعونه وتبقى هذه الصفة ملازمة لهم في طوافهم وخروجهم مشيا على الاقدام في منى او سيرا اليها من مكة في مستهل الحج وكثير من المطوفين يمشون تحت ظلال راية ذات

لون خاص مكتوب عليها اسم المطوف لكي تكون هداية لمن يضل من هذا
الجمع المترابط • وقد اخبرني بعض الرواة ان المطوف اصبح لقباً يرثه
الابناء عن الاباء او يكتسبه الشخص بعد ان يمضي عليه في هذه المهنة خمسة
عشر عاماً وبعد ان يدفع مبلغاً معيناً ضريبة المهنة للحكومة •

والمطوفون حول البيت الحرام ينقسمون كما اخبرني بعض الرواة الى
ثلاثة أقسام • منهم قسم يختص بحجاج العرب وحجاج جنوبي أفريقيا
وايران وقسم آخر يختص بحجاج الهند وباكستان والقسم الثالث يختص
بحجاج جاوا واندونيسيا والفلبين والملايو • وقرأت في صحيفة البلاد التي
تصدر في البلاد المقدسة انهم ستة طوائف لقد كانت مهنة المطوف طوافاً
حول الكعبة وسعياً بين الصفا والمروة والوقوف على عرفات ثم رمي
الجمرات وتقديم الفداء ولم تعد هذه الشعائر غير انها تعدتها الى أكثر من
ذلك فنشأت عن ذلك مشكلات لازال اصحاب الحل والعقد يفكرون في
حلها • فقد استغل اسم المطوف دلالاته في البلاد التي يفد منها الحجاج
يوهمون انهم سيجدون لهم مطوفاً ويذكرون اسماً من الاسماء وينالون من
الحاج الذي لا يعرف أحداً غير الله والذي جمع مالا ليستطيع اداء الفرض
الذي أوجبه عليه العقيدة فيسلم ماله الى دلال يظن به ظن الخير وهؤلاء
الدلالون يعملون عند بعض شركات النقل في العراق مثلاً ويرافقون الحاج
الى بيت الله الحرام منتحلين صفة - الحملدارية - ويأخذون من هذا الطائع
لله مبلغاً معلوماً لقاء خدمة يعده بها ولكنه لا يبالي ان ينقض عهده مادام ملاً جيبه
ويقع كثير من الحجاج المغلوبين على أمرهم في شرك هؤلاء وأمثالهم •

فاذا كانت هذه مشكلة لحجاج العراق فانها ايضاً معضلة بجوار بيت
الله الحرام فالفت لجنة وقدم مشروع وبحث الامر بشأن المطوفين ورفع
مستواهم حتى يستطيعون ان يؤدوا أعمالهم على أكمل وجه وكان المشروع
المقدم عين الحد الاعلى من الحجاج بالنسبة لكل مطوف في الطوائف الستة
الموجودة الان أما المطوفون فانهم يشكون أمرهم من الدالين مثلما يشكو
الحجاج من الدالين والمطوفين وفي كلتا الحالتين يحتاج الامر الى علاج فان

مقاصد الحج نبيلة يجب ان لا تشوبها شوائب وان تعين لجنة تقوم على شؤون الحجاج كل عام في العراق أمر فيه فائدة ومنافع كثيرة للناس •

لقد كان المطوف حين نشأت هذه المهنة في جوار البيت العتيق القاضي ابراهيم وكان الرجل الذي طاف به القاضي السلطان قايتباي واستمرت هذه البدعة تنتقل في أصلاب الزمن حتى أصبحت مهنة يعيش عليها كثيرون وتنتظرها اسر في البلاد التي يسير منها الحجاج والتي يفدون عليها وكان المأمول ان يضيف الدلال والمطوف الى أجر الدنيا أجر الآخرة وان يأخذوا أجر الحاج حلالا طيبا •

ان الحاج لا يخسر فهو قد اعد هذا المال لينفقه في سبيل الله ولكنه يعز عليه ان يغبن • انك اذا اوليت الحاج يدا فقد اعنته على فريضة الله وانها لكرامة ينعم الله بها على المؤمنين الصادقين من عباده انها كرامة لا تباع لا تشتري بالذهب ان التعامل بها لا يكون الا بين نفس طيبة وقلب طاهر • ان فضيلة الاسلام تكمن في تربية النفوس وتربية الارادة الصادقة التي تتغلب على الصعاب ان كل ما يتصل بهذه الفريضة يجب ان يكون صافيا ومعينا على أدائها • ان المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله الانسان قلبا قويا صافيا ولسانا طيبا فقد وطأ له أكناف الدنيا وأقبل عليه الحظ يحيط به من كل جانب ولهجت اللسان بذكره وطابت النفوس الى التقرب منه والتعامل معه • القلب الطاهر هو الحسب النبيل الذي ينتمي اليه المرء وان الهجين الذي لاحسب له في الدنيا هو الذي يغبن الناس ويتلون في الحياة • ان كل شيء في الحياة باطل الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر لقد اتجهت تعاليم الاسلام الى الصدق وجعلت الدين المعاملة وسلوك المرء مع اخوانه من بني آدم وجعلت الارادة الصادقة قائدا يقود المؤمن الى فعل الفضائل فان الارادة القوية هي شخصية المسلم ولذلك لم يتعب المؤمنون في حياتهم في صدر الاسلام لان الارادة كانت قوية وكانت شخصية المسلم متفوقة فكان مجتمعا فاضلا مستريحا واذا ضعفت الارادة بدأ التعب على المجتمع لان الذي تسيره ارادة الغير يضل متعبا في حياته •

إذا اختلت المعاملة بين أفراد المجتمع انحط المجتمع عن مستواه الذي
ارادته له الحياة وتعبت كل ارادة في تسييره وارجاعه الى صوابه ولذلك
اتجهت تعاليم الاسلام الى نقطة واحدة هي الاعتزاز بالشخصية • وجاء القرآن
الكريم بالعزة والكرامة في قوله « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون » وظل
المسلمون في علوهم وسموهم حتى ضعفت ارادتهم وشخصيتهم •

ارکان الحج و شعائرہ و مقاصدہ

كل ما في الحج شعائر معدودات في أشهر معلومات واركانه اربعة
الاحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفة أما الاحرام فيكون من الميقات
وهو مكة لاهل مكة وذو الحليفة لاهل المدينة وذات عرق لاهل العراق
ولمن يمر بهذا المكان ورايح لاهل مصر ولبنان وفلسطين والمغرب • وقرن
المنازل لاهل نجد ويللم لاهل اليمن ولمن يمر بهذا المكان وعند الاحرام
يلبس المرء ثوبى الاحرام وهما الازار والرداء ومن المستحسن ان يكونا
نظيفين ابيضين وان يلبس نعلا غير مخيط فاذا احرم الحاج صلى ركعتين بنية
الاحرام ويلبى يقول لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة
لك والملك لا شريك لك •

والطواف هو أن يطوف المحرم حول الكعبة سبعة اشواط يتبدىء
بالشوط الاول من الحجر الاسود جااعلا بناء الكعبة على يساره ويدعو الله
ما يشاء أو يقرأ من القرآن ما يحفظ •

أما السعي فإنه يأتي بعد الطواف وذلك أن يسعى الحاج بين ربوة الصفا وربوة المروة سبع مرات أى سبعة أشواط مبتدئاً من الصفا يهمل ويكبر ويدعو الله ما يشاء •

والركن الرابع هو الوقوف بعرفة وهو الركن الاساسي في الحج لقول النبي (ص) « الحج عرفة » ويرى جمهور العلماء ان وقت الوقوف يتبدىء من زوال اليوم التاسع الى طلوع فجر اليوم العاشر من ذى الحجة في أى مكان من عرفة ومن الافضل ان يكون عند الصخرات الكبار المنبسطة في اسفل جبل الرحمة وهو المكان الذى وقف فيه النبي في حجة الوداع •

هذه هي أركان الحج في اسط اشكالها ويبدأ الحج من يوم التروية وهو اليوم الثامن ويسير الناس في اليوم التاسع الى عرفة من منى ثم ينفرون في المساء الى مزدلفة ويقيمون فيها جزءاً من الليل أو يبيتون فيها يذكرون الله عند المشعر الحرام ثم يفيضون الى منى لرمي حجرة العقبة بسبع حصيات صغار • ويقطع الحاج التلبية مع أول حصاة ثم يذبح ماشاء من النعم ويتحلل ويحلق ثم يطوف بالبيت دون رمل ولا سعي ويسمى هذا الطواف طواف الافاضة واول وقته نصف الليل من ليلة النحر بعد النزول من عرفة وافضل وقت يؤديه في ضحوة النهار ويستحب فعله في أي يوم من ايام النحر وتعجيله أفضل واذا زالت الشمس من اليوم الثاني يرمى الجمار الثلاث بادئا بالجمرة التي تلي مسجد الخيف فيرمي كل واحدة بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة ويقف عند كل جمرة داعياً ماشاء ولا يقف عند جمرة العقبة •

فاذا كان اليوم الثالث رمى الجمار بعد الزوال وفعل ما فعله في اليوم السابق واذا أراد ان يتعجل العود نفر الى مكة قبل الغروب وان طلع الفجر وهو يمنى لزمه الرمي وجاز قبل الزوال •

فهل هذا كل ما في الحج؟؟ انتقال وطواف وسعي ووقوف واقوال وافعال وزيارة الى الكعبة والى أماكن تجاورها • وهل هذا كل ما يقصده الشارع من الحج • لقد ضعف الاسلام وضعف المسلمون وقصرت مداركهم عن مقاصد الحج فصار الحج في نظرهم آخر فريضة تؤدى بعد ان استمروا

على أداء فريضتين اثنتين فقط فريضة الصلاة وفريضة الصيام وتناسوا فريضة
الزكاة دون مبرر وصار لا يحج من المسلمين الا شيخ أو شاب جاء بالديه
أو باحدهما برا بهما أو لعجز أو كبر •

ان مقاصد الحج كبيرة واعظم مما يتصوره الضعفاء العاجزون انها
مظهر من مظاهر قوة الاسلام قبل كل شيء وحسبك ان ترى ذلك فيما وقع
في السنة السادسة للهجرة عندما اراد النبي (ص) زيارة مكة فاخبر المسلمين
انه يريد العمرة واستنفر الاعراب حول المدينة ليكونوا معه خوفا من ان
تردهم قريش عن عمرتهم فابطأ الاعراب وتخلفوا وقالوا : « شغلنا أموالنا
وأهلونا فاستغفر لنا » فخرج النبي بمن معه من المهاجرين فلما علمت قريش
بمقدمه ثارت ثائرتها واجمعت رأيها على ان يصدوا المسلمين عن مكة
وتجهزوا للحرب واعدوا خالد بن الوليد في مئتي فارس طليعة لهم ليصدوا
المسلمين عن التقدم ولكن النبي أصر الا ان يزور الحرم رغم كل مقاومة
وأمر اصحابه بالنزول اقصى الحديبية فجاءت رسل قريش تستطلع عن سبب
مجيء المسلمين فاخبرهم النبي باننا لم نقدم لقتال أحد ولكننا جئنا معتمرين
وان قريشا قد نهكتهم الحرب فان شاءوا ماددتهم مدة تترك الحرب فيها
ويخلون بيني وبين الناس ورجع اليهم عروة بن مسعود سيد ثقيف وكان
أحد سفرائهم فقال لهم : « والله ما رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه مثلما
يعظم أصحاب محمد محمداً ، اذا أمرهم ابتدروا أمره واذوا توحاً كادوا
يقتلون على وضوئه واذوا تكلم خفضوا أصواتهم اجلالاً وتوقيراً • ويحدون
النظر اليه تعظيماً له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ولقد رأيت معه
قوما لا يسلمون لشيء ابدا فانظروا رأيكم » •

ولكن قريشا أصرت على رأيها ولم ينفعها النصيح • ولما رأى النبي
اخفاق سفراء قريش ارسل سفراءه وكان ممن ارسلهم عثمان بن عفان
فحبسته قريش ثلاثة أيام وشاع في القوم خبر قتله مع العشرة الذين كانوا
معه فوقف النبي خطيباً بين قومه وقال : « ان كان حقا ما سمعنا فلن نبرح
الارض حتى نناجز القوم البيعة • البيعة ايها الناس !! » •

فتوافد الناس يبايعون الرسول ونزل قوله تعالى : « ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما » • فلما علمت قريش بهذه البيعة وبشبات النبي على عزمه اطلقت سراح عثمان ومن معه وارسلت رسلها لعقد معاهدة مع النبي فاستبشر النبي (ص) بذلك • وكان حديثه لسفراء قريش لم لا تمكثونا من البيت نظوف به ؟ فاجابه احدهم « والله لا يتحدث العرب اننا أخذنا ضغطة » • ولكن لك ما تريده في العام القابل ثم تم الامر على الصلح لترك القتال وان توضع الحرب عشر سنين وان يأمن بعضهم بعضا وان يرجع المصطفى عنهم عامهم هذا ويأتي في العام القابل ويخلوا له مكة ثلاثة أيام والا يدخلوا الا بالسيوف في قرابها وعلى انه لا يأتيه رجل وان كان على دين الاسلام الا رده اليهم والا يردوا اليه من جاءهم من عنده ومن اراد ان يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل • ومن اراد الدخول في عهد قريش دخل فيه ولما تم الامر ولم يبق الا كتابة المعاهدة وثب عمر بن الخطاب فجاء الى ابي بكر وقال له : « اليس هو برسول الله ؟ قال : بلى ! قال : أو لسنا بمسلمين ؟ قال بلى ! قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ فقال أبو بكر يا عمر انه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بفرزه حتى تموت فاني اشهد انه رسول الله • وهذا مثل رائع من أمثلة مقاصد الحج أراد النبي بالعمرة اظهار قوة الاسلام وجمع المسلمين في مؤتمر عام في أقدس بقعة ليري قريشا قوة الاسلام وعزه وليجعل من ذلك فرصة الانضمام أكبر عدد من قريش مكة والعرب حولها • ووقفت قريش تدافع عن كيانها وتواقف الفريقان وانتهى الخلاف باعتراف قريش بقوة الاسلام وعقدت معاهدة بين الطرفين وادرك المسلمون بعد نظر النبي في هذه العمرة •

لقد قصد الشارع بالحج ان يكون ملتقى المسلمين من سائر اقطار العالم الاسلامي في مؤتمر عام يتباحثون به في شؤونهم ويقوم خطبائهم وشعراؤهم وادباؤهم بعرض آرائهم في الادب والسياسة والاجتماع ويطلع بعضهم بعضا على أحوال الامم الشاسعة البعيدة ويبنون ما عليه هذه الامم من

العادات والاخلاق ويتجاوزون هذا الى ابعد من ذلك فان العصر عصر العلم والطب والفلك والاختراعات والاكتشافات عصر المبادئ المختلفة والموجهة قواها لمحاربة الاسلام انه عصر الفضاء والذرة وعصر القضاء على الاستعمار انه عصر الشعوب وحق تقرير المصير والشأن كل الشأن للسياسة المتليفة والدعاية القوية التي تؤثر في الاسماع وتصل الى القلوب فتكتسب الاصدقاء والاسواق التجارية وتغزو المناطق الاقتصادية ان الاجتماع والتشاور في الامور العامة والخاصة للمسلمين المقصد الاول من الحج •

ان على المسلمين ان يعلموا ان الحج ليس هو الفريضة الاخيرة التي ينتظرون أداءها عند اقترابهم من حافات القبور انها من أول الفرائض لوضع خطوط المستقبل ولتكوين الكيان الاجتماعي والسياسي فهي ان فرضت على المسلمين فانها لم تفرض الا على ذوى الاستطاعة والمقدرة وان الاستطاعة لا تقدر بالمال فقط • ان الاستطاعة هي القوة والفتوة والشباب ان الاستطاعة بالعلم والفكر هي المقصود من الحج ولو علم المسلمون مناسكه ما هي الا وسائل للاجتماع لما تأخرت بهم الحال الى هذا الوضع ولو تداول المسلمون أمرهم لما باع جهال فلسطين أرضهم لليهود ولما قدر الاستعمار ان يساعد الصهيونية العالمية فتثبت أقدامها في أرضنا المقدسة ولما بقى مليون عربي سبعة عشر عاما في العراء يفتك بهم الجوع وتناوب عليهم قساوة الحر والبرد فتفيض اعينهم من الدمع حزنا على ملك مضاع لم يحافظوا مثل الرجال عليه •

نظام الحكم في عهد النبوة

كان عهد النبوة عهد الوحي الالهي وكان نظام الحكم ساريا وفق ما تراه السماء في تكوين مجتمع فاضل يستطيع حمل الرسالة على وجهها الاكمل وكان البت في الامور يستند الى القرآن الذي كان الفيصل الاول في القضايا بأجمعها ومصداق ذلك ما جاء في الآية الكريمة - وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون •

وجاء في آية أخرى - ان الله يأمر بالعدل والاحسان - وفي أخرى ولا يجرمنكم شأن قوم على الا تعدلوا - •
وفي آية أخرى - يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين - •
ومع هذا كله فلقد كان المبدأ الاول في نظام الحكم كرامة الانسان واعلان حقوقه فيما جاءت به هذه الآية - ولقد كرمتنا بنى آدم وحملناهم في

البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا -

ومن هذه المبادئ التي تؤمن بالعدل وكرامة الانسان انبثقت شريعة عادلة حفظت حقوق الناس في الحرية والمساواة والعدل والاخاء وانعدام الطبقات وحررت شعوبا من الوثنية وانبثت حضارة يحفظها الامن والاطمئنان على الانفس والاموال والتمرات وحالت دون استغلال الفرد لآخيه واستت مجتمعا شعاره - الكل للفرد والفرد للكل - المؤمن للمؤمن كالبنين يشد بعضه بعضا - وانطلقت طاقات الابداع في الامة العربية في مجالات العلم والادب والفن والصناعات وطفقت المجتمعات البشرية في كل وحدة من وحداتها تشد مثل هذه الكرامة التي استهل بها الاسلام عهده وكانت الشورى ابرز مظاهر نظام الحكم في هذا العهد - وشاورهم في الامر - فكان لمحمد - ص - مجلس شورى وكان أعضاء هذا المجلس يدعون النقباء منهم أبو بكر وعمر وعلي وحزمة وجعفر وابن مسعود وحذيفة بن اليمان وابو ذر والمقداد وكان أبو بكر يسمى وزيراً وهو أول لقب في الاسلام ظهر في نظام الحكم وكان لبيت المال موكلون يكتبون وارده فكان كعب بن عمر صاحب المغانم وكان حذيفة بن اليمان يحرص النخل وكان العلاء بن عتبة يكتب بين الناس في مياهم ودورهم وكان له ديوان يشبه ديوان الخارجية وكان عبدالله بن الارقم صاحب هذا الديوان يتلقى رسائل الملوك ويوجب عنها وكان له ديوان أشبه بديوان العدل ويقوم بهذا العمل المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات وديوان يشبه ديوان الاعلام والارشاد يقوم بالدفاع عن الدعوة وكان يقوم بذلك شاعره حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك يستقبلون الوفود ويجيبونهم عن التنافر والتفاخر والتكاثر وكان للنبي ديوان اشبه بديوان الترجمة ويقوم بذلك زيد ابن ثابت يترجم عن الفارسية والرومية والقبطية والحبشية والعبرية وقد عين الرسول الولاة وعين لهم الاجر وكان أجر والي مكة في زمن النبي ثلاثين درهما في الشهر وكان النبي يختار الولاة ويرسلهم الى أرجاء الجزيرة ولا يقع اختياره الا على الرجل القوى الامين الذي يتحمل المسؤولية وبيت في

الامور على وجهها الصحيح ولا يخشى في الله لومة لائم • أرسل معاذ بن جبل واليا على اليمن فقال له : - بم تقضي يا معاذ ان عرض لك قضاء ؟ قال اقضي بما في كتاب الله • قال فان لم يكن في كتاب الله قال اقضي بما قضى به الرسول ، قال فان لم يكن فيما قضى به الرسول قال اجتهد رأى ولا آلو • قال معاذ ف ضرب صدرى وقال : الحمد لله الذى وفق الرسول لما يرضى الله ورسوله - •

وجاء أبو ذر يبغى وظيفة يقوم بها • فقال : يا رسول الله الاستعملني ؟ ف ضرب بيده على منكبي ثم قال : يا أبا ذر انك ضعيف وانها امانة ويوم القيامة خزي وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها - •

وهكذا تجد أن الرسول لا يرى في الولاية غير تكليف كبير لا يمكن ان يحمله الا على من كان أهلا له ، فان الكفاية هي حسب المرء ونسبه وكان يقول اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فرفق به • وفي صحيح مسلم ما من عبد يسترعه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش رعيته الا حرم الله عليه الجنة ، وفي هذا الحذر الشديد والاختيار الدقيق كان النبي (ص) يتوخى ان تكون صلة الوالي مع رعيته صلة الاب بالابناء يرعاهم ويحذب عليهم ويقوم بشؤونهم على وجه أتم وعدل أشمل ولم يكن في عهد النبوة بيت للمال تجمع به الاموال والغنائم فاذا اصاب القوم مغنا فهو مقسم بين ابناء الامة ينال منه الجميع على تفاوت اقدارهم في خدمة الامة : للفارس نصيبان وللراجل نصيب وللإيم الارملة نصيب والمقعد والعاجز لا يغادر منهم صغيرا ولا كبيرا الا اعطاه حقه ولم يكن للمال مشكلة بينهم بل كانت القاعدة الاصولية هي التي تحل المشكلة وهي - ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة •

وأما الجيش فكان النبي (ص) يقسم الالوية لمن يشاء وكان له لواء أسود وفيه هلال ابيض وقد دون الرجال في ديوان خاص فاذا نادى للزحف تبعه المقاتلة ومن تخلف منهم كان ينظر في أمره فان كان تخلفه عن عذر لأمه النبي وان كان تخلفه عن عمد قاطعه الجماعة واجتنبوه ولا يكلمه أحد

وكانت الشريعة تنزل على محمد (ص) بطريقة الوحي فاذا أراد تقرير أمر اجتماعي أو سياسي انتظر نزول الوحي حتى اذا نزل أمر كتابه أن يضيفوه الى القرآن وقد يكون تقرير الامر عن طريق الحديث النبوي أو الفعل الذي يقوم به ويكون كل ذلك شريعة ومنهاجا وأول ما توجهت اليه عناية الرسول هو توحيد صفوف الامة داخل الجزيرة فاتخذ سياسة حكيمة باستقبال الوفود من أرجاء البلاد وادخل في روعهم انه بشر مثلهم - انما أنا بشر مثلكم - فل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء - ♦

وانه قد أعد نفسه لاستقبالهم واجابة مطالبهم وشرح الشريعة الاسلامية بما يشرح صدورهم فاقبلت عليه وفود القبائل من كندة ونجران وقضاعة والبحرين وكان يحادثهم ويتبسط في القول ويسمع آراءهم ويصغي الى ما يبسطونه من القول في عقائدهم وما انصرف عنه وفد الا والايمان يملأ قلوبهم بان عهدا جديدا ينتظر الجزيرة العربية ويعم العالم أجمع ♦ ومن هذه الوفود - وفد تجيب - وهي قبيلة من كنده وكان عددهم ثلاثة عشر رجلا ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم ففرح رسول الله بهم وأكرم مثنوهم وقالوا يا رسول الله انا سقنا اليك حق الله فقال لهم ردوها فأقسموها على فقرائكم : قالوا ما قدمنا عليك الا بما فضل من فقرائنا ♦ فقال أبو بكر : يا رسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال الرسول : ان الهدى بيد الله عزوجل فمن أراد الله به خيرا شرح صدره للدين ♦

وأخذ الوفد يسألونه عن القرآن والسنن ففرح بهم وبقوة ايمانهم ♦ ولما أرادوا الرجوع الى أهليهم جاءوا اليه فودعوه ثم ارسل اليهم بلال الحبشي وأجازهم بارفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال الرسول هل بقي منكم أحد؟ فقالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو احدثنا سنا ♦ فقال : ارسلوه الينا فأقبل الغلام وقال : يا رسول اني من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي ♦♦ فقال الرسول ما هي حاجتك فقال والله ما أخرجني الا ان تسأل الله ان يغفر لي ويرحمني ويجعل غنائني في قلبي

فقال الرسول : اللهم اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بمثل
ما أمر لكل رجل من أصحابه ♦

هذا وقد جاء ليهتدي وجاء بالهدايا باسم الصدقات للفقراء والمساكين
ففرح النبي بهم وبهداياهم ولكنه طلب منهم ان يعيدوها الى فقرائهم فأكدوا
للنبي (ص) انها مما فضل عن الفقراء وانهم تركوهم لم يحتاجوا هذا
العام ♦ فانظر الى هذا المجتمع الفاضل الذي كان النبي يريد ان يكونه وقد
فعل وأيده الله فقد كانت النظرة الاولى فيه لكرامة الانسان وللفقراء من
بني آدم وايجاد التحابب بين الاغنياء والفقراء كي لا يكون هناك حقد
وحسد ولكي تثبت عقيدة الاسلام التي جاءت بالمساواة والاخاء والمحبة وقد
زودهم النبي (ص) بالجوائز كما تفعل الملوك حين تفد اليها الوفود ليتألف
قلوبهم ويجمعهم على الكلمة الواحدة كلمة التوحيد ليجعل من الجزيرة
العربية قوة متماسكة تستطيع ان تحمل رسالة الاسلام الى العالم واضحة
صريحة وتستطيع ان تدافع عنها ♦

الْقُرْآنُ

القرآن هو دستور الاسلام ونظام الحكم في عهد النبوة وصدر
الاسلام ومنبع الشريعة الاسلامية فيما بعد أنزل على محمد (ص) وجاء
به الروح الامين جبريل من عند الله سبحانه وتعالى في مئة واربع عشرة
سورة تحتوي على ستة آلاف ومئتين وثلاثين آية تشتمل على سبع وسبعين
ألفا وتسعمئة واربع وثلاثين كلمة مكونة هذه الكلمات من ثلاثمئة ألف
وثلاثة وعشرين ألفا وستمئة وواحد وعشرين حرفا . أحكمت آياته ثم
فصلت من لدن حكيم خبير معجزة النبوة في الفصاحة والبيان والمثل الاعلى
في سمو الاسلوب وسبك الآيات وتوافق جرس الكلمات سوره التي نزلت
بمكة جاءت قصيرة موجزة جامعة باسلوب بديع مسجع داعية وموجهة الى
وحدانية الله وصفاته ، محذرة ومنذرة الغرض الاول منها دعوة المشركين
الى الايمان وتبصرة المسلمين في انفسهم وفي خلق السموات والارض
وحثهم على الالتفاف حول الرسول والايمان بالله ورسوله والبشرى بالجنة

والتخويف من النار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وضمان المستقبل في الدنيا والآخرة • وقد نزل القرآن منجما في ثلاث وعشرين سنة منها ثلاث عشرة سنة في مكة نزل اثناءها نحو من ثلاث وتسعين سورة • وعشر سنوات في المدينة نزلت فيها السور الباقية وكانت آيات القرآن تنزل متفرقة حسب مقتضيات الاحوال وما يتطلبه تكوين المجتمع الاسلامي وسميت هذه الاحوال باسباب النزول واذا كانت الآيات المكية اتخذت سبيلها في الدلالة على وحدانية الله وصفاته فان الآيات المدنية كانت طوالا وكان أسلوبها متسلسلا ليس فيه من السجع مثل ما تجده في الآية المكية وبين العهدين اختلاف كبير فالعهد المكّي كان يستند الى المحاجة ونشر الدعوة وضرب الامثال والتنديد بالاونان والابتعاد عن عبادة الاصنام أما العهد المدني فكان عهد استقرار قويته فيه شوكة الاسلام واتجه الى التشريع وتثبيت نظام المجتمع فتحدت بذلك أركان الصلاة ووضعت مناسك الحج وشرعت حقوق الاسرة في الميراث والزواج والطلاق واعتاق العبيد ووضعت قواعد المعاملات المدنية وشرعت الحدود الجنائية في السرقة والقتل والزنى والخروج على النظام العام وحرم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ولعب القمار وتعاطي الربا ووضعت الاحكام المتعلقة في الغزوات والحروب وتنظيم المغانم وقسمتها وفروض الزكاة وتبع ذلك معاملة العبد واليتيم وابن السبيل في رفق ولين •

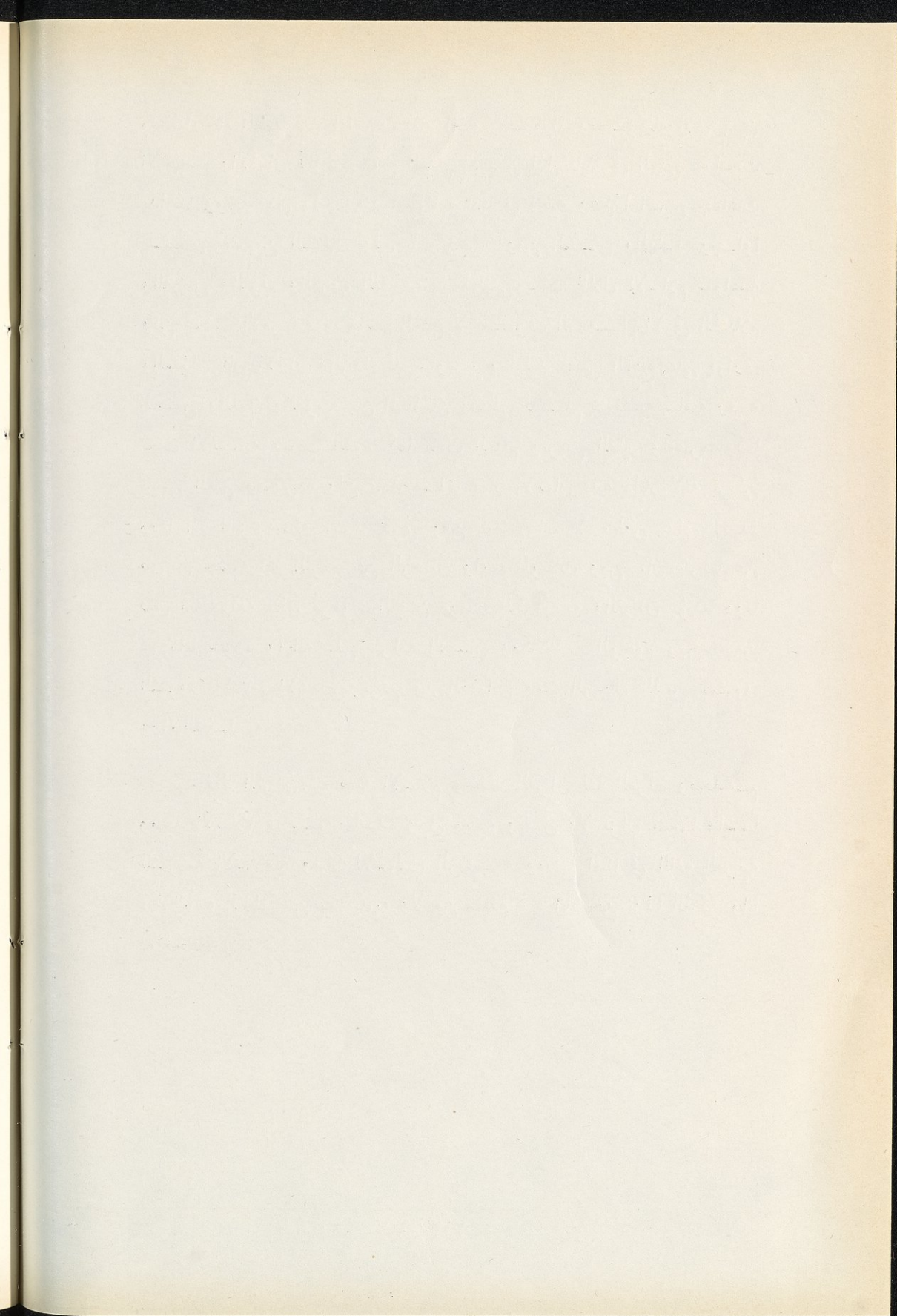
وكان صحابة رسول الله يحفظون القرآن عن ظهر قلب كما كان الكتاب يكتبون لرسول الله بعد الفراغ من الوحي ويشتونه على عصب النخل والحجارة البيضاء وقد أعلن ختامه في السنة العاشرة من الهجرة وقبل وفاة النبي بثلاثة اشهر وتم جمعه وتدوينه اثر غزوة اليمامة حيث قتل من قرائه سبعون حافظا ففزع المسلمون واشفقوا ان يذهب القرآن بنهاب حفظته فجاء عمر الى ابي بكر وطلب منه ان يجمعه قبل ان تذهب به حوادث الايام فتردد ابو بكر وقال : « كيف افعل أمرا لم يفعله رسول الله ولم يعهد الينا فيه عهدا » وتم الرأى بعد ذلك على جمعه وعهد بالامر الى زيد بن ثابت وكان أحد كتاب الوحي فجمعه من المكتوب في العصب

والحجارة وصدور الحفاظ وجعله صحفاً أودعت عند ابي بكر ثم عند عمر من بعده ثم كانت هذه الصحف عند حفصة بنت عمر زوج النبي (ص) وفي سنة ثلاثين من الهجرة الموافقة لعام ستمئة وخمسين ميلادية أمر الخليفة عثمان بن عفان أن يكتب بلغة قريش حيث نزل بها في سبع نسخ وبعث الى كل أفق بواحدة منها أرسل الى مكة والشام والكوفة والبصرة والبحرين ووضع نسخة في المدينة وهي مصحفه المسمى بالامام • وكان ذلك مصداقاً لقوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » •

وكان لاسلوب القرآن السامي أثر بليغ في تهذيب لغة العرب وهو على ما هو عليه من سلاسة اللفظ وتوافق نغم العبارة ودقة الاداء وثروة المعاني وقوة المنطق يعتبر معجزة المعجزات في اللغة ويعتز الكتاب المجيدون في ان ينظموا درة من درره في أساليبهم وكتاباتهم فاذا وفقوا الى ذلك كانت فاصلة من فواصل الحكم والجمال في العبارة • واذا رتل ترتيلاً بمخارج حروفه وتلاحق الفاظه وتجويد آياته أثر في النفس تأثيراً عميقاً فتسمو الانفس بمعانيه وتلطف بمواعظه وارشاده وتنصاع لاحكامه والقرآن على رفعة مكانته بين قلوب المسلمين يعتبر ثروة أدبية كبرى حفظت لغة العرب من الضياع رغم الحوادث التي مرت على الامم الاسلامية ففرقتها أيدي سبا ومزقت وحدتها الفكرية بل لا يزال هو الحارس الامين على التفاهم بين الامم العربية التي تفصل بينها البحار والجبال والحواجز التي احدثتها فعائل الامم الغازية والطامعة ولولا القرآن لاصبحت لغة العرب لهجسات ظلت تتباعد حتى صارت لغات مستقلة بعضها عن بعض فاذا صعب اليوم على العراقي ان يفهم لهجة أخيه المراكشي والجزائري في الكلام والحديث فانه لا يصعب عليه أن يفهم لغة الكتابة التي يكتبان بها لانها لغة القرآن والقرآن بعد ذلك كله صار فيما بعد منهلاً عذبا واسعا للتشريع الاسلامي اذ ان أحكام الشريعة الاسلامية مهما تعددت فيها الآراء وتشعب الاجتهاد في فروعها فان أصولها ثابتة في ثنايا آياته وسوره • ولقد بلغ القرآن الذروة في غاياته ومقاصده في تشريع الحج فهياً للدعوة الاسلامية أن تقوى وتنتشر

وتعم أرجاء المعمورة بما اوجده من اخاء ومساواة ومحو للفوارق بين
الاجناس والالوان فالزنجي أخ المسلم الابيض اذا تقابلا في الحج تصافحت
يدهما ووجد كل واحد منهما عوناً صادقاً في أخيه وهكذا أصبح جماعات
المسلمين تفد من السنغال وليبيريا وزيجريا ومن الصين والهند وجاوا
والفرس والترك والعرب الفقير منهم والغني تحت ظلال الاسلام سواسية
ومن عجب الامر انه في موسم الحج لا تعرف الرجل الا في الكلام
والسؤال فان الازار والرداء قد ساويا بينهما لقد قضى الحج على فوارق
الجنس واللون والقومية بين المسلمين واعطى للمسلم شخصية سامية رفيعة
تحب الانسانية وتحب القوة كما تحب السلم وترعى الفقير وتحترمه كما
ترعى الغني وتحترمه ولن تجد مسلماً يملأ الايمان قلبه ذليلاً لانه يركن
دوما الى العزة حيث ايمانه قوي ومن يخش الله لا يخش عباده أبداً
فان في خشية الله الترفع عن الرذائل وايتاء الموبقات ومن كان مترفعاً عن
فعل ذلك كله يظل مرفوع الجبين موفور الكرامة • والقرآن يؤكد دوماً
في ثنايا سوره وآياته على كرامة الانسان ومكانته في الوجود ويحذر من
الشرور واساءة الاعمال ويرفع من الفضائل وقيم الرجال الذين يمشون
وراء الفضيلة •

حفظ القرآن شخصية الاسلام وحفظ القرآن لغة العرب ومجدهم
ومجد الاسلام في سمو مقاصده ونبل معانيه وظل ولا يزال منبعاً فياضاً
لشريعة الاسلامية ومثلاً للاساليب الراقية ومعلماً أميناً في اللغة العربية
« لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » « انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون » •



القرآن يربني شخصياً المسلم

القرآن الكريم هو كتاب الله العظيم الذي أنزل على نبي محمد صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة في شهر رمضان المبارك سنة 10 من الهجرة النبوية. وهو الكتاب الذي يربني شخصياً المسلم، فهو الذي يهديني إلى صراط مستقيم، ويذكرني بالله دائماً، ويحثني على فعل الخير والابتعاد عن الشر.

أشعرني القرآن بعمق عظمة الله تعالى، وبكبريائه وجلاله، وبأنه لا اله الا هو، لا يلد ولا يموت، لا ينام ولا يغيب، لا يراه بالحواس، ولا يسمعه بالآذان، ولا يحيط به بالخيال، ولا يفكر به بالقلوب، ولا يحيط به بالعلم، ولا يحيط به بالقدرة، ولا يحيط به بالجلال، ولا يحيط به بالإكرام، ولا يحيط به بالقدرة، ولا يحيط به بالجلال، ولا يحيط به بالإكرام.

أشعرني القرآن بعمق عظمة الله تعالى، وبكبريائه وجلاله، وبأنه لا اله الا هو، لا يلد ولا يموت، لا ينام ولا يغيب، لا يراه بالحواس، ولا يسمعه بالآذان، ولا يحيط به بالخيال، ولا يفكر به بالقلوب، ولا يحيط به بالعلم، ولا يحيط به بالقدرة، ولا يحيط به بالجلال، ولا يحيط به بالإكرام.

سلك القرآن في بناء شخصية الفرد سيلاً واضحاً مستنداً الى قاعدة اساسية في النظام الاجتماعي الاسلامي وهي توحيد الآله الذي يعبده المؤمن بأنه واحد لا رب سواه ولم يكن له ابن أو بنت وليس له أب أو أم وهو المقصود الاول في الحياة الدنيا والآخرة بل ليس له مثل في عالم الامكان « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » • ومن لوازم هذه القاعدة الاساسية الايمان برسوله محمد الذي أرسله الى الناس كافة ليبلغ ما أنزل اليه من هذه الآيات الكريمة التي تتضمن شريعة تهدف الى اسعاد مجتمع • ولكي تثبت هذه العقيدة اتخذ القرآن وسيلة الترهيب والترغيب وضرب الامثال وحكاية القصص عن الغابرين في صدر الدعوة الاسلامية فكانت السور المكية تتجه الى وعيد المشركين الذين يعادون النبي ويسعون في الفساد بين الناس والذين لا يطعمون الفقراء ولا يحثون الناس على اطعامهم ويضمرون الشر ويمنعون المنافع ولا يقيمون الصلاة

في جد واهتمام وبعبارة أخرى لم يتمكن الايمان من قلوبهم والذين لا يصدقون بيوم الدين والذين يطعنون في أعراض الناس ويمشون بالنميمة ويعتزون بأموالهم ويتفاخرون ويتكاثرون بها وباولادهم والذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون واذا اعطوهم نقصوا الكيل والميزان هؤلاء ومن يقتدي بهم لن يتكون منهم مجتمع فاضل ان هؤلاء لهم كتاب مرقوم ولن يستطيعوا أن يكذبوا هذا الكتاب لانه ثابت وموجود في اليوم الآخر وسوف يقدم لهم ويقال لهم هذا الذي كنتم به تكذبون •

شدد القرآن في بناء الشخصية على التبكيك بهذه الصفات الفاسدة ليعبد عنها المؤمن المنتظر وهدد الفرد بالقارعة التي تفرع قلوب الناس يوم القيامة يوم يصيرون حيارى ضعفاء لا يدرون ما يفعلون كأنهم الفراش المنتشر الذي لا يعي كيف يقع في اللهب ويزداد في تهويل يوم الحساب الذي تنفتت فيه الجبال الراسخة وتتطاير ذراتها تطاير شعرات الصوف المنفوش في مهاب الرياح في هذا اليوم يكون مقر ضعاف النفوس في الدنيا المتمرغين على اقدام الاصنام الذين يعبدون الحجارة المنحوتة ويسعون في الارض فسادا ويشركون بالله الهاوية هذه الهاوية التي لا قرار لها والتي ليست غير نار حامية •

ويقرع اسماعهم « بالحقاقه » « والواقعة » ويصف هول القيامة وصفا مربعا في يوم زلزال الارض وتشققها يوم تخرج ائقالتها من الموتى ويأخذ هؤلاء يسأل بعضهم بعضا عن هذا الحادث الجلل عند ذلك تجيبهم الارض عن اخبارها وتنطق ان ربك اوحى لها ان تشقق ليخرج الناس سراعا ليروا أعمالهم فيرى صاحب الخير عمله ولو كان ذرة ويرى صاحب الشر عمله مهما صغر ويزيد القرآن في التهويل باختلال نظام الكون واصطفاق الشمس بالقمر وانهار الكون الشمسي من أوله الى آخره وزوال عالم الامكان واذا زال عالم الامكان تبدلت المقاييس وصار بصر الفرد حديدا فيرى الحقيقة الواضحة يومئذ لا ينفع الندم ويستمر القرآن في التهديد والوعيد لمن يتمادي في ارتكاب الذنوب طوال حياته ويؤكد مقسماً بالنفس اللوامة « بالضمير الحي »

الذي يؤنب صاحبه ويلومه بأن الله قادر على إعادة الانسان بل قادر على
أرجاع أدق عضو في تركيبه وهو البنان •

ويضيف القرآن الى هذا كله قصص الاقوام الذين عصوا انبياءهم
فيذكر قصة نوح مع قومه انذرهم وأمرهم ان يعبدوا الله ربهم فتمادوا في
الضلال فرجع نوح الى ربه وقال « رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم
يزددهم دعائي الا فرارا واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم في
آذانهم واستغشوا ثيابهم واصرروا واستكبروا استكبارا » ولقد وجه نوح
افكار قومه الى تكوينهم بقدره الله من طور الى طور ولفت نظرهم الى كيفية
خلق الله السموات وجعل القمر منيرا في هذا العلو الشاهق والشمس سراجا
وهاجا ثم تعمق نوح معهم وبين لهم ان اصلهم من هذه الارض انتهم الله
فيها نباتا ثم يعيدهم ويخرجهم منها اخراجا وقد بذل نوح جهدا عنيفا مع
قومه فتمادوا في العصيان فلم يجد بدا ان يتجه الى الله ويقول : « رب انهم
عصوني واتبعوا من لم يزدده ماله وولده الا خسارا » وظلوا عاكفين على عبادة
اصنامهم لا ينفكون عن التمرغ على أقدام « يغوث ويعوق ونسرا » ولم
يكتفوا بذلك لانفسهم بل اضلوا كثيرا غيرهم • رب لا تذر على الارض منهم
أحدا •

ضرب القرآن هذا المثل من الامم الغابرة يبين علاقة النبوة في تكوين
المجتمع ومركز محمد من رسالته في ايجاد مجتمع فاضل وعطف القول على
اولئك المؤمنين الذين ينضون تحت لواء الاسلام والذين أثار الايمان قلوبهم
والذين لا يسعون في الارض فسادا والذين اذا مروا باللغو مروا كراما
فيكرمهم ويرفع شأنهم فهم الابرار في عليين الكتاب المرقوم الذي تشهده
الملائكة وهو السجل الذي تسجل به الاعمال الصالحة والمآثر الخالدة
لعباد الله الصالحين الذين منهم يتكون المجتمع الفاضل فيعمرون الارض
ويملؤها عدلا ومحبة واهاء اولئك الذين لهم جنة نعيم على الارائك ينظرون
تعرف في وجوههم نظرة النعيم من رحيق مختوم وهم متكئون على الارائك
لا يرون في الجنة شمسا ولا زمهريرا دانية عليهم ظلال الجنة يطاف عليهم

بآنية من فضة ويلبسون حلالا فاخرة من سندس خضر واستبرق • وفي هذا الوصف البديع يبرز القرآن مكانة الشخص الفاضل •

في هذا الوعد والوعيد وفي تهويل يوم القيامة ولقت نظر الانسان الى أسرار التكوين والخلق ومشاهد الطبيعة والتذكير بالامم الخالية التي لم تطع رسلها وبيان ما يناله اهل النار في الدرك الاسفل من الهاوية وما يناله المؤمن الصابر المحتسب الذي يشع نور الايمان في قلبه من نعيم مقيم في ظلال الجنة يقصد القرآن الى خلق المؤمن الصادق الصالح للمجتمع والى ايجاد ضمير حي في تكوين الانسان يريد ان يخلق نفسا لوامة تلوم صاحبها عند الخطأ وتكرمه عند الصواب هذه النفس اللوامة التي قصد القرآن الى ايجادها للمؤمن الصادق هي الشرطي الذي يقف من المؤمن موقف الحارس الامين يلومه على الخطأ ويثيبه على الصواب هذه النفس اللوامة أو الضمير الحي التي ربها الاسلام بين جوانح المؤمنين أغنت نظام الحكم في عهد النبوة عن تكوين جهاز الشرطة ورجال الامن فشخصية المؤمن عالية لانه يرى الكرامة في الدنيا بقوة الايمان وينظر العزة في الآخرة فهو بين الابرار والشهداء والصديقين وفي هذا التكوين النفسي البديع نبت المجتمع الاسلامي الفاضل وصار المؤمن قدوة في المثل العليا فدخل الناس في دين الله افواجا وبعد ان استطاع القرآن ايجاد الضمير الحي أو النفس اللوامة الحارسة على سلوك المؤمن في الحياة الدنيا التفت الى هذا الانسان الفاضل فتوجه بالايات الكريمة « ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » • وبذلك اكتملت شخصية الفرد المسلم بعد ان ضمن له القرآن كرامته في الوجود واعلن حقوقه كاملة غير منقوصة ، فهو الفاضل على كثير من المخلوقات في هذا الكون وهو الذي ينال الطيبات وهو الذي يضرب في الارض برا وبحرا بحرية كاملة وهو الذي يتصرف بما حوله من الوجود في نطاق تلك القيود التي لاتعدو مصالحه والصالح العام فالانسان المؤمن في نظر القرآن انسان حر كريم مبدع لا يتخذ له غير أخوة مثله مبدعين انه مع الابرار والشهداء والصديقين انه لا يمكن ان

يسير مع الهدامين انه مؤمن وهو أخ المؤمن يشد أزره ويعينه على صعب
الحياة انه يحمل العقيدة في قلبه ويدفع عنها بلسانه وينذب عن حياضها انه
راع في بيته راع في عمله انه مسؤول عن أية رعية يرعاها لانه كريم على
الله ولانه مفضل على كثير ممن اوجد الله في هذا الكون .

لقد ضرب النبي (ص) مثلا ساميا في تكوين المجتمع حيث بدأ في تربية
شخصية أصحابه الذين يعملون معه وتربية المؤمن الصادق وبذلك استطاع
ان يبرز النفس الانسانية فبرزت كرامة الانسان .

القرآن والأسرة

بعد ان فرغ القرآن الكريم من تكوين شخصية الفرد ووثق صلته
بخالق الكون وربى فيه ضميرا حيا وجعل هذا الضمير الحي رقيبا عتيدا
عليه يلومه على الخطأ ويثيبه على الصواب انتقل الى تكوين الاسرة وبدأ
بصلة الولد بوالديه لان الوالدين هما ركن الاسرة والولد ثمرة جديدة
تمد الكون بالحياة ، على نسبة ما بين القديم والحديث من تباين في استقبال
الحوادث شرع القرآن تنظيم الصلة بين ركني الاسرة وما ينتج عنهما برفق
ولين فأوصى الولد أن يحسن الى والديه واذا أوصى القرآن فان في وصيته
تشريعا يستند الى ثواب وعقاب قد يكون في الجنة والنار احيانا و احيانا في
اقامة الحدود وفي كلتا الحالتين وضع القرآن أوامره ونواهيه وقد يعلل هذه
الاوامر والنواهي أو يتركها مجملة ولكنها مفهومه وفي وصية الولد بأحسانه
الى أبويه ذكره ان الام حملته في جهد ومشقة ووضعتة في جهد ومشقة وتعبت
فيه مدة الحمل والفصال لثلاثين شهرا واستمرت في تربيته الى ان بلغ أشده

وتركه القرآن فيما بعد ذلك الى أن بلغ اربعين عاما : « حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب اوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وان أعمل صالحا ترضاه واصلح لي من ذريتي اني تبث اليك واني من المسلمين ، اولئك الذين تتقبل منهم أحسن ما عملوا وتتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون » ♦

« والذي قال لوالديه : اف لكما اتعداني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان ويالك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين » ♦

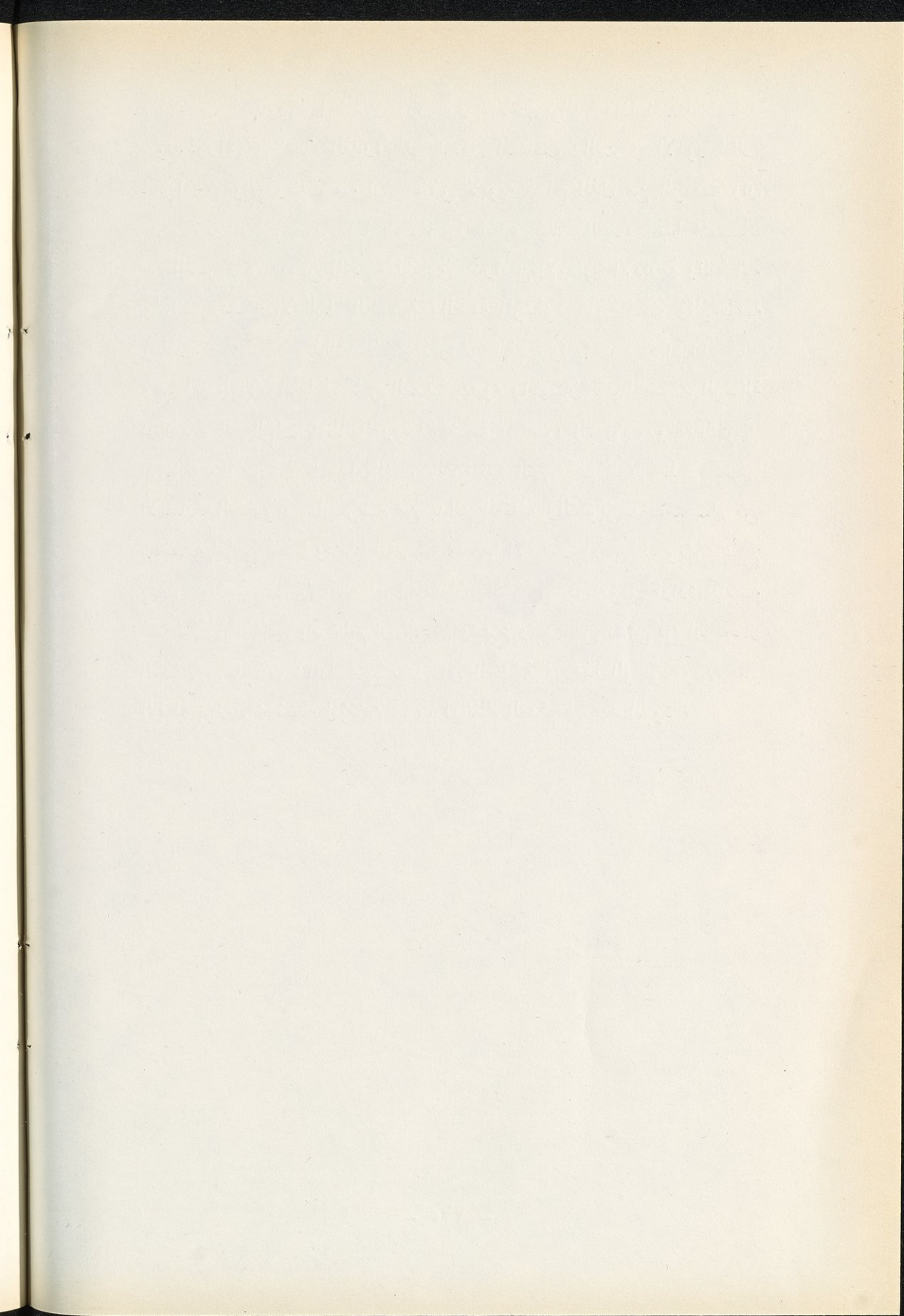
ما كان تشريع القرآن منصبا على البر بالوالدين والانفاق عليهما واعانتتهما على تحمل اعباء الحياة لانهما احاطاه بعنايتهما وسهرا عليه الليالي وتعب الاب في العمل وتعبت الام في الحضانه ، كلا ! لم يكن هذا المقصود من هذا التشريع انما كان التشريع يرمي الى ابعاد من ذلك كله ، انه يرمي الى ايجاد اسرة مؤمنة طيبة لها شخصية اسلامية فالولد ثمرة جديدة في الحياة له انطباعه الخاص الذي يمشي معه في نموه وتكامله وهو في طور الطفولة غيره في طور المراهقة وغيره في طور الرجولة انه يختلف عن أبويه اللذين خلقا في جيل غير جيله وعاشا عيشة تختلف عن عيشته وهما مختلفان في البنية مختلفان في التفكير انه شاب يتدفق حيوية وقد يكونان شيخين لحب جنباهما واحدودب ظهراهما وقد لا يكونان كذلك ومهما يكن من أمر فهما مختلفان في استقبال مشاهد الحياة والاخذ عنها ♦

وفي ظهور الاسلام برزت هذه الاختلافات في الاسرة الواحدة فقد يؤمن الابوان ويستمر الولد على شركه وقد يؤمن الولد ويستمر الابوان على شركهما ومن هذه النافذة سلك القرآن في تشريعه مسلك الايحاء بالاحسان الى الوالدين فاذا آمن الابوان والولد لا يزال مشركا طلب القرآن برفق ان يحسن الى أبويه وان خالفاه في عقيدته وايمانه الى ان يتبين له الامر وتنضج عنده الفكر ويصبح رب أسرة ويبلغ سنا تؤهله أن يميز الصحيح من الخطأ

ويعطي حكما صادقا وقد أوصلها القرآن الى سن الاربعين وهي سن الكهولة
ونضح الرجولة بل سن النبوة • سلك القرآن مسلك الرفق في هذه الوجهة
من التشريع لان الامر مقصور على الاسرة لا يتعداها الى حقوق شخص
ثالث غريب عنها وان الرابطة بين الولد والوالدين أساسها السبب الظاهر في
وجود الولد وأساسها قوة وضعف من جهة الولد وضعف من جهة الوالدين
وقرن هذا النوع من المعاملة أو الصلة بعبادة الرب وفصل ذلك بآيات أخرى
«وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما
أو كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما » فالاحسان
الى الوالدين مقرون في المثل بعبادة الرب وقد وضع القرآن حدودا للشرك
هي عقوبة الجحيم واثار من طرف خفي الى ان من يسيء الى أبويه
عقابه عقاب المشرك الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولم يتخذ القرآن سبيل
القسر ووضع الحد في هذه الصلة العظيمة حفظا لتربية الشخصية واستقلال
الرأي وافساح المجال لمواهب الثمرة الجديدة أن تبرز فالوالد لا يقسر ولده
على أمر وانما يكتفي أن يبين له ذلك ويضعه بين يديه ولا يتعدى أن يقول
له في سياق الجدل والمناقشة عن العقيدة اكثر من قوله « ويلك آمن » ثم
يترك له الحكم والتصرف في الامور وقد يكون الاب قويا عنيفا فينتج عن قسره
ولده كبت مواهبه ومحو شخصيته وهذا مما لا يريده القرآن الذي وجه
عنايته لتربية شخصية المؤمن • وقد فصل ذلك في محاوراة لقمان لابنه وهو
يعظه ويقول له : « يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » وطلب منه
اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والا يتكبر وان يخفض
صوته عند الكلام ولا يختال في مشيته متبخترا ثم يلفت نظره الى الكون
وما بث الله فيه من عجائب المخلوقات ليرجع عن غيه ويشوب الى رشده وليعلم
انه سوف تمر عليه في حياته حالات الضعف كما مرت عليه حالات النشاط
في عنفوان شبابه •

فكل ما يقصده القرآن ايجاد اسرة مؤدبة مؤمنة مرتكزة على المحبة
والرحمة ومتى ارتكزت الاسرة على هذه الاصول الانسانية فلا حاجة لعقاب

ولا حاجة لحدود فاذا ضعف الاب رفق الابن بوالده واذا اشتد ساعد
الولد ورأى في نفسه القدرة على تحمل المصاعب والبت في الامور لطف
القرآن عنفوانه وطلب منه ان يخفض لابويه جناح الذل من الرحمة وان
يدعو ربه ان يرحمها كما رحماه ورياه • سلك القرآن هذا المسلك
من التشريع في تكوين المجتمع ليتفادى كثيرا من الاجهزة الادارية والقضائية
وليكتفي بسمو الاخلاق الكريمة والصلة المرتكزة على المحبة والرحمة
وخاصة في الاسرة وبذلك خفض كثيرا من الاعباء والواجبات في اداء الرسالة
وهيأ لها مجالا واسعا في نشر العقيدة بهدوء واطمئنان لقد انتصرت الرسالة
المحمدية على الذات باعطائها دروسا واضحة في تصور الوجود • ووجه النفوس
الى القوة الجبارة فيما وراء الغيب تلك القوة التي ترغم الكائن الحي على
الانقياد والخضوع بما تعرضه من بدائع الخلق والتكوين وتجعل من
شخصية المؤمن قاضيا ومنفذاً للشريعة في هذا الاسلوب الأدبي لتكوين مجتمع
أفضل ، استطاعت الرسالة المحمدية ان تخلق في كل مؤمن ارادة كامنة
تستطيع أن تضحي وتستطيع ان تتحكم وتبدع وتبعث من تمكن فيه ان يجتاز
العقبات مهما كان شأنها حتى يصل الى الحقيقة في هذا الوجود ومن هذه
النقطة برزت شخصية المؤمنين في ظلال نظام الحكم في عهد النبوة •



رَوَابِطُ الْأُسْرَةِ

انتقل القرآن الى توضيح روابط الاسرة التي هي نواة المجتمع الاسلامي المنتظر والينبوع الدافق الذي يفيض بمادة الامة ابان نشأتها وبعده • ونزلت الآية الكريمة في مستهل سورة النساء : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » • كان مستهل هذه الآية دقيقا في تعبيره في وضع نواة الاسرة والاشارة الى تكوين بني الانسان من طينة واحدة خلق منها الرجل مثل ما خلق المرأة وهما مصدر الذرية وعلى هذا المصدر أن يجعل خوف الله فوق كل شيء ويحترم صلة الرحم ففي ظل هذه التقوى وفي ظل صلة الرحم تتكون الاسرة المسلمة • وهذا هو شأن القرآن يعطي الحكم ويضع القواعد ثم يشفع ذلك بالوعد والوعيد ليضمن تنفيذ التشريع • ان تشريع الاحوال الشخصية وتنفيذ التشريع ليسا بالامرين الهينين فاذا لم

يكن للمجتمع الملحد وازع سلطاني لم يستقم تشريعه أما المجتمع المؤمن فان
تشريعاته كلها تستقيم وتسير وفق ما وضعت له في ظلال رقابة الخالق •
من هذه النقطة انطلقت آيات القرآن توضح الصلات بين أفراد الاسرة
نفسها فحفظت أول ما حفظت حق اليتيم لضعفه ولكيلا يعتدي عليه أحد
ورخصت في تعدد الزوجات رخصة فيها شرط يصعب تحقيقه • فلقد رخص
القرآن أن يجمع الرجل بين زوجتين أو ثلاث زوجات أو أربع واشترط أن
يكون العدل أساس هذا الجمع فاذا لم يتحقق العدل فان الرخصة غير مباحة
وبذلك استطاع ان يحفظ كرامة البيت وكرامة الاسرة ويحرسها من الاشقاق
والحقد والعداوة •

كان الايمان في فجر الاسلام قويا فلا حاجة لوازع سلطاني ذى سيف
مسلط على رءوس الناس يتوخى العدل بين الزوجات وكان يقوم مقام
ذلك النفس اللوامة أو الضمير الحي الذي ربه محمد (ص) في نفوس القوم
وكانت تقوى الله ومخافته تدعم الضمير الحي فاذا اقدم المؤمن على استعمال
هذه الرخصة أقدم وهو واثق من نفسه ان يعدل وكانت المؤمنات في مكانة
رفيعة من الايمان والادب الاسلامي والخلق العربي من حيث خشية الله والوفاء
وكرم النفس واصالة الرأي •

أوصى الشرع باليتيم خيرا واوصى بالمرأة خيرا ووثق صلة الرحم بين
الاسرة في تشريع الارث وقسمة الاموال التي هي مصدر الخلاف والشر فحدد
نصيب المرأة زوجها وبناتها واما واختا وحدد نصيب الرجل زوجها وولدا وأبا واخا
وجدا وانتقل من هذا التحديد الى ذوى القربى الى دائرة اوسع فلم
يتركهم ولم يترك اليتامى والمساكين اذا حضروا القسمة وقوى هذه الفروض
والوصايا بأية من أروع الآيات « تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز المبين •
ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب
مهين » •

هذه الآية هي السند القوي وهي دائرة التنفيذ لهذا التشريع •

ولقد حرم القرآن ان يتزوج الولد زوج أبيه لانها بمثابة أمه وحرم الامهات والبنات والاخوات والعمات والخالات وبنات الاخ وبنات الاخت والامهات المرضعات والاخوات من الرضاعة وأم الزوجة وبناتها من زوج آخر كما حرم ان يتزوج الرجل زوج ولده حرم الجمع بين اثنين لو كانت احدهما رجلا لا يجوز له ان يتزوج بالآخرى • ثم احل القرآن ما وراء ذلك • على أن يتنقى المؤمنون ذلك باموالهم محصنين غير مسافحين •

واذا اختلف الرجل والمرأة لم يذبحا الى قاض في فجر الاسلام ولم يذبحا الى مركز شرطة ليحل الخلاف بينهما وانما يستند صلاح الاسرة الى اختيار حكم من أهله وحكم من أهلها ليدرسا الخلاف ويصلحا بينهما • « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها ان يريد اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا » فان تم الاصلاح انتهى الامر عند هذا الحد وعادت حياة الاسرة الى حالتها الطبيعية الاولى وان لم يتم ذلك جنح الفريقان الى الطلاق وقد عالج القرآن هذه الحالة علاجاً انسانياً سامياً ولم يترك المرأة ريشة في مهب الريح ولم يقيد الرجل بجعل حياته مغمورة بالالم واليأس • فالطلاق في شريعة القرآن مرتان فامسك بمعروف أو تسريح باحسان وفي هاتين المرتين يحق للرجل ان يعود الى اسرته تارة أخرى اذا عضت اسنانه اصبع الندم وقد اعطاه التشريع فترة كافية للتفكير في الامر واذا وجد الالتقاء صعباً أوقع الطلاق مرة ثالثة وعند هذا الحد ينتهى كل شيء ولن ينفع الندم حيث سدت الشريعة في وجهه كل أمل الا الامل الاخير وذلك اذا تزوجت المرأة فمات زوجها الثاني أو حدث اختلاف بينهما ففترقا وفق أصول الشريعة المرعية في القرآن ورغب المطلقان الاولان أن يعودا الى سالف حياتهما الطبيعية وبلغ بهما الندم مبلغه عند ذلك يمكن العودة حيث جرب كل منهما مصاعب الحياة واخذ درسا وعبرة من حوادث الايام •

وقد حفظ القرآن حقوق المرأة في المهر فلا يحل للرجل ان يأخذ

منه شيئاً بعد الطلاق الا اذا أرادت المرأة ان تقتدي نفسها وتخلص من عصمة الزوجية لامر يخصها عند ذلك لا شأن للشريعة بذلك ما دام الامر برضاها ♦

وقد حدد الشرع للوالدات المرضعات مدة الرضاعة بحولين كاملين وعلى الزوج أن ينفق وعالجت الشريعة حق المرأة بعد العقد وقبل الزواج ففرضت لها نصف المهر وشددت آيات القرآن على الرجال في معاملة المرأة بالامتناع عن الاكراه وبالتسريح الجميل وتلطيف الصلة بالمعروف والتفضل بالمتاع الوفير من قبل الاغنياء عند الفراق ♦ كل اولئك وضع الاسرة موضعاً يليق بكرامة الانسان ♦

وضع الاسلام بناء الاسرة على قواعد العدل والرحمة ووثق الصلات بين الولد والوالد وبين الام والبنين بين الزوج والزوجة وجعل صلة الارحام في مقدمة هذا البناء وابتعد عن كل ما يورث الحقد والحسد ♦

اذا تكاملت الاسرة في نظامها وشرعت قواعد الارتباط بين اعضائها اجتازت الدولة متاعب الخلاف واصبحت مشاكل المجتمع تحل نفسها بنفسها وبرزت الشخصية المبدعة من بين أفراد هذا المجتمع لتقول كلمة الفصل في تحديد خطوط الحياة الفاضلة ♦

لقد كان محمد (ص) مبدعاً اختارته العناية الربانية ليأخذ بيد العالم ويخلصه من الآلام والشورور وان يجنح بهم الى هذه التربية الفاضلة تربية تمكن المرء من التغلب على ذاته لكيلا يندم عندما يضحي لغيره ولكي يفرح عندما يدخل السرور على أخيه ♦ فظفر العالم الاسلامي هذه الطفرة الواسعة في تكوين مجتمعه ، وتوارى عنه شبح الخوف وحلت محله الحقيقة التي تشع بالنور هي حقيقة الفضيلة ♦ ان الخوف سر تدهور الامم اذا لم يصاحبه الامل وقد استطاع النبي ان يقضي على الخوف والقلق بالامل الواسع واللطف وفي وضع عقوبة الدنيا والتشديد في وضع العقوبة في الآخرة ♦ والامل اذا ملاً الصدور اندفعت المواهب للابداع واستعدت النفوس للتضحية وعلى أساس التضحية والمحبة وضع محمد (ص) قواعد

الاسرة الاسلامية فحفظ للمرأة حريتها وكرامتها وحفظ للرجل حريته
وكرامته وعزز الزواج بالاعلان وشهادات الشهود وقيد الطلاق بالازمنة
والحدود والتأمل والتفكير وفصل المحكمين كيلا تنهار الاسرة بين عشية
وضحاها بعد ان احكمت بناءها •

بِنَاءُ الْمُجْتَمَعِ

ثبت القرآن وحدانية الآله في قلوب المؤمنين واطمأنت الرسالة المحمدية الى ثبوت العقيدة فشرعت تبين كيف يمكن أن يسير المجتمع في حياته فيما يباح له وفيما يحرم عليه وكيف يمكن ان تتماسك اجزأؤه ولكنه لم ينفك عن ذكر الوحدانية ونكران الشرك عند وضع الاحكام والقواعد التي يضعها • فالشرك في نظر القرآن وفي هدف النبوة سر تأخر الامة والوحدانية هي الغاية السامية التي ترتفع بالامة الى العزة والقوة وان الجائي على قدم الصنم عبد ذليل وان الفكر الذي يؤمن بقوة جبارة خلقت ملكوت السموات والارض حر عزيز والحرية والعزة صفتان من صفات الرجولة المكتملة التي ترتفع بالمرء عن صفائر الاعمال وتسمو به الى امتلاك ناصية الفضائل ومن هذه الناحية خاطبت الرسالة مجتمع المؤمنين بتلاوة ما حرم الله وما نهى عنه وما أمر به •

لقد نهى عن الشرك بالله وأمر بالاحسان الى الوالدين ونهى عن قتل

الاولاد خشية الاملاق ووعدهم بالرزق لهم ولا يوبئهم وشدد على الابتعاد عن اتیان الفواحش جهرا أو سرا ثم نهى عن قتل النفس بوجه عام الا بالحق وهو القصاص الذي فيه حياة المجتمع وتماسك نظامه ثم أمر بعدم الاقتراب من مال اليتيم الضعيف الذى يكون في ظلال وصي قوي الى ان يبلغ أشده فيعطي ماله وأمر ان يوفوا الكيل ولا يخسروا الميزان وأن تكون المعاملة بينهم مرتكزة على العدل وان يتعدوا عن الجور والظلم • ومن القواعد الاساسية في نظام الحكم في هذا العهد العدل في الشهادة وصراحة القول على نفس الانسان واقربائه ويلتحق بذلك الوفاء بالعهد وان يسلكوا سبيل هداية القرآن ويأخذوا بمبادئه السامية فلا يلتفتوا الى آراء وافدة فتفرق الكلمة وتفرق بهم السبل وتختلط عليهم المبادئ ويدب الخلاف في صفوفهم فيضعفوا « ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل ففرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » •

وحرم القرآن البغي بغير الحق وحرم الزنا كيلا تفسد الاسرة يفسد المجتمع وحرم الخمره أم الخبائث مثلما حرم لعب القمار وهما في نظر القرآن من الامور الهادمة للبناء الزارعة للحقد والبغضاء الصارفة المؤمنين عن فضائل العقيدة وواجباتها « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم متبهون » •

واستمر القرآن في النهي والامر لاجتناب هاديات المجتمع تارة يذكر اقامة الحدود واخرى يهدد بالوعيد بعذاب الآخرة وسخط الرب فالسارق تقطع يده نكالا بما كسب الا من تاب من ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ويقفر له ولم يبت القرآن في قطع اليد مادام في نفس السارق أمل للرجوع والتوبة والسير في نظام المجتمع وفق شروط الحياة الفاضلة • وسرد القرآن حدود القصاص في اعتداءات أخرى على الانسانية فالعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة

له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون » •

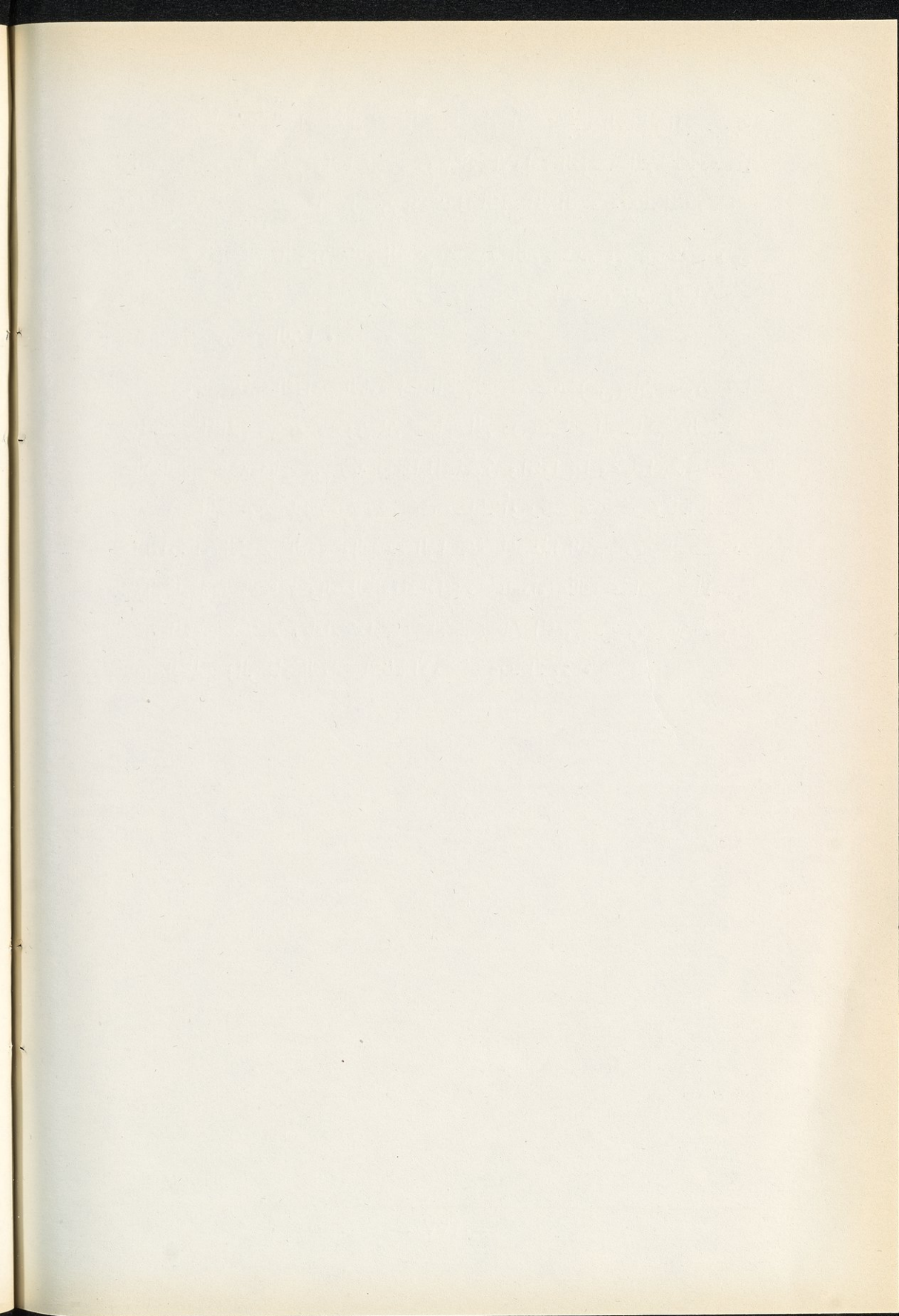
وهكذا استطاع القرآن أن يجد مخرجا لهذه الحدود المشددة وما كان هذا التشديد الا لكيلا يفلت الزمام وتصبح الامور فوضى لا رادع لها ولا ضابط يضبطها ويلطف الامر ويفسح المجال أمام الجاني ومن وقعت عليه الجناية فاذا قلع رجل سن احد من المؤمنين فان لهذا حقا ان يقلع سن المجرم • ولو بت القرآن في هذا الامر وجعله واجبا لا مخرج له لكان في الامر عسرة شديدة غير ان ادارة القرآن الممتازة فتحت بابا واسعا للصلح وجعلت لهذا الصلح ثوابا في الآخرة وكرما في الدنيا فان الذي يعفو عن صاحبه المجرم سيكون هذا العفو كفارة له عن ذنوبه في الآخرة فضلا عن سموه في الدنيا •

وانتقل القرآن الى اولئك الذين يسعون في الارض فسادا ويقطعون سبل المارة ويسلبون أموالهم ويهددون حياتهم بل يهددون أمن الدولة ويقبلون نظام الحكم لكي تنتشر الفوضى ويعم الشر في أرجاء البلاد فوضع حكما شديدا جعل جزاءه آخر ما يكون من العقاب جعله القتل أو الصلب على الاعواد أو قطع الايدي والارجل من خلاف أو النفي من البلاد وخلص الوطن من فسادهم وأردف ذلك باللعة التي يرافقها الطرد وما يتبعه من خزي عظيم • وكل ذلك اذا كان هؤلاء في عنفوان قوتهم وشدة مقاومتهم واستمرارهم في محاربة الله ومحاربة العقيدة وتماديهم في تقتيل الناس وسلب أموالهم وتهديد الامن فاذا اصبح هؤلاء في قبضة السلطة واصبحت السلطة قادرة على التنكيل بهم والقصاص منهم فلها ذلك وفق ما حدده القرآن وان تابوا الى رشدهم وتابوا واصلحوا انفسهم فان الله غفور رحيم هنا يقر القرآن نظام العفو العام وهنا يظهر امتياز نظام الحكم الصادق لكي يطمئن المجتمع الى أن ولي الامر مثله كمثل الاب الرحيم اذا انتفض عليه أمر الاسرة وخرج بعض افرادها عليها لا يستطيع ان يتخلى عن زاوية بين جوانحه تكمن فيها عاطفة الشفقة والرحمة على الخارجين فاذا عادوا الى صوابهم وجدوا في ظلالتها أمنا وراحة •

ان أروع جمال في أنظمة الحكم هو ألا تلجأ السلطة الى تجربة العضلات مع المجتمع وانما تجنح دوما الى الارادة القوية التي يقودها العقل ولا يوجد شيء أجمل من ان تنزل القوة الى الرحمة عند المقدرة •

هكذا عالج القرآن نظام الحكم في عهد النبوة شدة في غير عنف ولين من غير ضعف • ثواب في الآخرة ، وكرامة في الدنيا وعقاب في الآخرة وخزي وعار في الدنيا •

ومن هذه القواعد العامة استطاع النبي محمد (ص) ان يكون هذا المجتمع المثالي في عهده دون ان يحتاج الى درجات المحاكم والتشكيل الاداري جاءت آياته من ربه فهمها المسلمون وآمنوا بها وعملوا بما جاءت به دون أن يكون على رءوسهم سيف مسلط أو رقيب عتيد غير رقابة النفس اللوامة أو الضمير الحي والعقيدة الراسخة بان هذا الدين دين السعادة والرفاه دين الاخوة والعدالة والمساواة • وما دام هناك حساب في الآخرة فان المؤمن يخشاه وما دام ثواب في الآخرة فان المؤمن يرجوه وبين الخوف من العقاب والرجاء بالثواب انتظم الامر في عهد النبوة •



بَيْتُ الْمَالِ

دخل الناس في دين الله أفواجا وكثر عدد المسلمين ومنهم الموسر والمعسر
وتكون الجيش الاسلامي واشتدت الحاجة الى المال لانه قوام النظم
الاجتماعية ولانه المعين الاول في الدفاع عن العقيدة الاسلامية في اسناد
الجيش واعالة الاسرة التي يتركها معيها اذا ركب جواده للجهاد في سبيل
الله ونشر عقيدة السماء وفتح الابواب لها لتأخذ طريقها الى القلوب فيخرج
الناس من الظلمات الى النور ونزلت الآية الكريمة بالامر الصادق : « خذ
من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم
والله سميع عليم » ♦

واصبحت الصدقة فرضا على المسلم الموسر وصار للمسلمين موضع
تجمع أموال الصدقات فيه وكان أكثر ما في بيت المال منها الماشية فقد كانت في
عهد النبي (ص) ما يقرب من اربعين الفا من الابل والخيول وغيرها وكانت
لها مراعى خاصة بها وميسم توسم به وكان النبي يتولى ذلك بنفسه وكان

محلها في البقيع يحفظها العاملون عليها الذين لهم حصتهم منها وكان للصدقات أمراء وعمال يبعثهم الرسول الى انحاء البلاد ليجمعوها ويأتوا بها وقد بعث عدي بن حاتم الى طيء ليجمع الصدقة منهم كما بعث العلاء بن الحضرمي الى البحرين وعلي بن ابي طالب الى أهل نجران وبعث غيرهم الى كل أرض دخلها الاسلام ولما بعث معاذ بن جبل الى اليمن واليا وقاضيا قال له - انك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم الى شهادة ان لا اله الا الله واني رسول الله فان هم اطاعوك لذلك فاعلمهم ان الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم اطاعوك فاعلمهم ان الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم فترد على فقرائهم فان اطاعوك لذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وقد أمره الا يتعرض الى خيار الاموال ونفائسها التي تضن بها الانفس ووضح له انه لا يجوز للحكام والعاملين على الصدقات أخذ كرائم الاموال واعطاءها

♦ الفقراء

وقد جمع القرآن الامر بالفريضة مع التأكد من ثبوت العقيدة شأنه في كل تكليف يكلف الله به عباده وامر نبيه ان يقبل الصدقات من الموسرين مقرونة بدعائه واستغفاره ففي هذا الدعاء والاستغفار تطمئن القلوب وترتاح النفوس وهو بمثابة وثيقة تقدم للمؤمن الموسر المتصدق للدلالة على طهارة النفس وتوجهها الى طاعة الله ♦

وقد حددت هذه الفريضة تبعا لعدد الماشية ونوعها وحددت على الفضة بالدرهم وعلى الذهب بالمثقال وعلى الثمار بالعشر ونصف العشر وفقا لطبيعة الارض وطريقة ربيها ووضع حد تقف عنده الفريضة فلا يؤخذ من مقداره شيء وكل المقادير والحدود مفصلة تفصيلا في كتب الشريعة الاسلامية وكانت هذه الصدقات توزع على من جاء ذكره في الآية الكريمة « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » ♦

فالفقير هو المحتاج الذي يمكن ان ترتفع كرامته بمعونته من بيت المال من هذه الصدقة فلا ينزل الى السؤال ومثله المسكين الذي لاشيء عنده وهو أشد حاجة من الفقير • وتعطى للعاملين عليها وهم الذين يتولون جمعها وحفظها وخزنها وكتابتة دواوينها ورعاة الانعام منها • اما المؤلفة قلوبهم فقد كانوا كثيرين وهذه الكثرة مختلفة الانواع والاشكال سواء أكانوا مسلمين أم مشركين ولا يمنع ان يؤلف قلب من حسن اسلامه وايمانه لمكانته في قدمه فيعطى مالا يتناسب مع مكانته وتؤلف قلوب بعض كبار القوم ضعفاء الايمان حتى يقوى ايمانهم وقد فعل النبي ذلك مع بعض الطلقاء من اهل مكة الذين اسلموا وفيهم المنافق وضعيف الايمان وقد حسن اسلامهم وقوى ايمانهم بعد ذلك ونوع آخر من هؤلاء المؤلفة قلوبهم قوم من المسلمين يسكنون الثغور والحدود يعطون أيضا من أموال الصدقة أملا في دفاعهم عن المسلمين اذا هاجمهم العدو وفريق آخر يؤلف قلبه ويسترضى لمكانته بين قومه ولتأثيره فيهم في جباية الزكاة ممن لا يعطيها الا بنفوذهم وجاههم كذلك تعطى للمشركين الذين يرجى منهم الايمان فتؤلف قلوبهم اكراما لمنزلتهم بين قومهم وقد أسلم في هذا السبيل كثيرون وحسن اسلامهم •

ومن الذين فرض لهم القرآن فريضة في أموال الصدقة المكاتبون وهم العبيد الارقاء يدفع عنهم بيت المال فتفك رقابهم ويصبحون احرارا وفي هذا منتهى السمو في العقيدة الاسلامية التي حاربت الرق حربا بأقوى الطرق حاربه بنذل المال بغية اعطاء الحرية وحاربه بالثواب ثواب الآخرة وجعلته كفارة لليمين •

وهناك جهة أخرى يصرف عليها من أموال الصدقات أعني (الغارمين) وهم المدينون الذين اصابتهم جائحة أو تحملوا حمالة فلم يستطيعوا دفع ما عليهم من الديون في بيت المال يؤدي عنهم ديونهم • والفريق الآخر المفروض لهم نصيبهم من بيت أموال الصدقات الغزاة والمرابطون على الثغور في سبيل اعلاء كلمة الله الذين ليس لهم اسم في ديوان الجند أما ابن السبيل فهو المنقطع في سفره وليس لديه مال يقوم

أوده او يستطيع به ان يعود الى بلده هذه الفريضة التي شرعها القرآن الكريم مقصورة على هذه الصنوف اما النبي واما بيت النبوة فليس لهم ان ينالوا من أموال الصدقات شيئاً ولو كانوا عاملين عليها •

في هذا النمط العالي من الضمان الاجتماعي استطاع الاسلام ان يكف عيون الفقراء عن أموال الاغنياء ويحفظ التوازن بين طبقة موسرة وطبقة معسرة وقد كان يعطي للفقير ما يكفيه وأحيانا يرفعه الى مرتبة الاغنياء فيصبح يتصدق وقد بلغت بعض الاعطيات مائة بعير لشخص واحد وفي ترفع النبي وترفع آل بيته عن أموال الصدقات امان واطمئنان للناس في ان هذه الفريضة ما شرعت الا لهذه الصنوف وان انعام الصدقة وأموالها محفوظة لهم لا تمتد اليها أعين غيرهم • حل محمد مشكلة المال بهذه الطريقة المبسطة تارة بالوعيد واخرى بالثواب مع العفة والترفع من ان يناله منها شيء فهو الرائد والمرشد وهو ظل ظليل على المؤمنين يقيهم شرور الفرقة ويحملهم على الجماعة • لقد كانت انعام الصدقة في زمن الرسول من الكثرة بحيث يخيل للمرء انه لا يوجد فقير في عهد النبوة وان الناس بعافية وخير وان الاسرة مكفولة اذا ذهب عائلها الى الحرب أو مات واستمر هذا الحكم الرائع وهذه الالفة والمحبة بين الفقراء والاعنياء أيام الرسول لا تشوبه شائبة وظلت المجموعة العربية الاسلامية تمثل مجتمعا فاضلا ليس فيه حقد أو حسد وليس فيه تخمة في ناحية وآلام وحسرة في ناحية أخرى •

ان المال عزيز عند صاحبه لا يفرط فيه بسهولة والفقير يكاد ان يكون كفرا والعناد في جهة واليأس في جهة أخرى يولدان حقدًا أسود في طبقات المجتمع ولن يحلها الا عدل وفي هذا الطراز الرفيع من التشريع أمر النبي عماله على الصدقات ان لا يتعرضوا الى كرائم الاموال لانها غالية ثمينة على أصحابها وأن يتركوا الاموال طبيعية تجري على اذلالها •

وقد كانت العقيدة الاسلامية تفعل فعلها في نفوس القوم فكان فريق يقدم الصدقات طوعا وهو مؤمن انها ستصل الى الله تعالى ومنهم من كان يقدمها كرها فلما توفي النبي (ص) ظن كثير من العرب ان هذا التشريع

خاص بزمن الرسول وان الامر الذي جاء في الآية الكريمة « خذ » لم
يوجه الا اليه وانه انتهى بوفاته وامتنع كثير منهم عن أدائه واعتبروا مرتدين
عن عقيدة الاسلام وقد وقف الخليفة الاول أبو بكر وقفه المشهورة وقال
قوله القاطع في حروب الردة وفي شأن الصدقة : « والله لو منعوني عناقا وفي
رواية عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلنهم على منعه » •

الزُّبَانُ

كانت التجارة والحركة المالية في مكة والمدينة مزدهرة وكان للتجار فيهما رحلة الشتاء والصيف وكان اليهود في يثرب من العناصر المتمولة التي تضارب بالاموال والتجارة وكان الربا له المكانة الاولى في العلاقات الاقتصادية في المجتمع وله الاثر القوي في الاستغلال وتدمير البيوت القائمة وتحطيم الاسر وكان النبي قد أرسل ليكون مجتمعا فاضلا فلما فاجأهم برسالته وجدهم قد غطسوا في حمأة من الظلم والاحتكار وكان القرآن ينزل تباعا لصياغة هذه الامة وجعلها خير أمة اخرجت للناس وفي غمرة هذا التكوين كانت معاملات الربا تجرى في عنف وقوة وفي طريقة غريبة فكان الرجل منهم يكون له دين على آخر الى أجل فاذا حل الاجل يقول المدين آخره عني وأزيدك على مالك فيفعلان وكان لهم معاملات في المشية والانعام طريقة وفي النقد طريقة فاذا كان الربا في النقد ولم يكن عند المدين ما يؤديه وكان الدين مئة مثلا فانه يكون في العام المقبل مئتين وفي العام الثالث

اربعمئة وهكذا والمفسرون يقولون هذا هو الربا المضاعف • وهو الربا الذى نهى القرآن عن التعاطي به ومهما يكن من شيء فإنه ظلم واستغلال يترفع عنه الدين الاسلامي الذى حارب الاحتكار والاستغلال ونزلت الآية الكريمة في ذلك :

« يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » •

وضع القرآن قاعدة الحكم وعززها في الترغيب والترهيب والانذار والتشهير وجعل مخافة الله في رأس القاعدة واعد النار للذين يكفرون باحكام القرآن وجعل الرحمة منوطة بطاعة الرسول فيما يبلغ به عن ربه ووصف المرابين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل بالضغط واستغلال حالة الحاجة والفقر وصفا رائعا يفهمه فصحاء العرب الذين بأسرهم هذا التصوير البديع في الآية الكريمة : الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس » فالمرابون في نظر القرآن لا يدركون معنى الانسانية ولا الغاية من تكوين المجتمعات الفاضلة فهم لا يقومون باعمالهم هذه ولا يفعلونها الا كمثل ما يفعل ويقوم به المجنون الذى لا يدري ماذا يصنع كأن به مسا من الجن فقد معه عقله وادراكه فالانسانية كريمة على الله والذي يستغلها خارج على أوامره ونواهيه بعيد في تصرفه عن تصرف العقلاء المؤمنين الصادقين • وفي هذا التصوير البديع ابرز القرآن النفوس الجشعة التي تستدل غيرها وتضيق عليها رزقها وتحول نعيمها بؤسا وشقاء وفي تهديد شديد قمع نوازع الطمع من هذه النفوس وارشدها الى طريق الصواب وعزز ذلك بالآية الكريمة : « واحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وامره الى الله ومن عاد فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » • ولم يجعل القرآن خيارا للمرابين فيما يفعلون فشدد التكرير على الذين يتمادون في افعالهم وجعل النار مثوى لهم خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب وامرهم ان يتركوا ديونهم من دون توقف وان يتوبوا

من هذه الجريمة المنكرة : « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلکم رعوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون » ♦

لقد نزلت هذه الآيات البليغة المحكمة عندما تمكن الايمان من قلوب المسلمين وأصبح الخروج على العقيدة من أشد الامور على النفوس الصادقة نزلت بعدما التأم شمل المسلمين وصاروا قوة يرهبون عدو الله وعدوهم ونعموا بعدالة الاسلام واستظلوا بظلاله وصاروا اخوة في الايمان يشد بعضهم ازر بعض فمن ذا الذي لم يتب؟؟ ومن ذا الذي يريد أن يكون في حرب وخصام مع الله ورسوله؟؟ ومن يجرؤ ان يخرج على أحكام هذه الشريعة الغراء؟ فاذا تاب وهو تائب لا محالة وانه مؤمن يصلح نفسه والله يتوب على عبده التائب واذا تحقق ذلك وتاب المرابون بعد تحريم الربا وبقي الدين فلا يمكن ان يستمر ولا يكتسب حقا شرعيا بل يعود الدائن على مدينه برأس ماله فلا يظلم احد واذا كان المدين معسرا فلا مانع ان ينتظر الدائن حتى يكون الذي عليه المال في حالة من اليسر تمكنه من أداء ما عليه ♦ بل ذهب القرآن الى ابعد من ذلك لقد جعل في العفو على رأس المال وربحه صدقة لها ثواب عند الله ♦

وقد وقف النبي (ص) وقفته المشهورة ونادى بأعلى صوته : « الا وان ربا الجاهلية موضوع واول ربا ابدأ به ربا عمي العباس بن عبدالمطلب لكم رعوس أموالکم لا تظلمون » ♦ وبهذه الخطبة الجامعة استطاع النبي (ص) ان يمحو الربا من مجتمعه الفاضل الذي كونه في مشرق الدعوة ورباه على التعاون وحته على الانفاق في سبيل الله وقارن بين الربا المالحق الذي يهدم الاسر ويزرع الحقد والضغائن في القلوب وبين الصدقة والزكاة التي تنظهر بها النفس من رذائل البخل والحرص وتزرع في القلوب المحبة والالفة فلا ترتفع عين الفقير الى ثروة الغني ولا يكمن الحسد والحقد والحسرة في جهة والشراء والنعمة في جهة أخرى ♦

الربا في الجاهلية أنواع كثيرة وطرق متعددة في ادائه ووفائه والروايات

مختلفة في تحديده ومهما يكن من شيء فهو زيادة يأخذها رب المال من المحتاج قسرا ولم يكن هذا القسر بالعصا انما الحاجة الملحة هي التي اجبرت المحتاج ان يلتجئ الى الثري ليأخذ ما يستطيع ان يقوم به أوده أو يرفع به عمله أو يتخذ به مشروعا يعود بالنفع عليه فيخسر أو يربح أو يتلف ويعود لا مال عنده ويتجمع عليه الدين اضعافا مضاعفة فيندمر ويهلك ويذل وكفى بالفقر والذلة فساداً للمجتمع •

حطم القرآن قيود الربا وامتدح البيع • وقد كان البيع وحده مصدر الكسب ونماء الثروة في عهد النبوة فلم تكن هناك مصانع ولا توجد شركات تجارية وانما كان أكثر سبل انماء الثروة هي السبل التي تتخذ في معاملات الربا وكانت تستند الى جهود فردية ففرد يكتفي باتخاذ طريق الربا وسيلة لانماء ثروته وفرد يكتفي بالبيع ان عواقب الربا وخيمة ونتائج البيع والمقايضة دون غبن عظيمة ومباركة والبائع الامين رابح محبوب والمرابي المستغل ذليل مكروه وحرم الدين الاسلامي الربا ووضع مقابل ذلك ما يشبه الضمان الاجتماعي لقد جعل بيت المال وموارد الصدقات عوناً كبيراً يمون منها ابن السبيل والفقير المحتاج وتفك رقبة المعتق المكاتب من بيت المال اذا لم يكن لديه ما يعينه على ذلك ويدفع دين المدين الذي تلف ماله وكاد يضع مركزه الاجتماعي • وكانت الثقة والصدق هما الاساس الاول في استقامة هذا التنظيم •

لقد هد القرآن ركنا من أركان التبادل التجاري في ذلك العهد وهو الربا الذي كان مصدرا لاثراء غير مشروع وكان فاحشة وساء سبيلا وبذلك استطاع الرسول (ص) ان يحول في هذا التنظيم نفوس العرب من الجشع الى الكرم ومن الانانية الى الايثار ومن الكره الى المحبة ومن التفرق الى الالفقة لقد استطاع ان يصغر الثراء والمال في أعين المؤمنين وان يكبر الانفاق في سبيل الله ومعونة الفقير والعفو عن المدين وجعل من هذه التعاليم نورا يشع بالفضائل وبسط أمامهم طريقا واضحا يقودهم الى مجتمع فاضل واختار لهم نظاما ليس له حارس غير الايمان الصادق بالله وبنبوة محمد آمن

المؤمنون بما انزل على الرسول واتبعوا صراطه المستقيم فصفت نفوسهم
والنفوس الصافية تركض الى الفضيلة ركضا وهكذا قبل المؤمنون هذا الحكم
الغنيف بصدور رحبة ولم يمانعوا لانهم يخشون حرب الله ورسوله
ويؤمنون بان الجنة مثواهم وان جهنم مثوى للكافرين •

العُقُود

حرصت الرسالة على تكوين شخصية المؤمن وعلى تربية ارادته سواء
أكان ذلك بتوجيهه الى النظر في ملكوت السموات والارض وما بث فيهما
من دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض أم بتفكيره
في نفسه وما خلق الله فيها من بدائع الحواس ودقائق تركيب الاعضاء
وترغيبه في حياة فاضلة تنتهي به الى جنة عرضها السموات والارض أو
تحذيره من نار موقدة تطلع على الافئدة كي يستطيع في ظلال هذه
الشخصية القوية والارادة الحازمة ان يتصرف تصرفا حرا يحمل معه
مسؤولية النتائج وقد مهدت الرسالة بهذا كله لتخرج على المؤمنين بالاوامر
والنواهي في الكف عما حرم الله والعمل بما أحله وتنظيم الصلات بين
الافراد بعضهم مع بعض ومع الخالق مع جهة أخرى وأهم شيء في هذا
التنظيم العقد أو العهد والايفاء به فان العقد رابطة يرتبط بها الشخص مع
شخص آخر باتفاق ارادتهما على انشاء حق أو على انهائه ومثلما يرتبط

به الشخص مع أخيه يرتبط به أيضا مع خالقه وقد عنى القرآن عناية خاصة لما له من الاثر في حياة المجتمع وفي صيانة العقيدة « يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود » « اوفوا بعهدي أوف بعدكم » « واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا » وفي مبايعة الرسول على الايمان بالله وبرسالته نزلت الاية الكريمة : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا » ونزلت آية أخرى مماثلة لهذه في حق النساء بمبايعة الرسول على الايمان بالله وبرسوله والعمل بما انزل من القرآن الكريم على نبيه • وجاء في الحديث : « لا امان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له » كان الوفاء من ابرز صفات العرب وهي خلة كريمة فارسل الله رسوله في هذه الامة ليتمم مكارم الاخلاق فيها وليجعل هذه الصفة التي ينتظم بها أمر المجتمع من خلال الكريمة التي يجب أن تتصف بها الامة الاسلامية والبشرية جميعها ويسود الاخاء والمحبة والعدالة والصدق ويعم الامن والسلام بين الناس •

ان العقد الذى شرعته الرسالة المحمدية عام يشمل عقدة الشركة وعقدة الزواج وعقدة الحلف والمعاهدات والاتفاقات على مستوى فردى أو مستوى دولي • وفي كتب التشريع والقوانين الحديثة أحكام مبسطة بسطا واضحا ومتشعبا وترتكز عليها صلات الناس وحفظ الحقوق وانتظام المعاملات وقد تعددت أشكاله بتعدد اساليب الحضارة ولكنه لا يزال في جوهره واركانه في كونه التزاما يجب الوفاء به وفي كونه ارتباطا يجب توثيقه لئلا يخيس به أحد الطرفين فينشأ الخلاف ويحتاج فيما بعد الى القضاء وفض النزاع وعلى ذلك ضرب الله مثلا لعباده في شأن المداينة وهي أكثر قضايا المجتمع تعقيدا واولها فيما يحدث به الخلاف بين الناس فاذا وقعت المداينة الى أجل مسمى بين شخصين فان عليهما ان يكتبنا بذلك وان يقوم كاتب عادل لا يميل الى أحد الطرفين فيجعل له حقا على آخر لا يعرف به وان يكون هذا الكاتب عالما بشروط المعاملات واصول الشريعة التي تحفظ الحقوق بين الطرفين موضحا لا ابهام في كتابته بحيث تحتاج الى

شرح يوضح الحق عما التبس به من الباطل فالكتاب بالعدل الذي جاءت به الآية الكريمة يراد به الرجل العالم الذي يكون بمثابة القاضي الذي يبت في الامر من اوله دون الحاجة الى الرجوع اليه مرة أخرى •

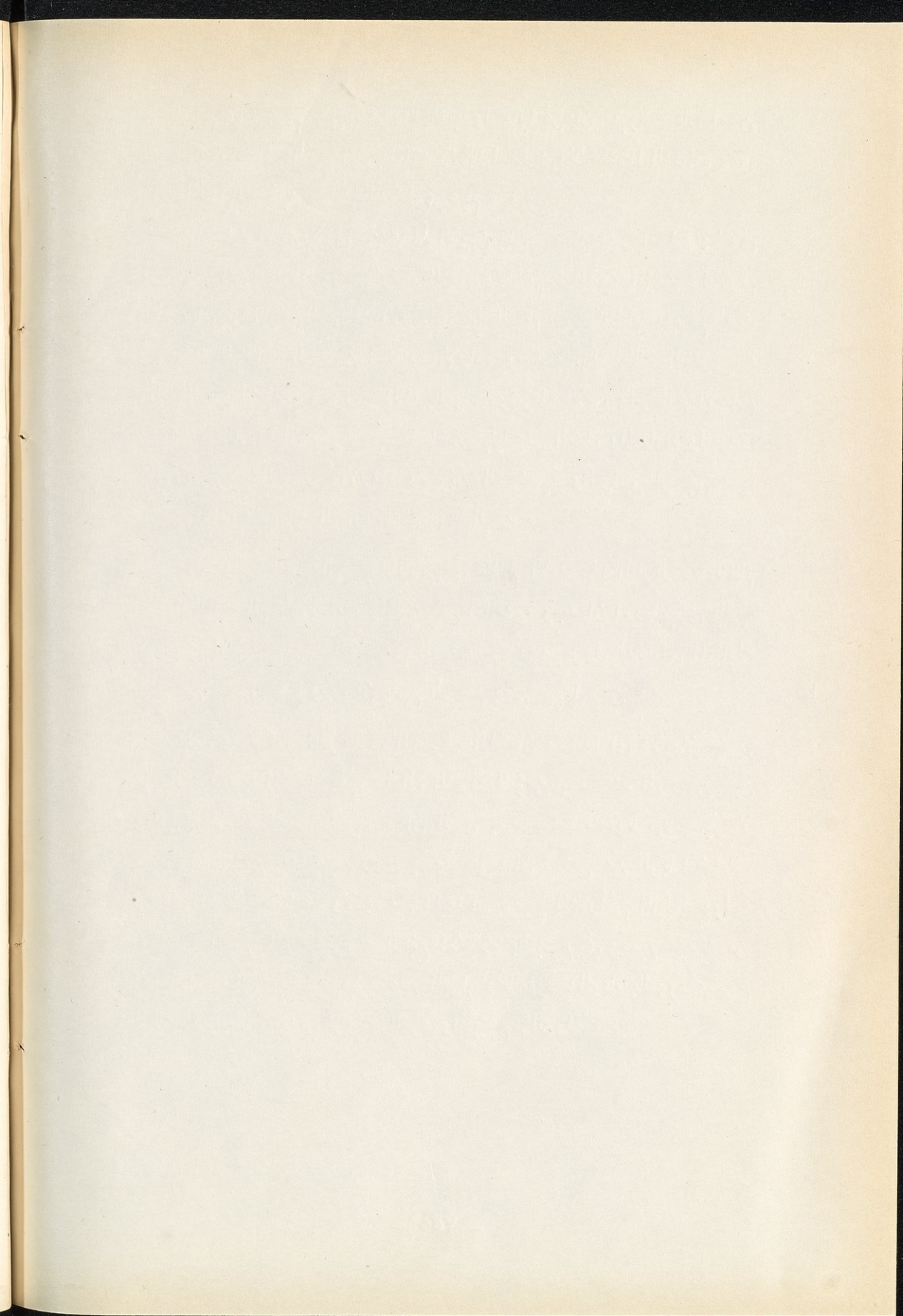
ووثقت الآية هذه الكتابة بشهاد شاهدين من المؤمنين الصادقين ووجب على الشاهدين الحضور اذا احتاج الامر اليهما في فض الخلاف وأكد القرآن تأكيداً جازماً على الكتابة وأمر أن لا يتكاسل المتعاملان في شأنهما مهما كان العقد على الحق صغيراً كان أم كبيراً فان في ذلك ما يبعد عن الريبة والشك وأمر القرآن بالابتعاد عن الضرر سواء أكان هذا الضرر لاحقاً بالمتعاقدين أو الكتاب بالعدل والشاهدين ووضح ان أى شيء من هذا القليل يجرى في أية معاملة فانه خروج على الدين وعلى العقيدة ومعلوم ما يتأتى عن هذا الخروج من نتائج غضب الله وعقابه • ولكيلا يكون حرج في الاوامر والنواهي التي وردت في هذه الآيات رخصت الشريعة الاسلامية عند السفر وعند عدم وجود كاتب عدل ان يصار الى الرهن وهو ان يوثق العقد برهن عند احد الطرفين فاذا عادا الى مقرهما فعلى من أخذ الامانة ان يعيدها الى صاحبها وشدد القرآن النكير على من يكتم الشهادة في شأن العقود والمعاملات ووصفه بأنه آثم وان عمله لا يخفى على الله وعند الله تجتمع الامور • « يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فان كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع ان يمل هو فيملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احدهما فتذكر احدهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيراً أو كبيراً الى أجله ذلكم أقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل

شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فرهان مقبوضة فان آمن
بعضكم بعضا فليؤد الذي أتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن
يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم » ♦

اشتملت الآية الاولى من هاتين الايتين على خمسة عشر أمرا ونهيا وفي
كل هذه الاوامر والنواهي حفظ الحق وتكريم شخصية المؤمن واحترام
ارادته ان تزل وفي انحراف الارادات عن الحق انهيار لنظام المجتمع لقد
وثقت الحضارات الحديثة استقامة الارادة وصدقها بالسلطات التشريعية
والقضائية والتنفيذية وعززت ذلك بالقوات وشرطة الامن واستطاع الاسلام
في مشرق الدعوة ان يكون مجتمعا فاضلا مبينا على العدل والمساواة والصدق
والوفاء بتربية الضمير والارادة وتكوين الشخصية والثواب المرتجى في
الآخرة والترهيب من العقاب المنتظر بعد البعث ♦

لقد وجد النبي ان خير النتائج في تنظيم الامة هذا الطراز في النظام
الذي اختارته العناية الالهية واعانته على اتمامه ♦ وجد ان الارهاب في الدنيا
لا يمكن ان يدوم وان العنف في الحكم سرعان ما يزول فدعا الى المجادلة
بالتي هي أحسن كما وجد ان يدفع الخصم بالتى هي أحسن ♦

لقد وجد ان الحرية في التصرف اذا كان مستندا الى الايمان خير
من التقييد فيها اذا كان مستندا الى الشرك فالؤمن يستند الى ركن متين
والشرك لاسند له في الحياة ♦ ان الذي يعبد صنما منحوتا من حجر لا
يمكن ان تتربى بين جنبيه روح يسهل عليها ان تتخلى عن الربا المضاعف
اذا بلغ اضعافه مضاعفة ولا يسهل عليها ان ترجع الى رأس المال بسهولة
أو تنظر المعسر الى ميسرة ♦ ارتفع الاسلام بالمجتمع في جميع طبقاته من
الامية الى تنظيم حضارة مبنية على الترابط بالعقود والوفاء بالعهود وشرع
لذلك تشريعات متعددة تناولت الفرد والمجتمع والدولة ♦



مَشْرُوعِيَّةُ الْفِتَالِ

بين جبل النور والبيت العتيق هبط جبريل بالوحي الآلهي :- وانذر
عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ♦

وفي ضحوة مشرقة وقف محمد (ص) بين ظهراني عشيرته يدعوهم
الى الرشاد ودين الحق ويقول : (أيها الناس ان الرائد لا يكذب أهله ،
والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ولو غررت الناس ما غررتكم والله الذي لا
آله الا هو اني لرسول الله اليكم حقا والى الناس كافة والله لتموتن كما
تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالشر شرا
وانها للجنة أبدا أو النار أبدا وانكم لاول من انذر بين يدي عذاب
شديد) ♦ فهزهز محمد بهذا النداء افئدة قريش وزلزل ارادات صنابير
العرب وطفقوا ينظرون اليه نظر المتحير في أمره والمتعجب من حدث جلال
لا يعرف مدى أثره وكبر عليهم ان يخرج من بينهم رجل يريد أن يجتث
ما كان يعبد آباؤهم من أعماق صدورهم ومناط حواسهم وأخذتهم العزة

بالاثم ولكنه لم يأبه بهم لانه كان يريد بهم خيرا *

أراد أن يقول لهم انني بعثت فيكم لاحملكم رسالة الفضيلة الى أنفسكم والى البشرية جمعاء وجئت لامحو من نفوسكم عنجهية الطبقية وابني بكم مجتمعا فاضلا فيه العدل والمساواة والقوة والعزة والرحمة والاخاء ولاجعل منكم اخوان صدق لافضل فيكم لاحد على أحد الا بالتقوى وصدق الايمان * فلم يسمعوا وأصروا واستكبروا استكبارا فعارضوه وقاوموه والتف حوله جمع قليل بادية الامر واسروا التجوى خوف ايداء قريش ولطف النبي معهم الدعوة واخذ يدعو الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي أحسن ، فلم ينفع بهم وسدرت قريش في غلوائها وأمعنت في ايداء المسلمين واضطرت فريقا منهم للهجرة الى الحبشة وما كان المؤمنون يستطيعون الجهر بالقول ولا الظهور في العبادة حتى آمن فريق من أشداء قريش بينهم حمزة وعمر فقال عمر حين أسلم (يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا أو حيينا؟ قال محمد : بلى ! والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم أو حييتم فقال عمر (والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم والذي بعثك بالحق ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر الا أظهرت فيه الاسلام) * وأدركت قريش الخطر الذى يهدد مصالحها وازدادت في امعانها بالايداء بمن وقع في ايديهم من المسلمين واضطر النبي الى الخروج من مكة واضطر المسلمون أن يتبعوه ويتركوا متاعهم وأموالهم وأهلهم وكعبتهم وراءهم ظلما بغير حق وظل فريق آخر لا يستطيع الهجرة واستمر اتصال المؤمنين بمكة باخوانهم في المدينة وكان المكيون يفترون الفرص للالتحاق بمن سبقهم من المهاجرين هربا من ايداء المشركين ويتظلمون الى اخوانهم من شدة الايداء فيقول لهم النبي اصبروا فانني لم أؤمر بالقتال وانما أمرت بالصبر واشتدت شوكة المسلمين باخوانهم الانصار وتكونت عندهم السرايا فأخذ النبي يبعث سراياه الى خارج المدينة وكان على هذه السرايا حمزة بن عبدالمطلب وعبيدة بن الحارث وسعد بن ابي وقاص وأحيانا يكون النبي بنفسه على سرية منها ولم تشتبك هذه السرايا

مع قريش ولكنها أفادت من اتصالها بالقبائل التي تمر عليها في سيرها فعقدت معهم محالقات وضمنت معونتها اذا دعت الحاجة اليها وخشيت قريش أن يتسع نفوذ النبوة فلا يستطيعون أن يتغلبوا على المسلمين بعد ذلك وأمعت في الايذاء وتهيات للاعتداء وأصبح أمر الدعوة مهددا بخطر لا يمكن دفعه الا بالدفاع عنه فنزل الوحي على الرسول بهذه الآيات : (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز) . كانت هذه الآيات أول آيات أباحت في الاسلام الدفاع عن العقيدة وشرعت القتال وأجازت للمؤمنين قتال المشركين الذين أخرجوا المؤمنين من ديارهم بغير حق اللهم الا قولهم : ربنا الله ونبذهم ما سواه من الاصنام والآلهة وفي اباحة القتال أخذ المشركون يهيئون أنفسهم لمقاومة دعوة الاسلام وشرع المؤمنون يعدون لهم ما استطاعوا من قوة ومن رباط الخيل يرهبون عدو الله وعدو المؤمنين وأمر الله عباده بالانفاق في سبيل الله ومضاعفة ثواب ذلك اضعافا في اليوم الآخر وأخذ المؤمنون يتسابقون في بذل أموالهم لاعلاء كلمة الاسلام : (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) . ولم يكن القتال الا آخر معالجة يركن اليها المؤمنون ولم يكن الا دفعا للشر ولم يكن الاستعداد له الا لايقاف الخصم عند حده . (فقاتل في سبيل الله لا تكلف الانفسك وحرص المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ووضع التشريع الاسلامي شروطا وحدودا للقتال . فهو دفاع لا اعتداء وهو مقابلة الخصم بما يفعل : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) وقد فرض الله القتال فرضا على المؤمنين عند اشتداد الخطر وعند تجاوز العدو وأوضحت الشريعة في مشروعية القتال ان الخصم انما يقاتل ليرد المؤمنين عن دينهم وانه مصر على هذه الفكرة ومستمر على الخصام والقتال

وحذرت المؤمنين من التراجع والاستسلام (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يتردد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ♦

وفي هذا الوعيد الشديد قويت نفوس المؤمنين فاندفعوا يقاتلون في سبيل الله خصما ضخما العدد والعدة مستمينا في سبيل الحفاظ على اصنامه وتقاليده وكان المسلمون قلة فخشوا على انفسهم هذه الكثرة فنزلت الآية الكريمة : (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون) ♦ ومع صدق الايمان وقوة العزيمة دخل الخوف في نفوس المؤمنين ووجدوا ان العشرين لا يستطيعون أن يقفوا أمام مئتين من الاعداء ووجفت قلوبهم من هذا العدد الضخم ولم يستوعب عقلمهم أن يكون المؤمن بعشرة من المشركين فجاء الوحي بآية أخرى (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين باذن الله والله مع الصابرين) فاطمأنت نفوس المؤمنين واصبح الواحد منهم باثنين وقبلت حواسهم هذه الفكرة قبل ان تقبلها عقولهم ♦

وأكد الاسلام في مشروعية القتال على ناحية أخرى واراد بها وحدة الامة ووحدة الهدف والاستقرار للانصراف الى بناء المجتمع واداء واجبات الرسالة : (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ♦

ومثلما شرع القتال للحفاظ على العقيدة كذلك شرع للدود عن أسر المسلمين وعن ضعفائهم ونسائهم واولادهم الذين يستذلهم المشركون ظلما وعدوانا وحرض النبي على اتقاذ مثل هذه الجماعات من مخالبا الشرك والظلم : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) ♦

وربط القرآن مشروعية القتال بقوة الشخصية وتنظيم المجتمع فالذين

يقاتلون في سبيل اللههم الذين آمنوا برسالة محمد التي تهدف الى اقامة حياة فاضلة مستندة الى العدل والمساواة والاحياء وحفظ الدين ان تعصف به الفتن فيضطرب المجتمع اما الكافرون فهم الذين يقاتلون في سبيل الطغيان والشروع واقامة الباطل مقام الحق والظلم مكان العدل ومتى ما ساد الطغيان تحكم اولياء الشيطان من الناس ومتى تحكم اولياء الشيطان اضطرب المجتمع وانهارت اركانه ومثل هؤلاء الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت اولئك الاقوام الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يدينون دين الحق هؤلاء كتب الله عليكم في شأنهم أن تقاتلوهم حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون • وملاً التشريع قلوب المؤمنين بالثقة وأكد لهم أن الحياة والموت أمران مقدران لن تغيرهما حرب أو سلم (اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) فالمؤمنون لا ترهبهم قوى الشر ولا يهابون موتاً ولا تغرهم الحياة • وطلب التشريع من المؤمنين في هذه الوجهة من نظام الحكم أن يطيعوا اوامر الله واوامر رسوله وان يتقوا الفتنة وان يذكروا الله حين كانوا مستضعفين في الارض يخافون أن يأخذهم الناس من كل جانب فأوهمهم ورزقهم من الطيبات في ظلال الامن والاستقرار (واذكروا انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فأواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) •

لقد أراد الوحي الآلهي أن يخلق أمة وينشيء مجتمعاً فاضلاً ولن تنشأ أمة أو يخلق مجتمع الا في ظلال ارادة قوية وعزم صادق وحيوية مبدعة ولا ابداع الا اذا كانت الشخصية تتمتع بالكرامة التي يحفظها العقل والسيف ولكن الشريعة الاسلامية لا تركز الى السيف الا اذا هدد العقل بعدم الاخذ بما يراه وعلى ذلك كان الجدل بالتالي هي أحسن التكاأة التي يرتكز عليها الاسلام فلما هوجم عاد الى السيف ليحمي العقل والعقيدة ولم يأخذ السيف مكانه في ميادين القتال الا عند الاعتداء وكانت القاعدة الاساسية في ذلك (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) •

العُدَّة

استلزم تشريع القتال استعدادا بالمال والرجال وانواع القوة جميعها من الخيل وأدوات الحرب واعداد الخطط والتبصرة بالامور والدعوة واثارة النخوة والترهيب من العقاب لمن يتخلف والتبشير بالثواب لمن يتقدم ويجاهد ونزلت الآية الكريمة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين لاتعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم واتم لا تظلمون) •

ومثلما استلزم الاستعداد استنفار الرجال ليكونوا على أهبة النزال استلزم أيضا الترغيب في الانفاق وضمان ما ينقده المؤمن بالمنزلة العظمى عند الله والفوز بالرحمة والرضوان والجنات والنعيم المقيم وخلود الذكر في اندنيا والآخرة ولم يستثن نظام الاستنفار أحدا غير اولي الضرر الذين تحول علتهم دون الاستجابة فلا يستطيعون ان يلتحقوا بالجيش ويقاتلوا في سبيل الله وانحى باللوم الشديد على المتخلفين دون عذر في مواقع كثيرة (لا يستوي

القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم
وانفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا
وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) •

واستثنى النظام الاعمى والاعرج والمريض ذا العلة الذى لا يستطيع
مقاومة العدو (ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على
المريض حرج) • ومن نظام القتال ان حذر الرسول المؤمنين وأمرهم باليقظة
والاستعداد للعدو واخذ الالهة للقائه فاذا خرج الجند فيجب ان يكون
خروجهم اما على شكل سرايا سرية بعد أخرى واما جماعة كاملة بقلوب
متحدة وايمان بالنصر المؤكد ولا يجعلوا للمنافقين المثبتين ثغرة ينحدرون
منها اليهم ويحولون دون التقدم واذ لقي المؤمنون عدوا فعليهم ان يشتبوا
من أمره ولا يتعجلوه فاذا التقى اليهم السلام وآمن بالله ورسوله فهو مؤمن
وآمن وعليهم ان يقبلوا منه ايمانه لانهم لم يخرجوا للغنائم وانما خرجوا
للدفاع عن العقيدة واعلاء كلمة الله ومتى سلم الرجل ورضي بالدعوة
فيجب عليهم ان لا يقولوا له لست مؤمنا يبغون من وراء ذلك عرض الدنيا
والله يريد الآخرة :

(يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم
السلام لست مؤمنا تبغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغام كثيرة كذلك كنتم
من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خيرا) •

واذا لقي المؤمنون فئة كثيرة وتداولوا في الامر ورأوا السلم أولى من
الحرب فليقبلوا مبدأ السلم فان القتال لم يشرع للانتقام وانما شرع دفاعا
عن العقيدة وحفاظا عليها • (وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله
انه هو السميع العليم) وان كان المشركون يتبعون خديعة فلا يهتموا لها
فان الله يؤيد عباده المؤمنين بنصر من عنده وان الخديعة لا تدوم ومهما
طال أمدها فانها ستكشف وان الفة قلوب المؤمنين واتحاد كلمتهم كفيلة
ان تحول دون نجاح الخديعة • (وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله
الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا

ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم) •

وحفظا لارواح المجاهدين ان تهلك وتباد رخصت الشريعة المقاتلين ان يقصروا من الصلاة اذا سافروا لكيلا ينالهم المشركون بمكروه بل لكيلا يمكنوا العدو من ظهورهم وهم في صلاتهم خاشعون: (واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة اذا خفتم ان يفتكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا ميّنا) •

ورخص التشريع ان يقوم الجند وقائدهم في الصلاة على نمط لا يؤدي أن ينال العدو من ظهور المسلمين شيئا وذلك ان يصلي الامام بالمؤمنين المجاهدين صلاة قصر في طائفتين : تصلي طائفة وراء الامام بأسلحتها وتقف طائفة تحمي ظهور المصلين فاذا فرغت الطائفة الاولى جاءت الطائفة الثانية فأقامت الصلاة واقدمت بالامام • فاذا اطمأن المسلمون وعلموا ان لا خطر عليهم فلا بأس من اقامة الصلاة كاملة لانها من أركان الاسلام ونزلت الآية الكريمة بذلك : (واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا ، فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ، ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا اسلحتكم وخذوا حذرکم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا • فاذا قضيت الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ، فاذا اطمأنتم فاقموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) •

كانت العقيدة أساس التعبئة وكان الايمان التكاة الاولى التي استند اليها التشريع الاسلامي في اثاره النفوس وتهيئتها للنزال في سبيل الايمان والمؤمنون الصابرون المثابرون هم الفائزون • والمتناقضون المثبطون في النار خالدون لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون • والمؤمنون المتثاقلون معاتبون عتابا شديدا وملومون لوما فيه تقريع ووعيد شديد وعليهم المبادرة الى طاعة الرسول والمتخلفون يخشون الهلاك وهم في خشيتهم واهمون فانه لن

يصيهم الا ما كتب الله لهم وانهم يخافون الفتنة وهم في الفتنة ساقطون لا يقومون الى الصلاة التي هي رمز الجماعة ووحدة الصف الا وهم كسالى انهم لا ينفقون أموالهم ويخافون على انفسهم هؤلاء منافقون لا تمتد ايديهم بالسخاء والانفاق في سبيل الله انهم يحلو لهم ان يقعدوا مع أولادهم وأهلهم ويديروا أموالهم ولو استطاعوا ان يتواروا عن المؤمنين لا يتأخرون انهم يخافون الحر ويميلون الى الاستبراد ، هؤلاء المنهارون نفسيا عقابهم عندالله ان يبنذهم المجتمع ولا يأبه بهم واذا عادوا وطلبوا الخروج مع الجيوش الظافرة مرة أخرى فلا يلتفت اليهم واذا مات أحدهم فلا يصلى عليه لانهم رضوا ان يتخلفوا عن المؤمنين في وقت الشدة أمثال هؤلاء نزلت بحقهم الآية الكريمة • (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا وتزهد انفسهم وهم كفرون ويخلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ، لو يجدون ملجأ او مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمعون • فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لاتنفروا في الحر ، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعت الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) •

هذا العقاب الشديد كان حافزا قويا وامتحانا صادقا للمؤمنين وسندا متينا للعقيدة والدفاع عنها بمثابة العقوبة التي تضعها التشريعات الزمنية من حيث اللجوء الى السجن وفرض الغرامة • اما نظام الحكم في عهد النبوة فانه كان يجعل أمر المثوبة والعقاب الى السماء وكان وقعها في المجتمع أشد من وقع عقوبات الدنيا • وكانت المثوبة أجمل وقعا والطف بردا على قلوب المؤمنين من أية مكافأة أو جائزة دنيوية : (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون أعد

الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم)
 وبعد ان وضع التشريع الاسلامي هذه المقارنة والموازنة بين المؤمنين
 المجاهدين والخالفين القاعدين استثنى فئات جاءت تتسابق لنصرة دين الله
 غير ان صعوبة التعبئة حالت دون الاستفادة منهم * هذه الفئات لاجنح عليها
 وان الله راض عن افرادها لا يكلفهم الا بما لهم به طاقة * (ليس على
 الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا
 نصحو الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على
 الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما أحملكم عليه تولوا واعينهم
 تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون) *

ليس على هؤلاء تبعة انما التبعة على اولئك القادرين على الانفاق
 والقادرين على الدفاع عن العقيدة يعتذرون ولكن لا يجدون عذرا مقبولا
 هؤلاء وأمثالهم ليس لهم حظ في الاسلام وليس لهم مكانة عند الله وعندكم
 وعقابهم عظيم : (انما السبيل على الذين يستأذنون وهم اغنياء رضوا بان
 يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون * يعتذرون اليكم
 اذا رجعت اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى
 الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم
 تعملون) *

وسيقسم هذا الفريق الايمان اليكم بانهم كانوا يريدون الخروج معكم
 وانهم من انصاركم فلا تثقوا بهم فانهم رجس وان عقابهم في جهنم لن
 يصلوا الى درجة المؤمنين الذين باعوا انفسهم لله ولاعلاء كلمته والذين
 ثوابهم عند الله جنات تجري من تحتها الانهار : (ان الله اشترى من المؤمنين
 انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا
 عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا
 ببيعكم الذي بايعتم به وذلك الفوز العظيم) *

كان هذا الدفاع عن العقيدة أمرا محتملا لا محيد عنه وكان القتال حدثا
 طارئا اقتضته هذه الثورة الاسلامية التي أرادت به ان يحفظ وجودها ويهيء
 الجو لنموها وانتشارها وكانت التعبئة بهذا الشكل الضخم شيئا جديدا

بالنسبة للحروب التي كانت تحدث في الجزيرة فاذا كانت الحروب تحدث
لامر مادي ينتهي بتعويضه أو بالاستغناء عنه فان هذا النوع من القتال شرع
تشريعاً خاصاً بحيث لا ينتهي في الجزيرة الا بعد وحدة الصف والفة القلوب
واجتثاث الاصنام وعبادة آله واحد وعلى ذلك حرص التشريع الاسلامي
على افهام المؤمنين ان الله معهم وانه لا محالة ناصرهم فبشرهم في الجنة
والرفعة وانذرهم بالجحيم والعذاب المقيم والذلة في أماكن متعددة ولم يترك
القرآن فرصة الا اوضح بان العاقبة ستكون للمؤمنين مهما كانت المقدمات
وان الصراع الذي يحدث على الارض هو من طبيعة هذا الوجود فليثبت
المؤمن فان النصر بيد الله يؤتاه من يشاء (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروها وكان
الله بما تعملون بصيراً) •

لقد عالج القرآن دوافع النصر مثلما عالج اسباب الهزيمة وفي كلتا
الحالتين كان يؤكد على المؤمنين انهم بشر وان الخصم بشر مثلهم وان
تفوقهم وهزيمتهم مرهونان بمقدار ما يبذلونه من الجهد ومقدار ثباتهم على
العقيدة وتمسكهم بالايمان بالله وبرسوله ولكنه كان يملأ قلوبهم بالثقة بالله
وبالقضاء والقدر ووعده المؤمنين انه سيلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
ويثبت اقدام الذين آمنوا ويؤيدهم بالنصر • (لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتمكم فلم تغن عنكم شيئاً وضقت عليكم
الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى
المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء
الكافرين) •

وزاد القرآن على هذه الحكم في التشريع صفة ثانية تتصل بالبشر
وهي الثقة بالنفس والايمان بالقضاء والقدر وان المقدر مكتوب فلن ينجى
الفرار احداً من الموت اذا كان مقدر له ان يموت ولن يصيبه شيء اذا قدر
له أن يعيش • وكانت هذه القاعدة من أجل القواعد التي اندفع بعدها المؤمنون
يدافعون عن العقيدة ولقد وثق المؤمنون بالقضاء والقدر ووضعوا دماءهم وأموالهم

بين يدي رسول الله في طاعة منقطعة النظير فكان النصر يواتيهم وكانوا يستفتحون
فيأتيهم الفتح من عند الله وكانوا إذا أقدموا ملاً الرعب قلوب المشركين
خوفاً فيستسلمون طوعاً أو كرهاً لقد حجب الإسلام التضحية للمؤمنين مقابل
رضاء الله فاجبوا الموت في سبيل الله كما أحب غيرهم الحياة في سبيل الدنيا •

الغنائم والفيء

قويت شوكة المسلمين واخذت سرايا الجيش الاسلامي تحوم حول
المدينة وتقترب من مكة والتحمت القوتان قوة المؤمنين وقوة المشركين وانتصر
المسلمون ووقع بأيديهم الاسرى واصابوا الغنائم ، وافاء الله عليهم غنائم
أخرى دون أن يقاتلوا أحدا عليها فكان لا بد من نظام يبين وضع الفيء وقسمة
الغنائم على المقاتلة المجاهدين في سبيل الله فيأخذ كل واحد منهم نصيبه بعد
ان تعرض لحد السيف وسنان الرمح وسهم القوس وباع نفسه لله يبغى من
وراء ذلك رضا وثوابه في رياض الجنان مع الصديقين والشهداء في الآخرة
ويأمل في الدنيا حسن الاحدوثة ورفعة المكانة بين المؤمنين المدافعين عن
حوزة الاسلام ♦

ونزلت الآية الكريمة : (واعلموا ان ما غنتم من شيء فان لله خمسة
وللرسول ولذی القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل ان كنتم آمنتم بالله
وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء

قدير) ♦

وكان نزولها على ارجح الاقوال بعد واقعة بدر وبعد انتصار المسلمين انتصارا حاسما في هذه الواقعة ووقوع الغنائم والاسرى في ايديهم وبعد نزول هذه الاحكام الواضحة ابتداء فرض قسمة الغنائم فكانت خمسا لله ولرسوله ولذوي القربى الاذنين من أهل بيت النبوة الذين لا يحق لهم ان يأخذوا نصيبا من الصدقات ولليتامى المحتاجين الذين ليس لهم مال ولا أولياء ينفقون عليهم وللمساكين ذوي الحاجة الملحة ولابناء السبيل الذين تقطعت بهم السبل فلا يستطيعون الوصول أو الرجوع الى مكانهم وليس في ايديهم أموال ينفقون منها على أنفسهم ♦ اما حق الله في هذا الخمس فانه ينفق على مصالح المسلمين العامة كمثل بناء الكعبة واقامة الشعائر وما الى ذلك ♦ وحق الرسول فيه أن يأخذ كفايته ويعطي لذوي القربى ما يصيبهم منه ♦ والاخماس الاربعة الاخرى من حق المقاتلة المجاهدين في سبيل اعلاء كلمة الله للمفارس ثلاثة أسهم وللراجل منهم سهم واحد ♦

وأما أموال الفياء فليس لاحد من المقاتلة حق فيها وهي أموال وقعت بيد المسلمين بلا حرب ولم يسرعوا على ظهور الخيل والابل لاخذها من يد المشركين بالحرب ولم يتعرضوا فيها لسهام العدو فهي أموال خالصة لله ورسوله يضعها الرسول حيث يشاء وقد نزلت في أحكامها الآيات الكريمة : (وما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ♦ ما افاء الله على رسوله من أهل القربى فله وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) ♦

وقد اتضح من أحكام هذه الآيات أن أموال الفياء أموال خالصة لله ولرسوله خاصة بهما يضعها الرسول حيث يشاء ويوزعها كيفما يشاء في أعمال المصالح العامة وعلى ابناء الشعب الذين منهم بعض قرابة النبي ومنهم اليتامى والمساكين وابناء السبيل حفظا لكيان الامة وبناء المجتمع الاسلامي

الجديد الذي كانت فيه فجوات كبيرة بين الاغنياء والفقراء ولكي لا تبقى الحسرة في قلوب الفقراء والثروة في ايدي الاغنياء • كان هذا التشريع الصادق سبيلا للمحبة وتآلف قلوب المؤمنين وتربية نفوسهم على الايثار وقد أوضح القرآن الكريم ان الحكمة في هذه القسمة والتنظيم أن لا تكون الاموال كلها بيد الرؤساء والاغنياء يستأثرون بها لانفسهم ويتداولون بها بينهم والفقراء ينظرون اليهم تتفطر قلوبهم ألماً وحسرة •

وختم القرآن هذه الاحكام بمثل ما يختم به عادة الاحكام الاخرى التي تنظم المجتمع • من التصميم والتنفيذ والطاعة والاذعان وبيان المثوبة والعقوبة في حالتي الطاعة والمخالفة « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » •

ونزلت آيات أخرى في هذا الشأن وبينت المقصود من الفقراء فكانوا ذوى القربى واليتامى والمساكين وابناء السبيل من فقراء المهاجرين الذين اخرجتهم قريش من ديارهم بمكة وفروا بدينهم وايمانهم الى المدينة جهادا في سبيل الله ونصرة لدينه فالتجأوا الى الانصار يرجون بفرارهم أن يمن الله عليهم بنعمة الامن والاستقرار والعيش الرضي في ظلال الاسلام مع الثواب في الآخرة هؤلاء هم الذين يستحقون الفيء الذي يقع بيد المسلمين بلا حرب ولا نزال : (للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يتبعون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون) •

كان هذا التعويض العادل موضع رضاء المهاجرين والانصار وكان حافزا قويا للمؤمنين في سبيل الله كان ينبوعا نفسيا تربت عليه نفوس المسلمين من الايثار والمحبة والالفة وقد أمتدح القرآن فريق المهاجرين الاغنياء وامتدح الانصار الذين ساعدوا هذا الفريق من المهاجرين ونزلت الآيات الكريمة في حق الانصار تشيد بذكرهم وهي على كونها خاصة فانها أحكام عامة للمؤمنين أجمعين : (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم

ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) •
هؤلاء هم الانصار الذين استقبلوا المسلمين المهاجرين من مكة وذويهم
لقد استقبل الانصار هذا الفريق بالحب والايثار واسكنوهم وشاركوهم في
أموالهم واقواتهم بل فضلوهم على انفسهم مع الحاجة الشديدة •
وقد ذكرت اخبار السيرة النبوية والاحاديث الشريفة توضيحا لهذه
الآيات الكريمة بما يدل على علو النفس الانسانية التي رباها محمد وعلى
النظام الاجتماعي الذي اختطه السماء لهذه الامة فقد ذكرت الاحاديث ان
النبي (ص) عندما حصل على الفداء قسمه بين المهاجرين ولم يعط الانصار
شيئا الا ثلاثة فقراء منهم محتاجين فلم يظهر الانصار تبرما ولا غيظا فلما
راى النبي (ص) منهم هذه المواقف النبيلة ودعاهم واثى عليهم وحمد
مواقفهم للمهاجرين ورأى ما صنع الانصار للمهاجرين في منازلهم ومشاركتهم
في أموالهم فقال لهم ان احببتم قسمت ما أفاء الله علينا بينكم وبين المهاجرين
وبقوا على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم ومقاسمة أموالكم وان
أحببتم اعطيتم الاموال وخرجوا من منازلكم ، فقال سعد بن عبادة سيد
الخيرج وسعد بن معاذ سيد الاوس : (بل تقسم بين المهاجرين وبقون في
دورنا كما كانوا ، فنادى جميع الانصار : رضينا وسلمنا يا رسول الله •
فقال رسول الله • اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار •

هذا مثل رائع من الخلق العربي الكريم ومثل رائع من النظام
الاجتماعي الاسلامي الذي اوجده القرآن برسالة محمد وهذا هو السر
العظيم الذي ابتنت عليه حضارة الاسلام فيما بعد • ايثار ومحبة وتداول في الامر
دون ضغط وتعويض عادل وقسمة شريفة فيها حفظ كرامة الانسانية وفيها
الاعتراف بحقوق الانسان لم يضغط النبي (ص) على الانصار في سكنى
المهاجرين في دورهم ومقاسمتهم أقواتهم واموالهم ولم يحث المهاجرين على
هذه السكنى بل كانت ضيافة عربية كريمة فيها منزلة ورفعة في الدنيا وفيها
علو همة وحسن احدثة وفيها قيمة للخلق العربي الكريم وفيها رضاء
الله ومثوبته في الآخرة حيث يكون المؤمنون المؤثرون على انفسهم في
منازل الانبياء والصديقين والشهداء •

ربى محمد (ص) هذه الامة مبتدئا من نقطة واحدة مهمة هي الاعتراف
بكرامة الانسان واعتباره أحسن مخلوق على وجه البسيطة وما حوله قد
وجد لاجله ولحفظ كرامته ولم يعامل الانسان مادة لا قيمة لها أو سلعة
تداول كمثل السلع الاخرى انه يرى في الانسانية طاقات هائلة للوصول
الى المثل الاعلى وكلما استمر الانسان في تربيته الصافية استطاع ان يخدم
الحضارة البشرية وسيطر على الكون ويسبر غور الطبيعة وكل نظام في
انظمة المجتمع لا ينظر هذه النظرة الى بني الانسان نظام فاشل ان المادية
جهة واحدة فقط في تكوين الانسان فاذا نظرت اليها القوانين وحدها
وأهملت الجهة الروحية فشلت ولن تنجح • فان الانسان مادة وروح وكل
نظام يؤلف بينهما ويحترمهما نظام ناجح والاسلام نظام يجمع بين المادة
والروح وعقيدة تعزز بالكرامة •

الحجامة

عشت أربعين اسبوعا في مهبط الوحي وكلما مضى اسبوع استدعت
الذاكرة صورة جديدة لاسبوع آخر • وذكرى مهبط الوحي تتلاحق
صورها ومشاهدها مشهد يدعو مشهدا وتتدفق موادها تدفق الماء النмир من
العين الصافية ولما بدأ القلم يكتب حروف الخاتمة تمشت بين جوانحي رعدة
الرهبه والجلال ، ذلك ان الصور ازدحمت في مخيلتي والمشاهد تجمعت
حول ذاكرتي واشراأت أعناق الامجاد تريد ان تظهر للوجود ليقرأ الناس
سر عظمة رسالة محمد (ص) وتريد من القلم ان ينطلق ولا يقف لتسبع
رغبات المؤمنين بقرآن محمد تريد ان تظهر متألفة ترسل أشعتها في دجته
هذا الظلام الحالك الذي يلف العالم بالالحد والافساد تريد ان تبرز الناس
صورا حية في قيادة محمد وهدايته وثبات ابي بكر وحزمه وعدل عمر
وتنظيمه وكرم عثمان وحلمه وشجاعة علي وزهده تريد أن تظهر في
صناديد الاسلام : في خالد والمثنى وابي عبيدة وعمرو بن العاص تريد ان

تبرز في هذه الشريعة الغراء التي نبتت من ينباع النبوة من القرآن والحديث والادب الجم والخلق الكريم والسلوك المستقيم تريد أن تثبت للوجود ان هذه الامة كانت خير أمة أخرجت للناس : تلك الامجاد لو كان البحر مدادا لفضائلها لنفد البحر قبل ان تنفذ خصائصها ولو جئنا بمثله مددا •

في مهبط الوحي كتبت ما سمح لي الزمان به ان أكتب على كثرة العمل ومشاكل الدنيا واطلقت القلم واني أعلم باني أعجز من يوقفه ولكنني علت نفسي ان هناك من يبدأ حيث انتهت ومن يصحح حيث اخطأت ومن يغفر اذا زلت ويصفح اذا وقفت فان العمل كثير والموضوع متشعب وخطير والوقت ضيق وقصير •

كانت صور مهبط الوحي واقفة أمام عيني وقوف الشخص في المرايات المتقابلة لا حدود لها ولا نهاية فلقد خلق الاسلام أمة ملاً قلوب بنيتها بالايمان ورفع جباهها الى الاعالي ومن ينظر الى الاعالي يسهل عليه نيل المعالي انشأ محمد جيلا في جامعة مكة والمدينة وكانت مناير درسه في منبر الرسالة وكانت محاضراته ينزل بها جبريل من السماء كصلصلة الجرس ترن في الاذن فينصت الايمان اجلالا وتعظيما فتنتفتح عن حكم فاصل وارشاد منير وكان العرب الذين تلقوا الوحي في فجره على سمو كعبهم في البلاغة والفصاحة ورفعة مجدهم في الثقافة والمعرفة التلاميذ الاول في جامعة محمد وكثير منهم من عض على قارحة الكمال في بلوغ السن وعلو المنزلة بين قومه وكانوا اذا سمعوا الوحي خروا له سجدا واذا وقفوا أمام محمد عثيت عيونهم من جلال النبوة فاذعنوا لاختيار السماء • في هذا الجو المقدس المحفوف بالروعة والجلال تخرج تلامذته فساروا على منهجه • يا لها جامعة استمرت ثلاثة وعشرين عاما تخرج فيها الخلفاء والقادة وامراء الجيوش وولاة الامصار والقضاة والفقهاء تخرج فيها المحدثون والحافظون والمستنبطون والمشرعون تخرجت فيها أمة كاملة تحب العدل وتكرم الاخوة وترضى بالمساواة وتركن الى الشورى وتمجد الوفاء والكرم وتمتاز بالشجاعة والاقدام وتحفظ حقوق العلماء وتعلم الجهلاء وترشد السفهاء

ثلاثة وعشرون عاما والوحي ينزل من السماء ومحمد يبلغ ويحدث
فتبليغه وحي وكلامه حديث وفعله قدوة وسلوكه مثل يحتذى به والناس
راضون والمجد يحف بالاسلام والاسلام يعلو شأنه يوما بعد يوم ومن هذه
المدرسة اندفع الرعيل الاول من العرب والمسلمين الى العالم يحملون قرآن
محمد (ص) وأدبه والقدر يخطط لهم في اللوح صحائف المجد في الفتوح
ونور الاسلام يشع فيضيء الدجنة الحالكة في أرجاء العالم •

لقد اجتمعت على هذا الفتح المبين والنصر المؤثل قوة السماء وهدايتها
وارادة العرب وشجاعتهم فهم حملة الرسالة الاول وهم الذين وضعوا في
أعناقهم أداؤها وهم الذين حملوا الامانة بعد السماء والارض وهم عالمون
بثقلها فأدوها خير أداء •

ان صفات العرب في الحلم والكرم والوفاء والصدق والتضحية حملت
الامم على الالتفاف حولهم فأمنوا بالله ورسوله وصدقوا بآياته وثقفوا لغة
العرب وتفقهاوا في الدين الحديث فتبوءوا مناصب العرب والعرب راضون
خاضعون لقاعدة علمت الناس كيف يكون العدل وكيف تسود المساواة :
انما المؤمنون اخوة) كانت هذه القاعدة روح المجتمع الاسلامي وعقله
الذي امتاز بها عن مجتمعات الامم الاخرى • لقد ابتليت قواعد المجتمعات
بالظلم والعدوان والعبودية والرق وامتهان كرامة الانسان واختلاف الطبقات
علوا وضعة فكانت هذه القاعدة تجديدا محت الفوارق في الجنس واللون
وفي الزمان والمكان • كانت مقصا حادا قلم أظافر الغرائز فتآخت على
اظهار الحق وتعاونت على دفع الباطل • أشاعت الاخوة الاسلامية والمحبة
بين المؤمنين فبرزت بينهم غريزة الايثار والتضحية وشهد العالم لونا جديدا
ساميا من الوان البشرية وهبت عليه نسيمات الرحمة والشفقة وخضع التاريخ
لفضيلة كبرى ما عرفها قبل العرب وسجل على نفسه وفي أروع صفحة
من صفحاته تلك العبارة الخالدة : (ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من
العرب) لقد كانوا في فتحهم رحماء وفي شرعهم فقهاء وفي اقدامهم شجعانا
وفي العلم اذكياء ونبهاء أبدعت مدرسة محمد أوائلهم فسلك التابعون مسلك

الاولين وبرزت مواهبهم فنوا لنا هذه الحضارة التي تعد من أرقى الحضارات
لقد برعوا في الفلسفة مثلما برعوا في التشريع وبرعوا في الفلك والرياضيات
وبرعوا في الطب مثلما برعوا في علوم الطبيعة أعان قرآنهم ذكاهم لان
القرآن يحث على الابداع ويحث على التقدم ويحث على التطور ويحض
المؤمنين على التفكير في ملكوت السموات والارض وفي النفس الانسانية وفي
هذا الحث يعطي القرآن درسا بليغا في وجوب التطور وعدم الوقوف في
مكان واحد • ان التفكير في خلق السموات يتطلب النظر في ابعادها وافلاكها
والتفكير في خلق الارض يتطلب البحث في اغوارها وانجادهما والتفكير في
النفس المعقدة يبعث الانسان الى الاقدام في البحث في دقائق الخلق والتعبير
عن قدرة القدير • لا رجعية في طبيعة العرب ولا رجعية في سور القرآن
وآياته فالعرب أمة طامحة والقرآن ينبوع يتدفق بالامجاد والابداع والعدل
والمساواة والمحبة والاخاء •

أترك القلم في مهبط الوحي وعمود من نور يتراءى أمام ناظري صاعدا
من غار حراء في جبل النور المطل على البيت العتيق مرتفعا الى عنان السماء
واتخيل جبريل يرف بجناحيه هابطا يحمل الوحي بهداية الرحمن ثم تمر
أمام ناظري جموع المسلمين تطوف بالبيت العتيق وتسعى بين الصفا والمروة
واتنقل بخيالي فأبصر الزحوف المتهادية بين مكة ومنى وعرفات ويمتد بي
الخيال فأندكر صاحب الرسالة واتخيله واقفا على صخرات جبل الرحمة •
لقد كان محمد (ص) رائدا والرائد لا يكذب أهله لقد صدق وعده حين قال
أيها الناس والله ما كذبتكم ، وطفق في ارشاده وتعليمه وتكوينه ثلاثا
وعشرين حجة وفي حجة الوداع وقف مبشرا فرحا يرى جموع المسلمين
حوله تزهو بقوة الايمان يتلو عليهم آيات السماء : (اليوم أكملت لكم
دينكم واتممت عليكم نعمي ورضيت لكم الاسلام ديناً) •

صدق الله العظيم والى حج قابل إن شاء الله •

★ ★ ★

تم الفراغ من تدقيقه في يوم الجمعة السابع من ذي الحجة لعام

١٣٨٤هـ الموافق لليوم التاسع من نيسان لعام ١٩٦٥م •

شكر وتقدير

أريد أن اسجل شكري وتقديري للافاضل الذين أيدوني بعملهم في
في اخراج هذا الكتاب على هذا النمط الذي يراه القارئ واطح بالذكر
منهم صديقي الفاضل الدكتور أحمد ناجي القيسي الاستاذ بكلية الآداب
بجامعة بغداد وصديقي الفاضل الدكتور أحمد مطلوب والاستاذ بكلية الآداب
بجامعة بغداد .

والصديق السيد مكي الجميل سفيرنا في جده الذي قدم الي
التقرير الرسمي في موسم الحج وزودني بمجموعة من الجرائد اليومية التي
صدرت اثناء ذلك الموسم .

ولا انسى معونة اولئك العلماء الافاضل الذين اغترف من مناهلهم
العذبة ما اسبغ على الكتاب طابع البحث العلمي والتأريخي اولئك الاعلام
الذين خلد ذكرهم فضل عملهم واطح منهم : الطبري ، والمسعودي ، وابن
الأثير والبالاذري وابن سعد وابن هشام والبخاري وغيرهم من الافاضل الذين
يضيق بهم المقام هنا رضي الله عنهم جميعاً ومن الكتب الحديثة التي استعنت
بها : كتاب تأريخ مكة لمؤلفه الفاضل أحمد السباعي جزاه الله خير الجزاء ولا
انسى أن أخص بالشكر السيد عبدالحميد العاني صاحب مطبعة العاني الذي
نشر الكتاب وداوله بين الناس لجميع هؤلاء أكرر الشكر والثناء وجزاهم
الله خير الجزاء .

المؤلف

ثبت الكتاب

	ص
المقدمة	٨
من جدة الى المدينة - محمد رسول الله (ص)	١٨
الضجيج الاول	٣٤
الضجيج الثاني	٤١
البقيع - شهداء بدر - شهداء أحد - عثمان بن عفان	٥١
بدر الموقعة الفاصلة بين الحق والباطل *	٥٩
العمرة	٦٩
مكة	٧٥
قريش والكعبة	٨٣
محمد بين قريش في مستهل حياته الاجتماعية	٨٩
جبل النور - غار حراء - المكان الاول الذي هبط اليه الوحي	٩٧
مشرق الدعوة	١٠٧
الاطوار التي مرت بها الكعبة	١١١
المسجد الحرام	١١٧
غسل الكعبة	١٢٣
الحج ومقاصده	١٣٣
الى وادي عرفة	١٤١
الوقوف في وادي عرفة	١٤٥
المزدلفة	١٥٧
الى منى لرمي الجمرة الاولى - جمرة العقبة	١٦٣
يوم العيد	١٦٨
الاضاحي	١٧٧
ايام التشريق الثلاثة	١٨٣
امارة الحج	١٨٧
الطواف والمطوفون	١٩١
أركان الحج وشعائره	١٩٧
نظام الحكم في عهد النبوة	٢٠٢
القرآن	٢٠٩
القرآن يربي شخصية المسلم	٢١٥
القرآن والأسرة	٢٢٠
روابط الأسرة	٢٢٧
بناء المجتمع	٢٣٣
بيت المال	٢٤٠
الربا	٤٤٥
العقود	٢٥١
مشروعية القتال	٢٥٧
العدة	٢٦٣
الغنائم والفيء	٢٧١
الخاتمة	٢٧٧
ترجمة حياة مؤلف الكتاب	٢٨٥

Index

- 1. Introduction
- 2. The first part of the book
- 3. The second part of the book
- 4. The third part of the book
- 5. The fourth part of the book
- 6. The fifth part of the book
- 7. The sixth part of the book
- 8. The seventh part of the book
- 9. The eighth part of the book
- 10. The ninth part of the book
- 11. The tenth part of the book
- 12. The eleventh part of the book
- 13. The twelfth part of the book
- 14. The thirteenth part of the book
- 15. The fourteenth part of the book
- 16. The fifteenth part of the book
- 17. The sixteenth part of the book
- 18. The seventeenth part of the book
- 19. The eighteenth part of the book
- 20. The nineteenth part of the book
- 21. The twentieth part of the book
- 22. The twenty-first part of the book
- 23. The twenty-second part of the book
- 24. The twenty-third part of the book
- 25. The twenty-fourth part of the book
- 26. The twenty-fifth part of the book
- 27. The twenty-sixth part of the book
- 28. The twenty-seventh part of the book
- 29. The twenty-eighth part of the book
- 30. The twenty-ninth part of the book
- 31. The thirtieth part of the book
- 32. The thirty-first part of the book
- 33. The thirty-second part of the book
- 34. The thirty-third part of the book
- 35. The thirty-fourth part of the book
- 36. The thirty-fifth part of the book
- 37. The thirty-sixth part of the book
- 38. The thirty-seventh part of the book
- 39. The thirty-eighth part of the book
- 40. The thirty-ninth part of the book
- 41. The fortieth part of the book
- 42. The forty-first part of the book
- 43. The forty-second part of the book
- 44. The forty-third part of the book
- 45. The forty-fourth part of the book
- 46. The forty-fifth part of the book
- 47. The forty-sixth part of the book
- 48. The forty-seventh part of the book
- 49. The forty-eighth part of the book
- 50. The forty-ninth part of the book
- 51. The fiftieth part of the book
- 52. The fifty-first part of the book
- 53. The fifty-second part of the book
- 54. The fifty-third part of the book
- 55. The fifty-fourth part of the book
- 56. The fifty-fifth part of the book
- 57. The fifty-sixth part of the book
- 58. The fifty-seventh part of the book
- 59. The fifty-eighth part of the book
- 60. The fifty-ninth part of the book
- 61. The sixtieth part of the book
- 62. The sixty-first part of the book
- 63. The sixty-second part of the book
- 64. The sixty-third part of the book
- 65. The sixty-fourth part of the book
- 66. The sixty-fifth part of the book
- 67. The sixty-sixth part of the book
- 68. The sixty-seventh part of the book
- 69. The sixty-eighth part of the book
- 70. The sixty-ninth part of the book
- 71. The seventieth part of the book
- 72. The seventy-first part of the book
- 73. The seventy-second part of the book
- 74. The seventy-third part of the book
- 75. The seventy-fourth part of the book
- 76. The seventy-fifth part of the book
- 77. The seventy-sixth part of the book
- 78. The seventy-seventh part of the book
- 79. The seventy-eighth part of the book
- 80. The seventy-ninth part of the book
- 81. The eightieth part of the book
- 82. The eighty-first part of the book
- 83. The eighty-second part of the book
- 84. The eighty-third part of the book
- 85. The eighty-fourth part of the book
- 86. The eighty-fifth part of the book
- 87. The eighty-sixth part of the book
- 88. The eighty-seventh part of the book
- 89. The eighty-eighth part of the book
- 90. The eighty-ninth part of the book
- 91. The ninetieth part of the book
- 92. The ninety-first part of the book
- 93. The ninety-second part of the book
- 94. The ninety-third part of the book
- 95. The ninety-fourth part of the book
- 96. The ninety-fifth part of the book
- 97. The ninety-sixth part of the book
- 98. The ninety-seventh part of the book
- 99. The ninety-eighth part of the book
- 100. The ninety-ninth part of the book
- 101. The hundredth part of the book

مؤلف الكتاب

مؤلف هذا الكتاب الدكتور محمد بديع شريف ينتمي الى اسرة عريقة في بلدة (عنه) معروفة بالتفقه بالشريعة الاسلامية وتعرف باسمرة المفتي وقد بقيت وظيفة الافتاء في هذه الأسرة بهذه البلدة عشرات السنين .
درس الشريعة في كلية الامام الاعظم وحصل على ليسانس في التربية وتدرّس اللغة العربية من دار العلوم بالقاهرة (اجازة التدريس) وتعين مدرسا في دار المعلمين في بغداد . ثم اختارته وزارة المعارف وضمته الى البعثة للدراسة في المانيا عام ١٩٣٦ وبعد دراسة ثلاث سنوات في جامعتي برلين وبون نقل دراسته الى سويسرا فنال فيها شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي والآداب من جامعة (بازل - سويسرا) .

وفي عام ١٩٤١ وظروف الحرب التحق بالجامعة نفسها فحصل على الدكتوراه في القانون العام سنة ١٩٤٥ . ثم عاد الى العراق في نهاية عام ١٩٤٥ وعين مفتشا اختصاصيا في ١٦/٢/١٩٤٦ في وزارة المعارف ومن هذا التاريخ تقلب في مناصب الدولة الادارية والعلمية فعين مديرا للتعليم الثانوي ثم مديرا للنشر والترجمة والتأليف ثم سكرتيرا لوزارة المعارف وعين بعد ذلك استاذا مساعدا في دار المعلمين العالية لتدريس الادب العربي . ثم عين بعد ذلك ملحقا ثقافيا في القاهرة وبعد عمل خمس سنوات في هذه الوظيفة عين مديرا عاما لوزارة المعارف ثم عين استاذا لكرسي القانون وعميدا لكلية التجارة ثم ملحقا ثقافيا في لندن وفي عام ١٩٥٨ نقل استاذا في جامعة بغداد

ومديراً لمعهد الإدارة العامة ثم عين مديراً قانونياً في وزارة العدل وبعد عمل
ما يزيد على سنتين عين عضواً في مجلس الخدمة العامة • وبعد عمل سنتين
في هذه الوظيفة عين رئيساً لديوان رئاسة الجمهورية وهو منصبه الحالي •

الانتاج الفكري :

الف كتاباً في نقد الأدب العربي وكتاباً في أصول تدريس اللغة العربية
وكتاباً في الفدرال (الاتحاد السويسري) •
وضع أطروحته التي نال بها الدكتوراه في التاريخ بعنوان حركة
الموالي في الخلافة الشرقية باللغة الألمانية ونقلها إلى العربية بعنوان (الصراع
بين الموالي والعرب) •
ووضع أطروحة في القانون العام (الدستور) باللغة الألمانية •
ترجم عن الألمانية « حوار العباقرة » وكتاب العالم المرح ، حقق لامية
العرب وشرحها وآخر كتاب له هذا المؤلف الذي بين يدي القارئ وله
مخطوطات تنتظر النشر •

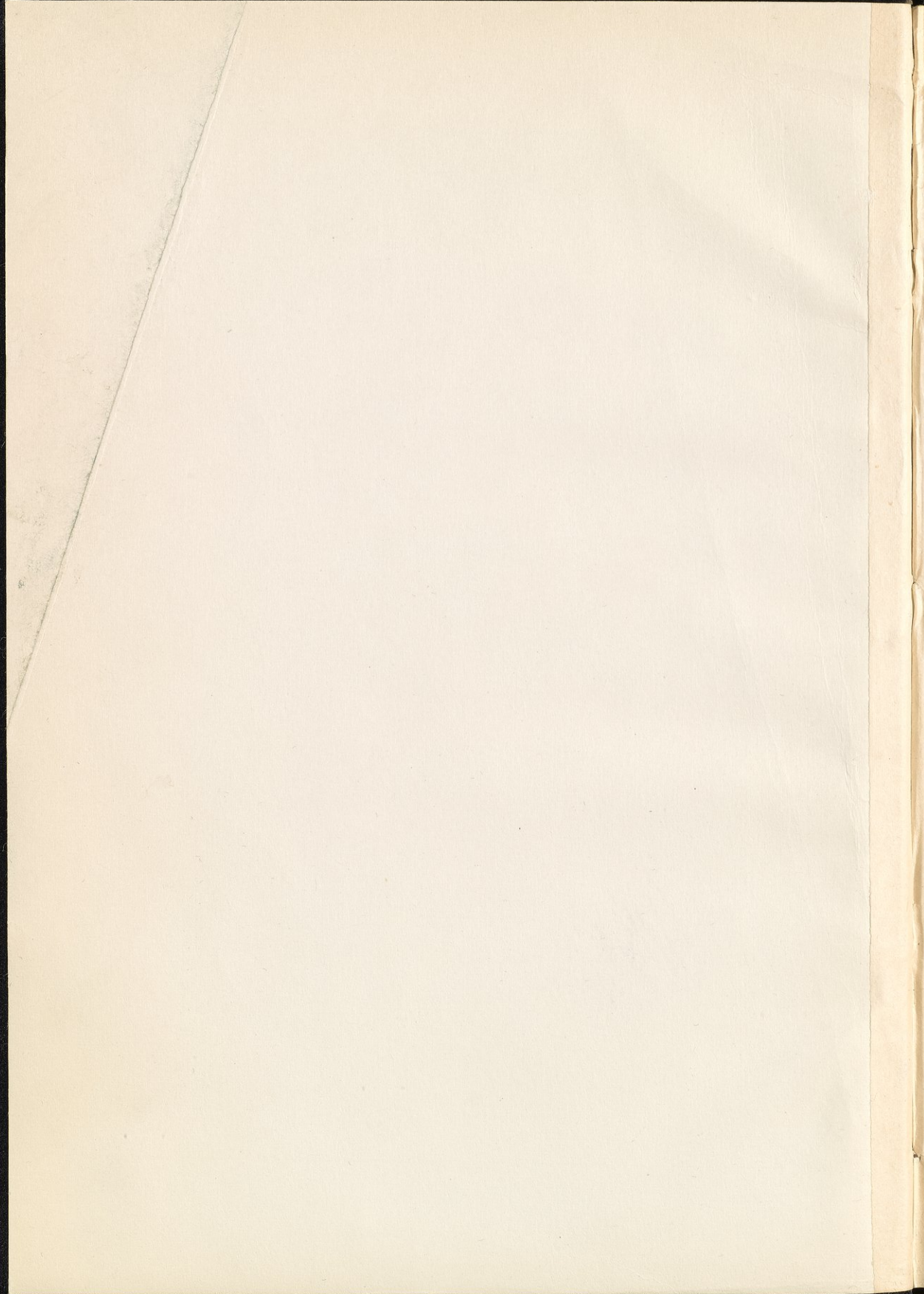
الناشر

الخطأ والصواب

السطر	الصفحة	صواب	خطأ
٢٤	٢٢	فاذن	فاذن
٢٣	٢٣	فرائض	فرائض
٤	٢٥	بيض	بياض
٢	٣١	لانقاذ	لانقاذ
١	٣٦	كنف	كتف
٢	٤٣	الزناد	الزناد
٣	٤٩	او سمّه عدلاً اجتماعياً	او سمّه اجتماعياً
٢٥	٨٠	الصناديد	الخناذيد
٢١	٨٥	الكعبة	العكبة
٧	٩٣	الآله	الآلهة
١٢	٩٩	حين	جين
٢٤	٩٩	الجامحة	الجامحة
١٨	١٠٣	وانقسمت	وانقسمت
١٩	١٣٥	الحصيات	الحصي'
١	١٤٠	انهم	انهما
٢	١٤٤	واذ	واذا
٩	١٦٠	فانهم	فانهم
١٤	١٦٠	ويركنون	ويركنوا
-	١٦٣	مِنِي'	مُنِي'
٢٣	١٩٤	يستطيعوا	يستطيعون
١١	٢٣٠	يريدا	يربدا

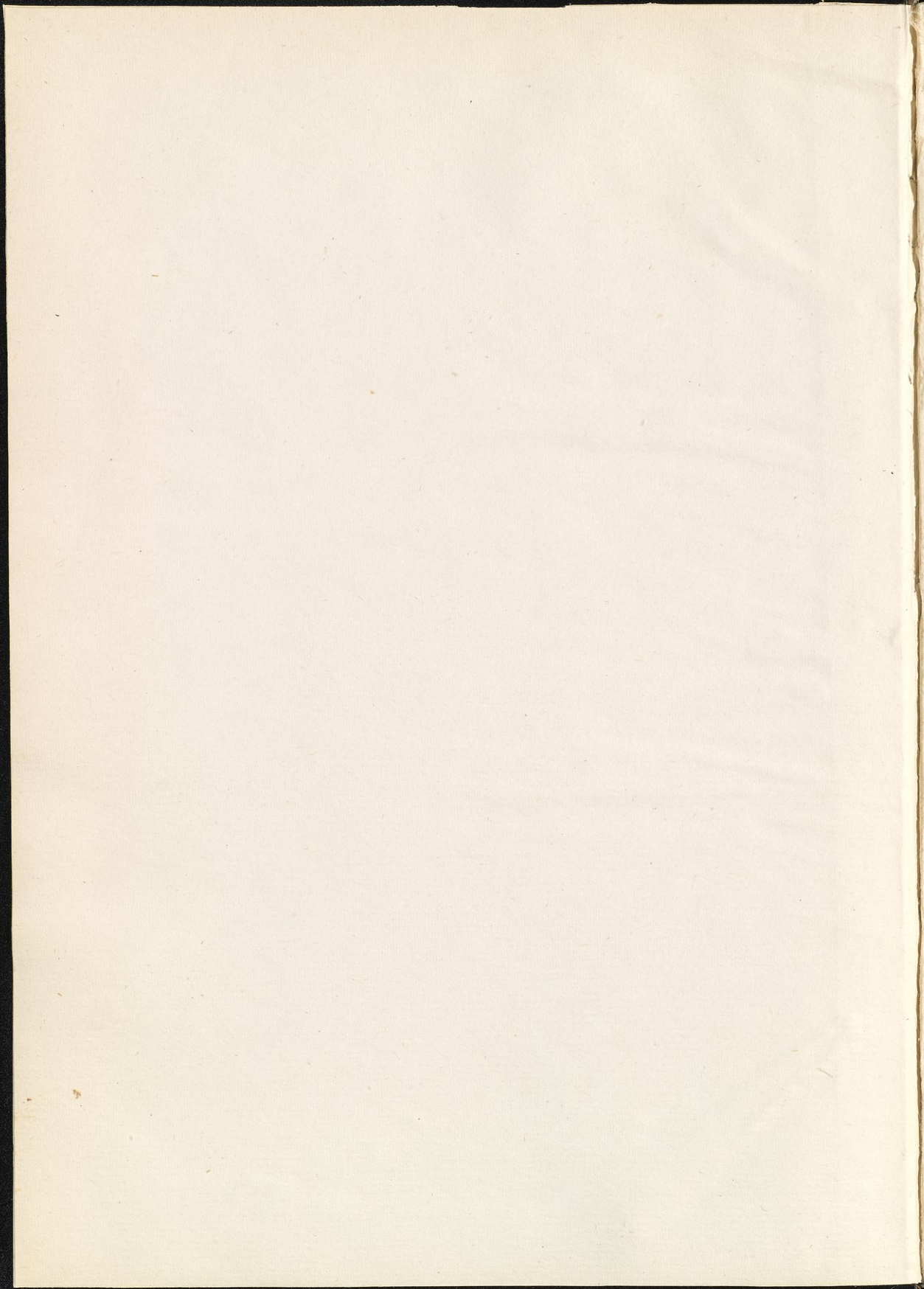
بایگستان

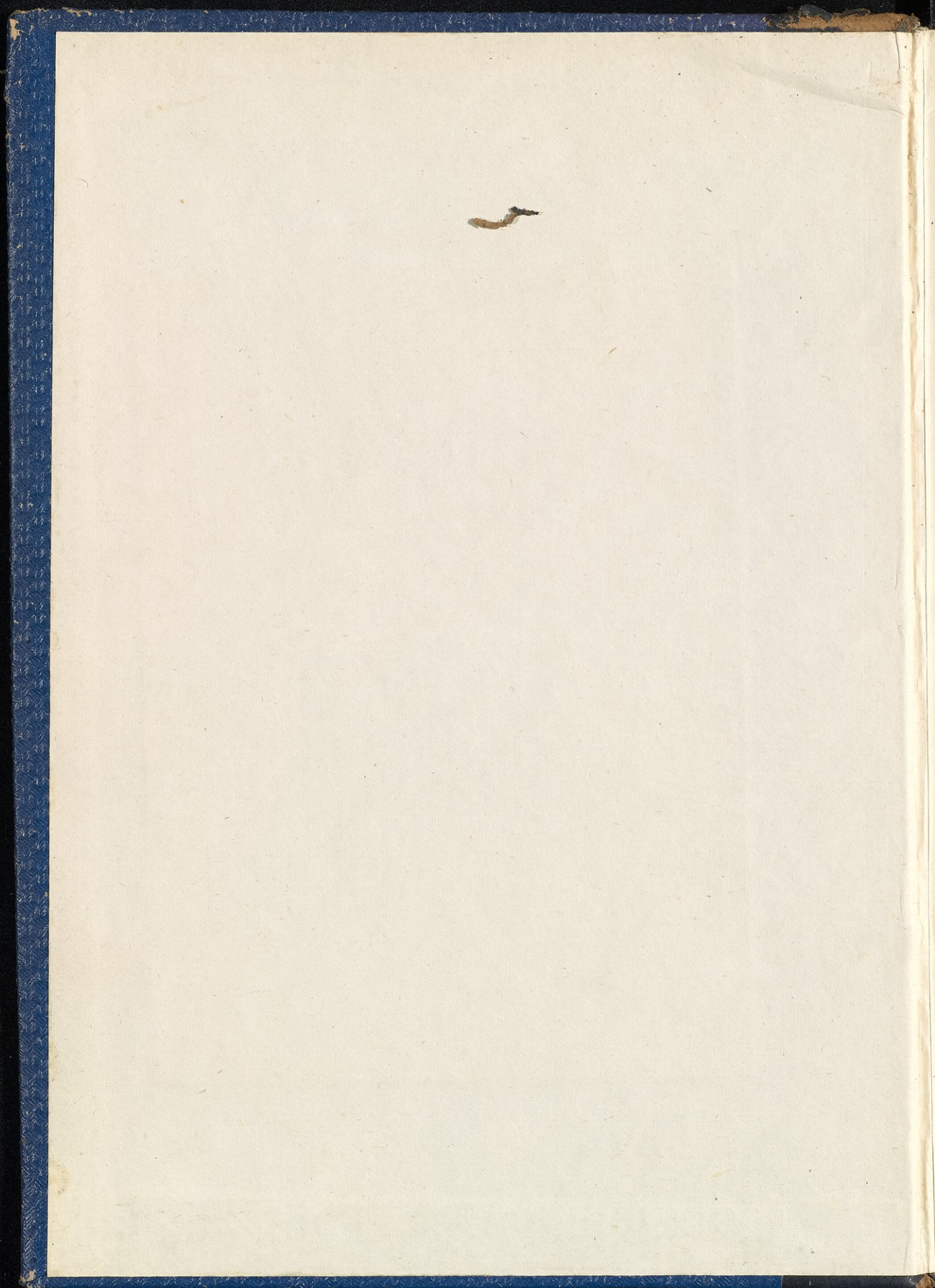
ردیف	تاریخ	شرح	مقدار	قیمت
۱	۱۳۰۲	...	۲۲	۲۲
۲	۱۳۰۳	...	۲۲	۲۲
۳	۱۳۰۴	...	۲۲	۲۲
۴	۱۳۰۵	...	۲۲	۲۲
۵	۱۳۰۶	...	۲۲	۲۲
۶	۱۳۰۷	...	۲۲	۲۲
۷	۱۳۰۸	...	۲۲	۲۲
۸	۱۳۰۹	...	۲۲	۲۲
۹	۱۳۱۰	...	۲۲	۲۲
۱۰	۱۳۱۱	...	۲۲	۲۲
۱۱	۱۳۱۲	...	۲۲	۲۲
۱۲	۱۳۱۳	...	۲۲	۲۲
۱۳	۱۳۱۴	...	۲۲	۲۲
۱۴	۱۳۱۵	...	۲۲	۲۲
۱۵	۱۳۱۶	...	۲۲	۲۲
۱۶	۱۳۱۷	...	۲۲	۲۲
۱۷	۱۳۱۸	...	۲۲	۲۲
۱۸	۱۳۱۹	...	۲۲	۲۲
۱۹	۱۳۲۰	...	۲۲	۲۲
۲۰	۱۳۲۱	...	۲۲	۲۲
۲۱	۱۳۲۲	...	۲۲	۲۲
۲۲	۱۳۲۳	...	۲۲	۲۲
۲۳	۱۳۲۴	...	۲۲	۲۲
۲۴	۱۳۲۵	...	۲۲	۲۲
۲۵	۱۳۲۶	...	۲۲	۲۲
۲۶	۱۳۲۷	...	۲۲	۲۲
۲۷	۱۳۲۸	...	۲۲	۲۲
۲۸	۱۳۲۹	...	۲۲	۲۲
۲۹	۱۳۳۰	...	۲۲	۲۲
۳۰	۱۳۳۱	...	۲۲	۲۲
۳۱	۱۳۳۲	...	۲۲	۲۲
۳۲	۱۳۳۳	...	۲۲	۲۲
۳۳	۱۳۳۴	...	۲۲	۲۲
۳۴	۱۳۳۵	...	۲۲	۲۲
۳۵	۱۳۳۶	...	۲۲	۲۲
۳۶	۱۳۳۷	...	۲۲	۲۲
۳۷	۱۳۳۸	...	۲۲	۲۲
۳۸	۱۳۳۹	...	۲۲	۲۲
۳۹	۱۳۴۰	...	۲۲	۲۲
۴۰	۱۳۴۱	...	۲۲	۲۲
۴۱	۱۳۴۲	...	۲۲	۲۲
۴۲	۱۳۴۳	...	۲۲	۲۲
۴۳	۱۳۴۴	...	۲۲	۲۲
۴۴	۱۳۴۵	...	۲۲	۲۲
۴۵	۱۳۴۶	...	۲۲	۲۲
۴۶	۱۳۴۷	...	۲۲	۲۲
۴۷	۱۳۴۸	...	۲۲	۲۲
۴۸	۱۳۴۹	...	۲۲	۲۲
۴۹	۱۳۵۰	...	۲۲	۲۲
۵۰	۱۳۵۱	...	۲۲	۲۲
۵۱	۱۳۵۲	...	۲۲	۲۲
۵۲	۱۳۵۳	...	۲۲	۲۲
۵۳	۱۳۵۴	...	۲۲	۲۲
۵۴	۱۳۵۵	...	۲۲	۲۲
۵۵	۱۳۵۶	...	۲۲	۲۲
۵۶	۱۳۵۷	...	۲۲	۲۲
۵۷	۱۳۵۸	...	۲۲	۲۲
۵۸	۱۳۵۹	...	۲۲	۲۲
۵۹	۱۳۶۰	...	۲۲	۲۲
۶۰	۱۳۶۱	...	۲۲	۲۲
۶۱	۱۳۶۲	...	۲۲	۲۲
۶۲	۱۳۶۳	...	۲۲	۲۲
۶۳	۱۳۶۴	...	۲۲	۲۲
۶۴	۱۳۶۵	...	۲۲	۲۲
۶۵	۱۳۶۶	...	۲۲	۲۲
۶۶	۱۳۶۷	...	۲۲	۲۲
۶۷	۱۳۶۸	...	۲۲	۲۲
۶۸	۱۳۶۹	...	۲۲	۲۲
۶۹	۱۳۷۰	...	۲۲	۲۲
۷۰	۱۳۷۱	...	۲۲	۲۲
۷۱	۱۳۷۲	...	۲۲	۲۲
۷۲	۱۳۷۳	...	۲۲	۲۲
۷۳	۱۳۷۴	...	۲۲	۲۲
۷۴	۱۳۷۵	...	۲۲	۲۲
۷۵	۱۳۷۶	...	۲۲	۲۲
۷۶	۱۳۷۷	...	۲۲	۲۲
۷۷	۱۳۷۸	...	۲۲	۲۲
۷۸	۱۳۷۹	...	۲۲	۲۲
۷۹	۱۳۸۰	...	۲۲	۲۲
۸۰	۱۳۸۱	...	۲۲	۲۲
۸۱	۱۳۸۲	...	۲۲	۲۲
۸۲	۱۳۸۳	...	۲۲	۲۲
۸۳	۱۳۸۴	...	۲۲	۲۲
۸۴	۱۳۸۵	...	۲۲	۲۲
۸۵	۱۳۸۶	...	۲۲	۲۲
۸۶	۱۳۸۷	...	۲۲	۲۲
۸۷	۱۳۸۸	...	۲۲	۲۲
۸۸	۱۳۸۹	...	۲۲	۲۲
۸۹	۱۳۹۰	...	۲۲	۲۲
۹۰	۱۳۹۱	...	۲۲	۲۲
۹۱	۱۳۹۲	...	۲۲	۲۲
۹۲	۱۳۹۳	...	۲۲	۲۲
۹۳	۱۳۹۴	...	۲۲	۲۲
۹۴	۱۳۹۵	...	۲۲	۲۲
۹۵	۱۳۹۶	...	۲۲	۲۲
۹۶	۱۳۹۷	...	۲۲	۲۲
۹۷	۱۳۹۸	...	۲۲	۲۲
۹۸	۱۳۹۹	...	۲۲	۲۲
۹۹	۱۴۰۰	...	۲۲	۲۲
۱۰۰	۱۴۰۱	...	۲۲	۲۲



من هذا الكتاب

ما رأت البشرية عهداً من عهود النبوات ولا كتب التأريخ صفحة
من صفحات المصلحين مثل هذه الفترة التي مر بها عهد النبوة
من مشرق الدعوة الى اكتمال العقيدة الاسلامية . لقد
أختفى في هذه الفترة سلطان الارض عن رقابة الرعية
ومشت أحوال المجتمع رخاء يعرف كل امرئ حقه دون
الرجوع الى درجات المحاكم ودوائر الامن ومراكز
الشرطة ومعامل السجون وكانت السماء هي
الرقيبة على هذه الامة .. وفي هذه الفترة ظهرت
شخصية المسلم فكان الصحابي مثال الرجل
الكامل نور القرآن يمشي بين يديه وسيرة
الرسول ماثلة أمام عينيه وهي سيرة فيها
معاني المثل العليا فالمؤمن لا يكذب
والمؤمن لا يغضب بل يعالج اموره
بالحلم والعقل والعزم والارادة
والمؤمن يؤثر على نفسه ولو كان
به خصاصة والمؤمن أخو المؤمن
وناهيك بهذه الاخوة
من تضحية وايشار .





NYU - BOBST



31142 02809 3154

BP187.3 .B27

Fi mahbit al-wahy